



التصوف والسلوك

المعارف والنكات

دروس التصوف

انشاء الزوايا

ضرورة الشيخ

تحقيق لفظة الصوفي

اليات علم التصوف

الاخلاق الحميدة

الاعمال اليومية

المعتقدات

آداب المرشد

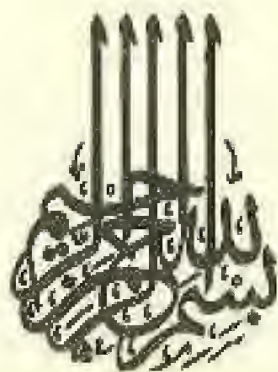
اليات بيعة الطريقة

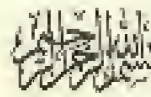
التصوف ما هو

التقنيدي
المجلدي

مولانا ذوالفقار احمد

شيخ المشايخ





الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام
على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين

الباب الأول

علم التصوف

نذكر ثلاثة أدلة لثبوت علم التصوف شرعاً.

الدليل الأول:

قال - جل شأنه -: ﴿وَدُّوا ظَاهِرَ الْأَثَرِ وَيَاطَمُونَ﴾ (الأنعام: ١٢٠) قال العلامة علاء الدين علي بن محمد البغدادي الشهير بالخازن رحمه الله تحت هذه الآية: «المُراد بظاهر الأثر أفعال الجوارح وباطن الأفعال القلوب».

[الباب الثاوي في معاني التنزيل ج ٢ ص ١٢٢]

فأعمال الإنسان على ثلاثة أقسام:

القسم الأول:

الأعمال المتعلقة بظاهر الإنسان فقط، وبعض الآيات تذكر أحكام هذه الأعمال مثل: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ (الأعراف: ٣١) و: ﴿قُلْ لِلَّهِ يُعْضَدُ يَوْمَ يُصْعَقُهُمْ﴾ (النور: ٣١) و: ﴿فَاصْبِرُوا فِي الْحَسْبِ فِي الْمَجْهِدِ﴾ (البقرة: ٢٢٢).

القِسْمُ الثَّانِي:

الأعمال المتعلقة بباطن الإنسان وكثير من الآيات تذكر أحكام هذه الأعمال مثل: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ (النساء: ١٨١) و: ﴿وَأَوْفِ بِعَهْدِكُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ (البقرة: ١٧٥).

القِسْمُ الثَّالِثُ:

الأعمال المتعلقة بظاهر الإنسان وباطنه معاً مثلاً قول الله تعالى في ظاهِر الصلاة: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ فَامْتُوا كَمَا كُنْتُمْ﴾ (النساء: ١٠٣) وقوله في باطن الصلاة: ﴿يُرَآئُونَ الْإِنْسَانَ﴾ (النساء: ١٠٣).

واعلم أن الأعمال الظاهرة لها علاقة يعلم القائل (الفقيه) والأعمال الباطنة لها علاقة يعلم الخالي (المصروف) وهذان العلمان تعلمهما الصَّحابة رضوان الله عليهم أجمعين ويدل على ما قلناه الأحاديث الآتية:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَغَايَيْنِ: فَأَمَّا أَحَدُهُمَا: فَبَشْتُهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ: فَلَوْ بَشْتُهُ قَطَعَ هَذَا الْبُلْعُومُ).

[مشكاة مصاب العلم ص ٣٧]

قال المحدث الشهير، والفقيه النبيل علي بن سلطان محمد القاري رحمه الله تعالى في شرح هذا الحديث: (فَأَمَّا أَحَدُهُمَا) وهو علم الظاهر من الأحكام والأخلاق، (فَبَشْتُهُ) أي أفهركه بالتفكي فيكم، (وَأَمَّا الْآخَرُ) وهو علم الباطن (فلو بشتته) أي نشرته وذكرته لكم بالتفصيل (قطَعَ هَذَا الْبُلْعُومُ) بضم الباء أي الخلقوم، لأن أسرار حقيقة التوحيد مما يعسر التعبير عنه على وجه المراد.

[مرقاة المفاتيح ج ١ ص ٣١٣]

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بعدما ذُفِنَ سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ثَوَقِي الْيَوْمَ تِسْعَةَ أَغْشَارِ الْعِلْمِ، فَأَنْكَرَ بَعْضُ

الصُّحَابَةِ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَيْسَ الْمُرَادُ بِهِ
عِلْمُ الْخِيَصِ وَالْتِفَاسِ ، بَلِ الْمُرَادُ الْعِلْمُ بِاللَّهِ فَاقْتَنَعُوا أَجْمَعِينَ بِهَذَا
الْجَوَابِ فَتَحَقَّقَ الْإِجْمَاعُ السَّكُونِي لِلصُّحَابَةِ عَلَيْهِ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الصُّحَابَةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ مَا كَانُوا يَسْكُونُونَ عَلَى أَمْرِ يَخَالِفُ الشَّرْعَ ، بَلِ
كَانُوا سَيُوفًا مَسْلُوكَةً ضِدَّ الْبَاطِلِ .

لَا خِلَافَ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَنْ كَانَ
مَخْصُوصاً بِعِلْمِ أَسْمَاءِ الْمُتَأَفِّقِينَ كَانَ قَدْ أَسْرَهُ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى
كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يَسْأَلُهُ عَنْ نَفْسِهِ مَخَافَةً أَنْ يَكُونَ
مِنْهُمْ . فَيَقُولُ : هَلْ أَنَا مِنْهُمْ ؟

[اللمع ص ١٩ وانظر أسد الغاية ج ١ ص ٢٩١]

فَإِنَّ كَانَ لِبَعْضِ الثَّابِعِينَ فَضْلٌ عَلَى بَعْضِ الصُّحَابَةِ فِي عِلْمِ الْقَالِ
(كَالْفِقْهِ) فَرُبَّمَا كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَسْأَلُ عَنْ أَمْرِ
فَيَقُولُ : سَلُوا جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ وَلْيَعْمَلْ أَهْلُ بَصْرَى عَلَى فِتْوَاهُ ، وَعَبْدُ اللَّهِ
ابْنُ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَانَ يَقُولُ : سَلُوا سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ ، وَيَقُولُ
أَنْسَ : سَلُوا الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ إِنَّهُ خَفِظَ وَتَحَنَّنَ نَسِينَا وَلَا شَكَّ أَنَّ فَضْلَ
الصُّحَابَةِ فِي الْمَعْرِفَةِ وَالْيَقِينِ (عِلْمِ الْحَالِ) عَلَى الثَّابِعِينَ كَفَضْلِ الشَّمْسِ
عَلَى مَضِيحِ اللَّيْلِ وَيُمْكِنُ تَقْدِيرُ يَقِينِ الصُّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنْ رَوَايَةِ
حِكَايَا الْإِمَامِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ فِي الْمَصْنُفِ ، وَالْحَكِيمِ الثَّرْمَذِيِّ فِي فَضْلِ
الصَّلَاةِ ، وَابْنِ الْأَثِيرِ فِي أُسْدِ الْغَابَةِ أَنَّ الشَّيْخَ ﷺ سَأَلَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ
أَصْحَابِهِ (وَهُوَ خَارِثَةُ بْنُ سِرَاقَةَ الْأَنْصَارِيُّ الشَّهِيدُ بِبَدْرٍ) كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا
خَارِثُ؟ قَالَ : أَصْبَحْتُ مُؤْمِناً بِاللَّهِ حَقّاً . قَالَ : انْظُرْ مَا تَقُولُ يَا خَارِثُ إِنَّ
لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةً فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ؟

فَقَالَ : عَزَلْتُ نَفْسِي وَصَرَفْتُهَا عَنِ الدُّنْيَا فَاسْتَوَى عِنْدِي حَجَرُهَا
وَذَهَبُهَا وَفَضَّتْهَا وَمَدَرُهَا فَأَسْهَرْتُ لَيْلِي وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي حَتَّى صِرْتُ كَأَنِّي

أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزاً وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا
وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَصَارِعُونَ. وَفِي رَوَايَةٍ: يَتَعَاوَرُونَ. قَالَ
النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَى هَذَا عَرَفْتُ فَالزَّمْ»، وَفِي رَوَايَةِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ لَهُ:
«عَبْدُ ثَوْرِ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ إِنْ عَرَفْتُ فَالزَّمْ».

أَوْفَى أَسَدِ الْغَابَةِ ج ١ ص ٣٥٥ وَالْمَصْنُف ج ١١ ص ٤٣ مَخْصَرًا

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَقِيَ عَوْفَ
ابْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ؟ قَالَ: أَصْبَحْتُ
مُؤْمِنًا حَقًّا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ لَكُلُّ قَوْلٍ حَقِيقَةٌ فَمَا حَقِيقَةُ
ذَلِكَ؟» قَالُوا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَمْ نَعْلَمْ أَنَّهُ نَفْسِي عَنْ الْأَنْبِيَاءِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا
وَأُظْمِئَتْ هَوَاجِرِي وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا، وَكَأَنِّي
أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَصَارِعُونَ فِيهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَرَفْتُ».

الْمَصْنُف لابن أبي شَيْبَةَ ج ١١ ص ٤٢

عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْ بَدِثْتُ لِي الْجَنَّةَ وَالنَّارَ لَمَا أَزِدْتُ
يَقِينًا. وَرَوَى فِي فَضْلِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ زَوْجَتِهِ قَالَتْ: مَا كَانَ
فَضْلُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى سَائِرِ النَّاسِ بِكَثْرَةِ الصَّلَاةِ وَالصُّومِ، بَلْ
بَسْبَبِ يَقِينِ الْقَلْبِ (المعرفة). وَقَدْ حُكِيَ عَنْ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُرْنِيِّ أَنَّهُ
قَالَ: مَا فَاقَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَمِيعَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِكَثْرَةِ
الصُّومِ وَالصَّلَاةِ، وَلَكِنْ بِشَيْءٍ كَانَ فِي قَلْبِهِ، قَالَ بَعْضُهُمْ: الَّذِي كَانَ فِي
قَلْبِهِ الْحُبُّ لِلَّهِ وَالنُّصِيحَةُ لَهُ.

الْلَمْع ص ١٢٣

هَذَا الْعِلْمُ، هُوَ عِلْمُ الْحَالِ، وَهُوَ الْمُسَمَّى بِالتَّصَوُّفِ، وَهَذَا الْعِلْمُ
لَا يَتَأْتِي بِدَرَاةِ الْكُتُبِ، بَلْ لَا يَدَّ لِتَحْصِيلِهِ مِنْ تَرْكِ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا.
كَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ يَقُولُ: مَا أَذْرَكُنَا عِلْمَ التَّصَوُّفِ مِنْ طَرِيقٍ قَبِيلٍ وَقَالَ،

بَلْ أَذْرَكْنَاهُ بِتَرْكِ الدُّنْيَا وَلِذَلِكَ، فَنَتَحَقَّقُ أَنَّ أَتَهَارَ عِلْمُ الْقَالِ وَعِلْمُ الْحَالِ كُلُّهَا خَرَجَتْ مِنْ مَنَبِعِ النُّبُوَّةِ.

الدليل الثاني:

رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَلُونِي». فَهَاتِبُوهُ أَنْ يَسْأَلُوهُ، قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ فَجَلَسَ عِنْدَ رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا الْإِسْلَامُ؟... مَا الْإِيمَانُ؟... مَا الْإِحْسَانُ؟ (الحديث).

[مسلم ج ١ ص ٢٩]

هذه الأسئلة والأجوبة معروفةٌ بِحَدِيثِ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَالضُّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَسْأَلُونَ النَّبِيَّ ﷺ بِغَلِيَّةِ جَلَالِ النُّبُوَّةِ إِلَّا قَلِيلاً، فَأَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صُورَةِ إِنْسَانٍ لِيُعَلِّمَ الْحَفَاطِقَ الدِّينِيَّةَ لِيَسْأَلَ هُوَ وَيَجِيبَ مَعَهُمُ الْكَوْنِ حَتَّى تَمَلَأَ آذَانُ الضُّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنَ الْجَوَابِ الْعِلْمِيَّةِ، وَيَعْتَدُ أَنْ دَقَبَ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِنَّهُ جَبْرِيلُ أَتَاكُمْ يَعْلَمُكُمْ وَيُنَكِّمُ»، فَأَخْبِرْ بِقَوْلِهِ: «أَتَاكُمْ يَعْلَمُكُمْ وَيُنَكِّمُ» أَنَّ خُلَاصَةَ الْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ مُوجُودَةٌ فِي هَذِهِ الْأَجْوِبَةِ فَيُمْكِنُ تَقْسِيمُ جَمِيعِ الْأَحَادِيثِ عَلَى ثَلَاثِ شُعَبٍ:

✽ الْأَحَادِيثُ الَّتِي تَتَضَمَّنُ أَصُولَ الدِّينِ وَأَفْكَارَهُ.

✽ الْأَحَادِيثُ الَّتِي لَهَا عِلَاقَةٌ بِإِصْلَاحِ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ.

✽ الْأَحَادِيثُ الَّتِي لَهَا عِلَاقَةٌ بِإِصْلَاحِ الْإِنْسَانِ.

وَوَرَدَ فِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ ذِكْرُ هَذِهِ الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ جَمِيعاً فَمَوْضُوعُ إِصْلَاحِ الْعُقَايِدِ جَاءَ فِي: (مَا الْإِيمَانُ)؟

وَمَوْضُوعُ إِصْلَاحِ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَرَدَ فِي: (مَا الْإِسْلَامُ)؟.

وَأَمَّا مَوْضُوعُ إِصْلَاحِ الْأَخْلَاقِ فَيَتَضَمَّنُهُ: (مَا الْإِحْسَانُ)؟.

وَعَلَّمُوا أَنَّ بَيَانَ خِلَاصَةِ الدِّينِ كُلِّهِ فِي عِدَّةٍ جُمْلٍ إعجازَ نبويٍّ،
فهذا الحديث من جوامع الكلم.

كانت في ذات رسول الله ﷺ جامعةً كاملةً لجميع هذه الموضوعات
إلى الغاية. فسر هذه الشعب الثلاث حتى التفسير ونسرها وكان في الصحابة
جامعةً إلى حد ما، لكن وقع النقص فيها شيئاً فشيئاً بمرور الزمن إلى أن
دون علماء الأمة هذه الشعب في علوم ثلاثة مستقلة.

فدونوا علم الكلام لحفظ وشرح التوجيهات التي وردت في
الكتاب والسنة لتصحيح العقائد.

ودونوا علم الفقه لشرح عدي الكتاب والسنة للأعمال الظاهرة.

والأمور التي أرشد إليها الكتاب والسنة لإصلاح الباطن دون
لتفصيلاتها علم الإحسان وعلم الأخلاق وعلم التصوف، فالبارع في هذه
العلوم الثلاثة هو العبد يُرَى بأن يسمى محققاً وعالمياً كاملاً، فتبين من هذا
التفصيل أن هذه العلوم الثلاثة دونت تيسيراً على الأمة، وليست هي
وغيرها من العلوم الشرعية التي هي من العلوم الشرعية.

قال الشيخ زروق في كتابه إيقاظ الهمم: (النسبة التصوف من الدين
نسبة الزوج إلى الجسد).

وقال الشيخ مجدّد الألف الثاني في مکتوب له إلى الملا حاجي
محمد اللاهوري: (شعب الشرع ثلاث: علم وعمل وإخلاص، فما لم
تتحقق هذه الشعب الثلاث لم تتحقق الشريعة، ولما تحققت الشريعة
تحصل مرضاة الله التي هي فوق جميع سعادات الدنيا والآخرة.

الطريقة والحقيقة اللتان يمتاز بهما الصوفية اتخذتا الشريعة،
لتكميل الإحسان فلا غرض من تحصيلهما إلا تكميل الشريعة فقط، أما

الأحوال والمواجيد والعلوم والمعارف التي تحصل أثناء الطريق، فليست من المقاصد فيجب الوصول بقصد مجاوزة جميع هذه إلى مقام الرضا التي هي آخر منازل السلوك، فلا غاية لعبور منازل الطريقة والحقيقة سوى تحصيل الإحسان).

[المكتوبات ج ١ مكتوب ٣ و ٦]

قال الشيخ ولي الله المحدث الدهلوي رحمه الله: (ومقصود الطائفة العالية الصوفية حصول مشاهدة الحق كأنك تراه وذلك الحضور يسمونه مشاهدة بالقلب).

[الانتباه في سلاسل أولياء الله ص ٣٩]

الدليل الثالث:

قال علماء الأصول في تعريف الحديث المتواتر الذي يكون قطعي الثبوت: (الخبر المتواتر ما يكون له طرق بلا عدد معين تكون العادة قد آحالت نواظيرهم على الكذب (نحية الفكر)، فالخبر المتواتر ما يرويه هذا القدر من عدد الناس في كل زمان لا يسلم العقل السليم والطبع الإنساني نوافقهم على الكذب والاختراع، أو أن هذه ثمرة مكيدة، إذا ثبت هذا نقول: إن علم التصوف ثابت بالتواتر والتواتر، فمن القرن الثاني إلى الآن قد تعلم التصوف عدد كثير من المخلصين في كل قرن استفادوا بأنفسهم وأفادوا آخرين، وهذا الدليل يكفي لإيضاح حقيقة وإثبات شرعية علم التصوف. قال مفتخرة الهندي الشيخ الشاء ولي الله المحدث الدهلوي: (صحبتنا وتعلمنا آداب الطريقة والسلوك متصلة إلى رسول الله ﷺ بالسند الصحيح المستفيض المتصل).

قصارى القول:

أخذ الصحابة رضي الله عنهم من رسول الله ﷺ علم القال وعلم

الحال، واستمر من ذلك الوقت إشاعة هذه العلوم وتزويجها، وفي
العضد الحاضر بوسم علم الحال بالفقه أو الشريعة، وعلم الحال بعلم
التصوف والطريقة، ولا بد من هذين العلمين لتكميل إيمان الإنسان،
فكمما وجبت على الطالب دراسة كثير الدقائق والهداية، ووجب عليه أن
يدرس كتاب اللمع (لأبي نصر السراج) وقوت القلوب (لأبي طالب
المكي)، والأربعين (للإمام الغزالي)، وعوارف المعارف (للشيخ
الشهروردي)، والمكتوبات (للشيخ مجتهد الألف الثاني). وإن وجبت
الاستفادة من العسقلاني والقسطلاني للكمال في الرواية، فلا غفر من
الانتفاع بجنيد وبايزيد، لتحصيل الكمال في الدراية.

مكانة التصوف عند أخيار الأمة:

قال الشيخ أبو طالب المكي في قوت القلوب: (هما علما
أصليان لا يستغني أحدهما عن الآخر، بمنزلة الإسلام والإيمان مرتبط
كل منهما بالآخر كالجسم والقلب لا ينفك أحدهما من صاحبه).

يقول شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله: (الشريعة ظاهر
الحقيقة والخقيقة باطن الشريعة، وهما متلازمان لا ينم أحدهما إلا
بالآخر).

قال الإمام مالك بن أنس رحمه الله: (من تفقه ولم يتصوف فقد
تفلسف، ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزلزل، ومن جمع بينهما فقد
تحقق).

قال الشيخ العلامة محمد أمين الشامي رحمه الله: (الطريقة
والشريعة متلازمان).

أنشد الشاعر أثير إله آبادي رحمه الله في بيان الشريعة والطريقة
عدة أبيات جميلة بلغة أزدو وقناها:

اسمعوا مني هذا السر في كلمتين
 الشريعة في نادي المضططقي
 الشريعة في هذا السر في كلمتين
 الشريعة في نادي المضططقي
 في الشريعة صورة فتح بذور
 في الشريعة معنى ثقب الصدر
 في الشريعة قول وعمل الخبيب
 في الشريعة زواعة جمال الخبيب
 يوجد في النبوة هذان اللوثان
 قعبت الحرب بين الصوفي والعالم
 فثبت أن علم التصوف ليس بشيء أخذ عنه العجم بل هو مكين
 ومدني خالصاً، نعم أقوال الصوفية الجهال التي تخالف الكتاب والسنة
 مردودة دائماً.

قال الشيخ الإمام أبو القاسم القشيري رحمه الله: (كل شريعة غير
 مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول، وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير
 محضول).

قال الشيخ الإمام الرباني مجدد الألف الثاني رحمه الله: (كل
 طريقة رذلة الشريعة فهو زنادقة وإلحاد).

وقال أيضاً في مكتوباته: (مشايخنا لا يذفعون جواهر الشريعة
 النفيسة كالأطفال مغايل جوار وريب الخالي، ولا يميلون من النص إلى
 الفص، لا يلتفتون من الفتوحات المدلية إلى الفتوحات المكتبة عملهم
 رفيع).

وقال في مقام آخر: (لا عبادة بالرياضات والمجاهدات التي تلتزم
 بغير اتباع السنة لأن الكهان وبراهم الهند وفلايغه اليونان يلتزمونها أيضاً
 ولكنها لا تريد لهم إلا ضللاً).

المجلد الأول المکتوب رقم مائتين وواحد وعشرين

قال الشيخ الحاج أمداد الله المهاجر المكي رحمه الله: (ما يقول
 بعض الجهلاء من أن الشريعة شيء والطريقة شيء آخر، فذلك بسبب قلة

فهمهم فقط. الطريقة بغير الشريعة مردودة عند الله تعالى، أما صفاء القلب فتحصل للكفار أيضاً شأن القلب مثل المرأة إن كانت صديقة يمكن تنظيفها بالبول، ويمكن بماء الورود، لكن الفرق بينهما كما بين الثجاسة والعاهرة، اتباع السنة مقياس لمعرفة الولي، من اتبع السنة فهو ولي، ومن ابتدع فهو سخي، وأما العجائب فسوف تصدُر عن الدجال أيضاً.

[رجوع المدنيين ص ١٢٩]

قَالَ بَدْءُ السَّالِكِ أَنْ يَتَعَلَّمَ التَّصَوُّفَ مِنَ الْمَشَائِخِ الَّذِينَ يَطَائِقُ عِلْمُهُمْ وَعَمَلُهُمْ وَحَالُهُمْ وَقَالَهُمْ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَطَابَقَةً تَامَةً، وَلَا يَتَّبِعِي الْمِيلُ أَبَدًا إِلَى هَفَوَاتِ الْمُتَصَوِّفِينَ الْجَاهِلِينَ. تَقُولُ الْعَرَبُ: (خُذْ مَا صَفَا وَدَعْ مَا كَثُرَ).

البَابُ الثَّانِي

التَّصَوُّفُ مَا هُوَ ؟

قَدْ أَجَابَ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ : (التَّصَوُّفُ مَا هُوَ ؟) جَمَاعَةٌ بِأَجَوِبَةٍ مُخْتَلِفَةٍ : مِنْهُمْ الشَّيْخُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَوْلَدِ رَفِيَ رَحْمَةُ اللَّهِ ذَكَرَ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ جَوَابٍ فِي كِتَابِهِ نَتَقَلَ بَعْضُهَا مِنْهَا اخْتِصَارًا .

١ - سَأَلَ الشَّيْخَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْقَضَائِبَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَهُوَ مِنْ أَسَاتِذَةِ الشَّيْخِ جُنَيْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنِ التَّصَوُّفِ مَا هُوَ ؟ فَقَالَ :

(أَخْلَاقِي كَرِيمَةٌ ظَهَرَتْ فِي زَمَانٍ كَرِيمٍ مِنْ رَجُلٍ كَرِيمٍ مَعَ قَوْمٍ كِرَامٍ) .

٢ - قَالَ الشَّيْخُ الْجُنَيْدُ الْبَغْدَادِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التَّصَوُّفُ أَنْ تُغْرِضَ عَنِ الْخُلُقِ وَتَصِلَ بِاللَّهِ) .

٣ - قَالَ الشَّيْخُ زُوَيْمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التَّصَوُّفُ اسْتِزْسَالُ النَّفْسِ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى مَا يُرِيدُهُ) .

٤ - قَالَ الشَّيْخُ سَمْنُونُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

(التَّصَوُّفُ أَنْ لَا تَمْلِكَ شَيْئًا وَلَا يَمْلِكَكَ شَيْءٌ) .

٥ - قَالَ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْجَرِيرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

(التَّصَوُّفُ عَنِ الدَّخُولِ فِي كُلِّ خُلُقٍ سَنِيٍّ وَالْخُرُوجِ مِنْ كُلِّ خُلُقٍ

دَنِيٍّ) .

٦ - قَالَ الشَّيْخُ غَمْرُو بْنُ عَثْمَانَ الْمَكِّيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

(التَّصَوُّفُ أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ فِي كُلِّ وَقْتٍ بِمَا هُوَ أَوْلَى فِي الْوَقْتِ) .

[اللمع ص ٢٥]

٧ - قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ :

(التَّصَوُّفُ اسْمٌ مُرَادِفٌ لِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ مَنْ كَانَ أَحْسَنَ مِنْكَ خُلُقًا كَانَ أَحْسَنَ تَصَوُّفًا) .

٨ - قَالَ الشَّيْخُ الْمُرْتَعَشُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التَّصَوُّفُ مَجْمُوعُ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ) .

٩ - قَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَلِيٍّ الْقَزْوِينِي رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التَّصَوُّفُ يُقَالُ عَلَى أَخْلَاقٍ يَرْضَى بِهَا الرَّبُّ سُبْحَانَهُ) .

١٠ - قَالَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ النَّوْرِي رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التَّصَوُّفُ لَيْسَ بِعِبَارَةٍ عَنْ عِلْمٍ أَوْ فَنٍّ بَلْ هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ مَجْمُوعِ الْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ) .

١١ - قَالَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ خَضْرَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التَّصَوُّفُ عِبَارَةٌ عَنِ التَّزَكِّيَةِ مِنْ حُبِّ الْبَاطِنِ وَقَلْبِهِ) .

١٢ - قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْبَكْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التَّصَوُّفُ اسْمٌ لِإِقَامَةِ أَحْوَالِ النَّفْسِ عَلَى الصُّدْقِ) .

١٣ - قَالَ الشَّيْخُ أَبُو خَفْصٍ النِّسَابُورِي رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التَّصَوُّفُ كُلُّه أَدَابٌ، أَدَبٌ كُلِّ وَقْتٍ، أَدَبٌ كُلِّ حَالَةٍ، أَدَبٌ كُلِّ مَقَامٍ) .

١٤ - قَالَ مَعْرُوفُ الْكَرْخِي رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التَّصَوُّفُ الْأَخْذُ بِالْحَقَائِقِ وَالْيَأْسُ مِمَّا فِي أَيْدِي الْخَلَائِقِ) .

١٥ - قَالَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ شُنُجَةُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التصوّفُ فِي زَمَنِ كَانِ حَقِيقَةً بِلَا اسْمٍ، وَأَصْبَحَ الْيَوْمَ اسْمًا بِلَا حَقِيقَةٍ) .

١٦ - قَالَ الشَّيْخُ أَبُو حَمْزَةَ الْبَغْدَادِي رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التصوّفُ أَخَذَ الْعَفْوَ وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالْإِعْرَاضَ عَنِ الْجَاهِلِينَ) .

١٧ - قَالَ الشَّيْخُ بَهَاءُ الدِّينِ نَقِشْبَنْدِ الْبُخَارِي رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التصوّفُ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ الْإِجْمَالِيَّ تَفْصِيلِيًّا وَالْأَمْرُ الْاسْتِدْلَالِيَّ كَشْفِيًّا) .

١٨ - قَالَ الْإِمَامُ الرِّبَانِي مَجْدُدُ الْأَلْفِ الثَّانِي رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التصوّفُ عِبَارَةٌ عَنِ الْعَمَلِ بِالشَّرِيعَةِ مَعَ الْإِخْلَاصِ) .

١٩ - قَالَ الشَّيْخُ مَوْلَانَا مُحَمَّدُ أَشْرَفُ عَلِي التَّهَانَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التصوّفُ اسْمٌ لِمَحْوِ النَّفْسِ) .

٢٠ - قَالَ شَيْخُ الْحَدِيثِ مَوْلَانَا مُحَمَّدُ زَكَرِيَّا رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التصوّفُ مَا بَدَأَتْهُ : «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» وَنَهَايَتُهُ : «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ») .

٢١ - قَالَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ عَلِي اللَّاهُورِي رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التصوّفُ أَنْ تُؤْضُوا اللَّهَ بِالْعِبَادَةِ وَرَسُولَهُ بِالطَّاعَةِ وَخَلْقَهُ بِالْخِدْمَةِ) .

ما حصل من هذا الكلام :

الحياةُ جوهرٌ ثمينٌ مفوضٌ بربه إلى الإنسان، يخاضِبُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الإنسانَ في مقامٍ بقوله : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، وفي مقامٍ توجّهٍ بقوله : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا﴾ [الاسراء: ٧٠]، وفي مقامٍ أعزّه بتعليقٍ قِلَادَةٍ بقوله : ﴿فَقَسَمْنَا﴾ في عُنُقِهِ، فينبغي للإنسان أن يسلكَ على سبيل : ﴿وَبَقِلْ

﴿إِلَيْهِ نَبِيَّكُمُ﴾ (الزمر: ١٨) واضعاً أمانه ميثاق: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]
 ولا يستريح إلا بعد أن يبلغ إلى منزل: ﴿إِلَّا رَبَّكَ تُكِنُّهَا﴾ [الزمر: ١٤٤].
 ثم اعلّم أنه لا بد للوصول كل سيارة إلى المنزل من أمرين:
 أحدهما: أن يكون الشارع سالماً. وثانيهما: أن يكون البنزين موجوداً
 في السيارة، فإن لم يكن الشارع سالماً لا تجري عليه السيارة، وإن لم
 يوجد في السيارة بنزين لا تجري السيارة أيضاً، فهما متلازمان. فالإنسان
 كالسيارة والشرعة كالشارع والطريقة كالبنزين، فإن كان الإنسان يريد
 الوصول إلى الله تعالى، فهو محتاج إلى شارع الشرعة وبنزين الطريقة،
 فالذين يرفضون شيئاً من الشرعة أو الطريقة يجدون سياراتهم واقفة في
 الطريق. الحياة الناجحة أن يعيش الإنسان ملبياً على: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾
 متخلفاً به: «تَخَلَّفُوا بِأَخْلَاقِ الدِّينِ» متحلياً بالأوصاف المحمدية ليصل إلى
 بشارة: ﴿لَهُمُ الْبَقَرُ﴾ (يونس: ٦٤) ومنزل: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾
 (النوبة: ١٧٢) بعد أن دخل في حزب: ﴿وَلَا تَبْرَأْ إِلَى اللَّهِ﴾ (الزمر: ١٧) فهذا هو
 التصوف.

الباب الثالث

تحقيق كلمة «الصوفي»

استعمل للمؤمنين في القرآن والحديث كلمات كثيرة مثل :
الذاكرين ، والصّابرين ، والخاشعين ، والصّادقين ، والقائمين ، والمؤتمنين ،
والمخلصين ، والمحسنين ، والخائفين ، والوجلين ، والعبّادين ،
والمؤتمكّنين ، والمقرّبين ، والأبرار ، والفُقراء ، والعبّاد ، والأولياء ، وكان
السلف الصّالحون يختارون منها بعض الكلمات حيناً فحيناً عند التّحادث
فيما بينهم ، ولكن أصابت شهرة واسعة كلمتان : الفقراء والعبّاد . مثال
كل واحد منهما فيما يلي :

١ - قال الشيخ الحسن البصري رحمه الله مرة :

(يا معشر الفقراء إنكم تعرفون بالله وتكرمون لله ، فانظروا كيف
تكوّنون مع الله إذا خلوتم به) .

٢ - قال الشيخ العلامة ابن الجوزي رحمه الله في سيرة حمّز بن الخطاب
رضي الله عنه (ص ٢١٦) :

(قالت الشّفاء بنت عبد الله : رأيت فتيةً يُقصّدون في المشي
ويتكلمون زوياً ، قالت : ما هؤلاء ؟ قالوا : نساك (يعني عبّاد) .

أما كلمة : (الفُقراء) فتطلق على من يتصفون بالفقر ، وأما العبّاد
فهو الذين يشتغلون بالعبادة ، فكانت الكلمتان تشيران إلى صفات
موصوفيهما ، ولذا كان السلف الصّالحون يجنبون من الأسماء الدّالة على

صِفَاتِهِمُ الْبَاطِنَةُ وَمَقَامَاتِهِمْ خَشْيَةُ الرَّيَاءِ مُفْتَقِضِي الْأَدَبِ أَنْ يُنَادِيَ الْإِنْسَانَ حَسْبَ هَيْئَتِهِ الظَّاهِرَةِ، وَالْقُدْرَ الْمَشْتَرَكِ الظَّاهِرِ فِيمَا بَيْنَهُمْ لِبَاسِ الصُّوفِ، كَانُوا يَلْبَسُونَهُ عَلَى طَرِيقِ السُّنَّةِ، فَقَدْ نُقِلَ الشَّيْخُ عَلِيُّ الْهَاجِرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كَشْفِ الْمَحْجُوبِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِلِبَاسِ الصُّوفِ تَجِدُونَ خَلَاةَ الْإِيمَانِ فِي قُلُوبِكُمْ».

[كشف المحجوب مترجم ص ١٧٣]

فَنَظَرْنَا لِأَنَّ الصُّوفَ كَانَ مِنْ عَادَاتِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَشِعَارًا لِلْأَوْلِيَاءِ وَالْأَصْفِيَاءِ، تُسَبَّوْا إِلَى لِبَاسِهِمُ الظَّاهِرِ، فَصَارَ الصُّوفِيُّ اسْمًا عَامًّا وَمُجْمَلًا يَنْبَغِي عَنْ جَمِيعِ عُلُومِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ وَجَمِيعِ أَخْوَالِهِمُ الْمَحْمُودَةِ.

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو نُصَيْرٍ السَّرَاجُ الطُّوسِي رَحِمَهُ اللَّهُ: أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَ طَائِفَةً مِنْ خَوَاصِّ أَصْحَابِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَتَنَسَّبَهُمْ إِلَى ظَاهِرِ اللَّيْسَةِ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ قَالِ الْحَوَارِثُونَ﴾ الْآيَةَ (المائدة: ١١٤). وَكَانُوا قَرَمًا يَلْبَسُونَ الْبَيَاضَ، فَتَنَسَّبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى ذَلِكَ وَلَمْ يَنْسَبِهِمْ إِلَى نَوْعٍ مِنَ الْعُلُومِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَخْوَالِ الَّتِي كَانُوا بِهَا مَرْتَسِمِينَ، فَكَذَلِكَ الصُّوفِيَّةُ عِنْدِي.

[اللمع ص ٢١]

فَبَيَّنْتُ مِنَ الْأَدَلَّةِ الْمَذْكُورَةِ أَنَّ لَفْظَ الصُّوفِيِّ مُسْتَقٌّ مِنَ الصُّوفِ، هَذَا هُوَ أَكْثَرُ الْأَقْوَالِ وَأَثْبَتُهُ لُغَةُ الشَّيْخِ أَبُو بَكْرٍ إِبْرَاهِيمَ الْبُخَارِي الْقَلَابَاذِي فِي كِتَابِهِ: (التَّعَرُّفُ لِمَذْهَبِ الصُّوفِ) وَمُلَخَّصُهُ مَا يَأْتِي:

١ - قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: إِنَّ لَفْظَ الصُّوفِيِّ مُسْتَقٌّ مِنَ الصُّفَاءِ وَعَلَّلُوا أَنَّ مَقْصُودَهُ تَرْكِيبُ الْبَاطِنِ، وَلَوْ كَانَ كَذَا فَلْيَكُنِ اللَّفْظُ «صَفَاوِيًّا».

٢ - قَالَ الْبَعْضُ: إِنَّ لَفْظَ الصُّوفِيِّ مُسْتَقٌّ مِنَ الصَّفِّ وَعَلَّلُوا أَنَّهُمْ يَكُونُونَ

في الصُوفِ الأولى يَوْمَ الْقِيَامَةِ (إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى)، وَلَوْ كَانَ كَذَا فَلْيَكُنْ هَذَا اللفظُ «صَفِيًّا».

٣ - قَالَ الْبَعْضُ: إِنَّ لَفْظَ الصُّوفِيِّ مُشْتَقٌّ مِنَ الصُّفَّةِ وَعَلَّلُوا أَنَّهُمْ تَذَكَرُ أَصْحَابَ الصُّفَّةِ وَلَوْ كَانَ كَذَا فَلْيَكُنْ هَذَا اللفظُ «صَفِيًّا».

٤ - قَالَ الْبَعْضُ: إِنَّ هَذَا اللفظُ مُشْتَقٌّ مِنَ الصُّوفِ وَعَلَّلُوا أَنَّهُمْ يَلْبَسُونَ الصُّوفَ، وَالْمُنْسَوْبُ إِلَى الصُّوفِ «صُوفِي» فَعَلِمَ أَنَّ لَفْظَ «الصُّوفِي» مُشْتَقٌّ مِنْ لَفْظِ الصُّوفِ، وَغَرَضُهُ الصُّفَاءُ، وَهُوَ نِسْبَةٌ إِلَى أَصْحَابِ الصُّفَّةِ وَمِثْلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّفِ الْأَوَّلُ (إِنْ شَاءَ اللَّهُ).

وفي نسبة لفظ «الصُّوفِي» إِلَى الصُّوفِ حِكْمٌ عَدِيدَةٌ مِنْهَا:

١ - الصُّوفُ يَكُونُ لَبِنًا وَالصُّوفِي هُوَ الَّذِي يَجْتَهِدُ لَتَلْبِينِ الْقَلْبِ.

٢ - الصُّوفُ يَكُونُ أَبْيَضَ وَالصُّوفِي مَنْ يَجْتَهِدُ لَتَبْيِيضِ الْقَلْبِ كِبْيَاضِ الصُّوفِ.

٣ - الصُّوفُ لَا يَقْبَلُ شَيْئًا مِنَ اللَّوْنِ بِسَهُولَةٍ وَالصُّوفِي هُوَ الَّذِي صُبِغَ بِصِبْغَةِ اللَّهِ حَتَّى يَحِثُّ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُوَثَّرَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ.

ذَكَرَ أَسْئَلَةً مَشْهُورَةً حَوْلَ لَفْظِ «الصُّوفِي» مَعَ أَجَوِبَتِهَا:

السُّؤَالُ الْأَوَّلُ: هَلْ لِمَا خُذَ لَفْظُ الصُّوفِي ذِكْرُ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ؟

الْجَوَابُ: نَعَمْ. الْأَلْفَاظُ الَّتِي اسْتَنْتَحَتْ مِنْهَا كَلِمَةُ الصُّوفِي مَذْكُورَةٌ فِي

الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ، وَالتَّفْصِيلُ مَا يَأْتِي:

١ - قِيلَ: إِنَّ الصُّوفِيَّ مَأْخُوذٌ مِنَ الصَّفِّ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ لَمْ يَكُنْ

٢ - وَعَلَى الْقَوْلِ الثَّانِي لَفْظُ الصُّوفِي مَأْخُوذٌ مِنَ الصُّفَّةِ، فَفِي الْحَدِيثِ

عَنْ أَبِي جَحْثِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَغَيِّرَ

الْمُؤْنِ فَقَالَ: «ذَهَبَ صَفْوُ الدُّنْيَا وَبَقِيَ كَدُّهَا فَالْمَوْتُ الْيَوْمَ تَحْفَةُ لِكُلِّ مُسْلِمٍ».

[الرسالة القشيرية]

٣ - وَيُوفِّي الْقَوْلَ الثَّالِثَ لَفْظُ الصُّوفِي مَأْخُودٌ مِنَ الصُّفَةِ. وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ وَقَفَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِ الصُّفَةِ فَرَأَى فَقَرَّهَمَ وَجَهَدَهُمْ وَطَيَّبَ قُلُوبَهُمْ فَقَالَ: «أَبَشِّرُوا يَا أَصْحَابَ الصُّفَةِ فَمَنْ بَقِيَ مِنْ أُمَّتِي عَلَى النَّعَةِ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ رَاضِيًا بِمَا فِيهِ فَإِنَّهُ مِنْ رُفَقَائِي فِي الْجَنَّةِ».

[كشف المحجوب]

٤ - وَيُوفِّي الْقَوْلَ الرَّابِعَ لَفْظُ الصُّوفِي مَأْخُودٌ مِنَ الصُّوفِ. وَفِي الْحَدِيثِ: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَلْبَسُ الصُّوفَ وَيُرْكَبُ الْحِمَارَ).

السؤال الثاني: لَوْ كَانَتْ لِلْفِظِ الصُّوفِي أَهْمِيَّةٌ لَوْجَدَ بَعِينُهُ فِي الْقُرْآنِ

وَالْحَدِيثِ؟

الجواب: عَدَمُ وجودِ لَفْظِ بَعِينُهُ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ لَيْسَ دَلِيلًا عَلَى عَدَمِ أَهْمِيَّتِهِ وَعَلَى كَوْنِهِ غَيْرَ إِسْلَامِيٍّ، فَمَثَلًا لَفْظُ: «الْمُتَكَلِّمِينَ» بَعِينُهُ لَمْ يَذْكَرْ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ، فَهَلْ صَارَ عَدَمُ الْكَلَامِ غَيْرَ إِسْلَامِيٍّ؟ وَالْحَقِيقَةُ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ إثْبَاتُ الْعُقَائِدِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِدُونِهِ، وَهَكَذَا لَفْظُ: «الْتَّخَوُّ» لَيْسَ بِمَوْجُودٍ فِي الْقُرْآنِ، فَهَلْ أَصْبَحَ عِلْمُ التَّخَوُّ عَيْبًا غَيْرَ مُفِيدٍ مَعَ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُفْهَمَ الْقُرْآنُ وَالْحَدِيثُ بِدُونِهِ.

السؤال الثالث: لَمْ يَكُنْ يُطْلَقُ «الصُّوفِي» فِي قُرْنِ الصَّحَابَةِ عَلَى

أَحَدٍ؟

الجواب: كَانَ لِصُحْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ مَرَّةٌ خَاصَّةٌ، فإِطْلَاقُ غَيْرِ لَفْظِ الصَّحَابِيِّ عَلَى مَنْ تَشَرَّفَ بِهَذِهِ النِّعَةِ يُعْتَبَرُ سَوْءَ الْأَدَبِ فِي حَقِّهِ. كَانَ

الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ بِبِرْكَةِ هَذِهِ النَّسَبَةِ وَالصَّحْبَةِ رُؤَسَاءِ وَقَوَادِ الزَّهَادِ وَالْعَابِدِينَ وَالْمُتَوَكِّلِينَ وَالضَّاهِرِينَ وَالْمُطِيعِينَ وَالْفُقَرَاءَ، خَالَهُمْ أَفْضَلُ وَأَعْلَى مِنْ أَحْوَالِ الْجَمِيعِ، فَغَيْرُ مُنَاسِبٍ تَفْضِيلُهُمْ بِشَيْءٍ غَيْرِ هَذِهِ الْفَضِيلَةِ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «خَيْرُ أَفْتِي قُرَيْشٍ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوتُهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوتُهُمْ» متفق عليه.

[مشكاة المصابيح ج ٢ ص ١٩٩٥ طبع بيروت]

فَجَمِيعُ مَقَادَاتِ الدُّنْيَا وَخَيْرَاتِهَا لَا يُمْكِنُ أَنْ تُضْبَحَ بِدِيْلَا صَالِحًا مِنْ صَحْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. سَمِعْتُ الْإِمَامَ الشَّافِعِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (صَنِ الْأَفْضَلُ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ أَوْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ)؟ فَأَجَابَ: إِنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا خَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْجِهَادِ فَمَا أَصَابَ مِنَ الثَّرَابِ فِي أَثْفَى، ذَلِكَ الثَّرَابُ أَفْضَلُ مِنْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ. وَلِذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّ الْأَتْقِيَاءَ وَالْأَصْفِيَاءَ وَالْأَوَّلِيَاءَ مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَلَفَعُوا رَتَبَةً أَدْنَى صَحَابِيٍّ مِنْ أَصْحَابِ الرَّسُولِ ﷺ.

وَالَّذِينَ تَشَرَّفُوا بِصُحْبَةِ أَصْحَابِ الرَّسُولِ ﷺ سُمُّوا الثَّابِعِينَ، وَالَّذِينَ تَشَرَّفُوا بِصُحْبَةِ الثَّابِعِينَ سُمُّوا تَبِعِ الثَّابِعِينَ، فَهَذِهِ النَّسَبُ الثَّلَاثُ شَيْءٌ عَنِ الْخَيْرِ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ الْمَذْكُورِ أَغْلَاهُ. وَلِذَا كَانَ كُلُّ شَخْصٍ سَعِيداً لِنَفْسِهِ بِإِدَاءِ هَذِهِ النَّسَبَةِ، وَاشْتَهَرَ مَشَايِخُ الْأَمَةِ بَعْدَ الصَّحَابَةِ وَالثَّابِعِينَ بِأَسْمِ الصُّوفِيَّةِ، وَذَاتِ الْأَلَسَّةِ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ قَبْلَ الْقُرْنِ الثَّانِي الْهَجْرِيِّ وَفَقاً لِتَحْقِيقِ الْإِمَامِ الْقَشِيرِيِّ.

السُّؤَالُ الرَّابِعُ: مَنْتَى اسْتَعْمَلَ لَفْظَ الصُّوفِيٍّ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ؟ قِيلَ: إِنَّهُ اخْتَرَعَ أَهْلُ بَغْدَادَ؟

الْجَوَابُ: ذَكَرَ الشَّيْخُ أَبُو النَّضْرِ السَّوَّاجُ الطُّوسِي رَحِمَهُ اللَّهُ نَاقِلًا

عن أخبار مكة برواية محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله وأناس آخرين: إن مكة قد خلت قبل الإسلام في وقت من الأوقات حتى كان لا يطوف بالبيت أحد، كان يجيء من بلد بعيد رجل صوفي يطوف بالبيت وينصرف، فإن صبح هذا فهو يدل على أن هذا الاسم كان يُعرف قبل الإسلام، وكان يُنسب إليه أهل الفضل والصلاح، والله أعلم.

[اللمع ص ٢٢]

وأما في زمن الشيخ الحسن البصري رحمه الله الذي تُشرف بصحبة ثمانية عشر صحابياً بدرياً، واستفاض من علي كرم الله وجهه فيضاً باطنياً، فاستعمل لفظ الصوفي أمر متيقن. قال الشيخ أبو النصر السراج الطوسي رحمه الله:

(وَأَمَّا قَوْلُ الْغَائِلِ: إِنَّهُ اسْمٌ مُحَدَّثٌ أَحَدُهُ الْبَغْدَادِيُّونَ، فَمَحَالٌ لِأَنَّ فِي وَقْتِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَجِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى كَمَا يَعْرِفُ هَذَا الْاسْمُ، وَكَانَ الْحَسَنُ قَدْ أَذْرَكَ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَضِيَ عَنْهُمْ، وَقَدْ رَوَى عَنْهُمْ أَنَّهُ قَالَ: رَأَيْتُ صُوفِيًّا فِي الطَّوَافِ فَأَعْطَيْتُهُ شَيْئاً فَلَمْ يَأْخُذْهُ وَقَالَ: مَعِيَ أَرْبَعَةُ دَوَانِيْقٍ فَيُكْفِينِي مَا مَعِيَ).

[اللمع ص ٢٢]

فعلم أن لفظ الصوفي كان يستعمل أحياناً في زمن التابعين، وكثر استعماله في زمن تبع التابعين، ثم اشتهر بعده قبل القرن الثاني من الهجرة. كان الإمام سفيان الثوري رحمه الله يقول لشيخ في وقته: «أبو هاشم الصوفي»، والإمام أحمد بن حنبل رحمه الله كان يقول لشيخ في وقته: «أبو حمزة البغدادي الصوفي رحمه الله».

الصوفي من هو؟

سُئِلَ تلميذ الشيخ الحسن البصري عبد الواحد بن زيد رحمه الله

تعالى: الصوفية من هم؟ فقال: هم الذين يقومون بعقولهم على عزائهم ويستقيمون بقلوبهم عليها، ويتمسكون بمولاهم اتقاء من شروء أنفسهم.
سئل ذو الثون المصري رحمه الله تعالى؟ فقال: الصوفي الذي لا يتعبه الطلب ولا يحزن بسبب الجزمان.

سئل أبو محمد رؤيم؟ فقال: الذي يوافق عمله قوله.
وأجاب عارف عن هذا السؤال: إن الصوفي الذي يصفو في الكدر، ويملا بالفكر، لحصول قرب الله تعالى منقطع من البشر، التراب والذهب سواء في النظر.

قال الشيخ شبلي رحمه الله: الصوفي الذي يتقطع عن الخلق ويتصل بالحق.

مُخَلَّصَةُ الْكَلَامِ:

الصوفي الذي يذكره صنوت الحينوانات، وكل طرب ومزمار، وثريد الغصافير وعرف الأزهار وتمایل الخضراء ولمعان الجواهر ونور الشمس والسماء والسمك، ولون الأشجار والزجاج والحجر، وشدة الحجر، والسعادة والشقاوة وعمومة الأرض وحرارة النار، وجريان البحر، والكواكب السماوية، وعلو الجبال والصحاري والحدائق والحريف والربيع، وبالجملة كل شيء يذكره ذاتاً غير مدركة بالأبصار،
الله الله الله.

الباب الرابع

إثبات بيعة الطريقة شرعاً

وَصَلَ تَخْلُفَ الْأَمَةِ الْيَوْمَ إِلَى حَدِّ أَنْ الصَّدَقَ يَخْتَلِطُ بِالْكَذِبِ،
وَالْجَبْدُ يَتَّحِدُ مَعَ الرَّدْيِ، فَكَمَا دَخَلَ عُلَمَاءُ السَّوءِ فِي ضُفُوفِ عُلَمَاءِ
الْحَقِّ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعِلْمَ الظَّاهِرَ، كَذَلِكَ دَخَلَ فِي زِيٍّ مَشَابِغِ أَهْلِ
الْحَقِّ خَائِلُوا الْعِلْمَ الْبَاطِنِ مَتَّبِعُوا النَّفْسَ.

وَصَلَ التَّنَزُّلُ الرُّوحَانِي وَالْبَاطِنِي فِي عَامَّةِ النَّاسِ إِلَى حَدِّ أَنْ جَعَلُوا
بَيْعَةَ الطَّرِيقَةِ فَرِيضَةً، وَوَضَعُوا بِهَا إِلَى تَرْكِ الْفَرَائِضِ وَإِلَى التَّفْرِيقِ بَيْنَ
الشَّرِيعَةِ وَالطَّرِيقَةِ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا، وَطَائِفَةٌ أُخْرَى زَعَمُوا بَيْعَةَ الطَّرِيقَةِ بِدْعَةً
وَضَلَالَةً وَقَامُوا بِمُخَالَفَتِهَا وَرَفَقُوا ضِدَّهَا، فَيَا أَسْفَى. فَلَا بُدَّ لِأَهْلِ الْحَقِّ
مِنْ مُكَارَبَةِ طَائِفَتَيْنِ: أَهْلِ الْإِفْرَاطِ وَأَهْلِ التَّفْرِيطِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، حَتَّى
يَعْرِضَ أَحْكَامَ الشَّرِيعَةِ مَنْقُوعَةً، وَيُوضِحَ الْحَدَّ الْغَاصِلَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.
وَفِيمَا يَلِي ذِكْرُ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ لِبَيْعَةِ الطَّرِيقَةِ.

تعريفُ البَيْعَةِ: البَيْعَةُ اخْتِذُ الْعَهْدِ مِنَ النَّاسِ عَلَى أَمْرِ شَرْعِيٍّ لِيَلْتَزِمُوا
بِهِ سَوَاءً أَكَانَ الْعَهْدُ لِلتَّزَامِ الشَّرِيعَةِ كَامِلَةً أَمْ لِأَمْرٍ خَاصٍّ مِنْهَا. يَتَّبِعُ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّحَابَةَ أَرْبَعَةَ أَنْوَاعٍ وَالتَّفْصِيلُ فِيمَا يَلِي:

١ - بَيْعَةُ الْإِسْلَامِ: عِنْدَمَا كَانَ شَخْصٌ يَرِيدُ الدُّخُولَ فِي الْإِسْلَامِ
وَإِظْهَارَ الْهَرَاءَةِ مِنَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِبَايَعِهِ.
خُضِرَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ فِي مَوْسِمِ الْحَجِّ وَبَايَعُوا النَّبِيَّ ﷺ. ذِكْرُ بَيْعَةِ

العقبة الأولى والثانية مروجود في كُتُب الحديث والسيرة المعتمدة .

٢ - بيعة الجهاد : أَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْخُدَيْبِيَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ عَهْدًا أَلَّا يَقُولُوا
إِنْ وَقَعَتِ الْحَرْبُ ، بَلَّ يُحَارِبُونَ الْعَدُوَّ مَا بَقُوا . قَالَ تَعَالَى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايَعُوكَ عَتَايَ الْخَيْبَرِ ﴾ [الفتح : ١٨] .

إِنَّ سَلَمَةَ بْنَ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْبَيْعَةِ سُئِلَ
مَرَّةً : عَلَى أَيِّ شَيْءٍ بَايَعْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ يُؤَمُّ الْخُدَيْبِيَّةَ ؟ قَالَ : بَايَعْنَاهُ عَلَى
النُّبُوَّةِ .

(مسند أحمد ج ٤ ص ٥١)

وَاللَّهُ تَعَالَى رَضِيَ بِهَذَا الْعَمَلِ حَتَّى قَالَ : ﴿ إِنَّ أَوْلَىٰ بِكُم بِبَايَعَتِكُمْ إِذْمَا
يَبَايَعُوكَ اللَّهُ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [سورة الفتح : ١٠] .

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : جَعَلَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ يُخْفَرُونَ
الْخُدُقَ وَيَنْقَلِبُونَ الثَّرَابَ وَهُمْ يَقُولُونَ :

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا عَلَى الْجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدًا

(متفق عليه)

٣ - بيعة الهجرة : قَالَ الْحَارِثُ بْنُ زِيَادٍ السَّاعِدِيُّ : أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
يَوْمَ الْخُدَيْبِ وَهُوَ يَبَايِعُ النَّاسَ عَلَى الْهَجْرَةِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ !
بَايِعْ هَذَا عَلَى الْهَجْرَةِ ، فَقَالَ : « وَمَنْ هَذَا ؟ » قُلْتُ : حَزْرَطُ بْنُ يَزِيدَ وَهُوَ
ابْنُ عَمِّي ، فَقَالَ : « إِنَّكُمْ مَغَشَّرَ الْأَنْصَارِ لَا تُهَاجِرُونَ إِلَى أَحَدٍ ، وَلَكِنْ
النَّاسُ يَهَاجِرُونَ إِلَيْكُمْ » ، أَخْرَجَهُ ابْنُ مَنْدَه وَأَبُو نَعِيم .

(أسد الغاية ج ٢ ص ٦٥)

٤ - بيعة التوبة (بيعة الطريقة) : أَحْيَانًا بَايَعَ النَّبِيُّ ﷺ الصَّحَابَةَ عَلَى تَرْكِ
بَعْضِ الْمَعَاصِي . وَذَلِكَ لِتَعْلِيمِ الْأُمَّةِ .

رَوَى الشَّيْخَانِ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

وَحَوْلَهُ عَصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: «بَايَعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَغْضُوا فِي مَعْرُوفٍ. فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَهُوَ إِلَيَّ إِنَّ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ». فَبَايَعْنَا عَلَى ذَلِكَ. مَبْتَقٍ عَلَيْهِ.

[شرح السنة ج ١ ص ٤٦١]

كلمة [أَصْحَابِهِ] في قوله: «وَحَوْلَهُ عَصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ» تدلُّ على أَنَّ هؤلاء المُبَايَعِينَ كَانُوا تَشَرَّفُوا بِبَيْعَةِ الْإِسْلَامِ مِنْ قَبْلُ، وَقَدْ دَخَلَ الْإِسْلَامَ فِي قُلُوبِهِمْ. بَلَّغَهُمْ نَظَرُهُ رَحِمَهُ مَنْ بَعِثَ رَحِمَهُ لِلْعَالَمِينَ إِلَى ارْتِفَاعَاتِ رُوحَانِيَّةٍ لَنْ يَصِلَ إِلَيْهَا أَوْلِيَاءُ الْأُمَّةِ، بَايَةِ بَيْعَةِ هَذِهِ؟ بُويعَ هَؤُلَاءِ الصُّحَابَةُ بِبَيْعَةِ الثَّوْبَةِ. يَنْشَأُ فِي بَعْضِ الْأَذْهَانِ اسْتِئْذَانٌ نَذَرُهَا وَنَذَرُ أَجُوبَتِهَا.

س ١: لماذا احتاج الصُّحَابَةُ إِلَى هَذِهِ الْبَيْعَةِ وَقَدْ وَصَّلُوا إِلَى هَذِهِ الْمَعَالِي؟
جـ: لِتُعْلِمَ الْأُمَّةَ وَاجْتِنَابَ الْمَعَاصِي الْكَبِيرَةِ، يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «وَلَا تَسْرِقُوا وَلَا تَزْنُوا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ».

س ٢: مَا فَائِدَةُ هَذِهِ الْبَيْعَةِ لِلصُّحَابَةِ؟

جـ: رَجَاءُ تَبَلُّغِ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ».

س ٣: تَرَكَ الْكِبَائِرَ لِأَزَمَ عَلَى أَهْلِ الْإِيمَانِ بِنَفْسٍ نَطَقَ كَلِمَةُ الشَّهَادَةِ، فَالْعَهْدُ عَلَى تَرَكِ هَذِهِ الْمَعَاصِي وَبِالْبَيْعَةِ وَعَلَى يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَبْدُو لِعَوَا؟

١ - أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي سُورَةِ الْمُؤْتَفِكَةِ بِأَخْذِ مِثْلِ هَذِهِ الْبَيْعَةِ مِنْ

الصَّحَابِيَّاتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ . فِي سُورَةِ الْمُفْطِحَةِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ بِيَاغِكَ عَلَيَّ أَنْ لَا بَشَرُ لَكَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكَ وَلَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَكُونُ أَوْلَىٰ لَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِتَهْنِئَةٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَلَا يَقْعِبُونَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَيَاغِيَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرُ لهنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (الممتحنه: ١١٢) . وَكَانَ يُمْكِنُ لَهُمُ التَّوْبَةُ مِنَ الْمَعَاصِي فِي الْيَتِيمِ وَلَكِنْ فِي الْبَيْعَةِ عَلَى يَدِ النَّبِيِّ ﷺ فَائِدَةٌ لَا تُوجَدُ فِي غَيْرِهِ ، وَهُوَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَسْتَغْفِرُ لَهُمْ بِلِسَانِهِ الْمُبَارَكِ عِنْدَ التَّيَعُّنِ ، فَكَانَتِ النَّتِيجَةُ مَا ذُكِرَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ . قَالَ تَعَالَى فِي هَذَا الشَّأْنِ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ عَلَّمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءَهُمْ وَكَفَرُوا بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (النساء: ٦٤) ، ذُكِرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُهُ : ﴿ وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ﴾ مَعَ قَوْلِهِ : ﴿ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ (الرَّسُولُ) ، وَقَالَ فِي الْآخِرِ : ﴿ لَوْ جَدُّوا اللَّهَ تَوَكَّأَ رَحِيمًا ﴾ . فَعَلِمَ أَنَّ فَائِدَةَ الْبَيْعَةِ عَلَى يَدِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ نَبِيَّ الرَّحْمَةِ ﷺ يَسْتَغْفِرُ لَهُمْ فَيَغْفِرُ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ بِسَبِيهِ . وَهَذِهِ الْبَيْعَةُ تُسَمَّى الْيَوْمَ بَيْعَةَ الطَّرِيقَةِ .

س ٤ : هَلْ هُنَاكَ رَوَايَاتُ أُخْرَى فِي بَيْعَةِ التَّوْبَةِ؟

ج : نَعَمْ ، هُنَاكَ رَوَايَاتٌ عَدِيدَةٌ . رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ وَابْنُ مَاجَهٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَايَعَ طَائِفَةً مِنَ الْمُشَاهِرِينَ أَلَّا يَسْأَلُوا أَحَدًا . وَتَمَامُ الْحَدِيثِ : أَنَّ عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً فَقَالَ : أَلَّا تَبَايَعُونَ رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقُلْنَا : قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! فَعَلَّامَ تُبَايِعُكَ ؟ قَالَ : « عَلَى الْأَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَالصَّلَاةَ وَالْخُمْسَ وَطُطِيعُوا » (وَأَسْرَ كَلِمَةُ خَفِيَّةٌ) . « وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا » . فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أَوْلَئِكَ النَّفَرِ يَسْغُطُ سَوْطَ أَخِيهِمْ ، فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا بِنَاوِلِهِ [يَا] .

وعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى التَّضَحِّي لِكُلِّ مُسْلِمٍ.

[مسلم ج ١ ص ٧٥]

عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: (أَخَذَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ الْبَيْعَةِ أَلَّا نَتَوَخَّعَ).

[بخاري ج ١ ص ٢٠٣ بتحقيق فؤاد عبد الباقي]

عَنْ ابْنِ عُثْمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا نَبَايِعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، يَقُولُ لَنَا: «فِيمَا اسْتَطَعْتُمْ».

[مسلم ج ٣ ص ١٤٩٠ بخاري ج ٤ ص ٢٤٥ مع حاشية السندي]

س ٥: ثَبِتَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ عِدَّةُ أَنْوَاعٍ مِنَ الْبَيْعَةِ وَلَكِنْ لَمْ يَثْبُتْ فِي زَمَنِ الصُّنْحَابَةِ سِوَى بَيْعَةِ الْخِلَافَةِ وَبَيْعَةِ الْجِهَادِ.

ج: يُكْفَى فِي الْجَوَابِ لِاسْتِكْثَاتِ الْخَصْمِ أَنَّهُ إِذَا ثَبِتَ عَمَلٌ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَا حَاجَةَ إِلَى ثُبُوتِهِ مِنْ غَيْرِهِ، وَالْجَوَابُ الْحَقِيقِيُّ؛ أَنَّهُ ثَبِتَ عَنْ سَيِّدِنَا الصَّدِّيقِ وَسَيِّدِنَا عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَلِذَلِكَ يُوجَدُ عِنْدَ جَمِيعِ أَهْلِ الطَّرِيقَةِ شَجَرَاتُ سُلَيْبِهِمْ.

كَانَ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ يَبَايِعُونَ لِلْخِلَافَةِ فَكَانَتْ بَيْعَةُ الثَّوْبَةِ دَاخِلَةً فِيهَا، وَلَمْ يَبَايِعْ غَيْرُهُمْ حَتَّى لَا يَسْتَحْبِبَ بَيْعَةُ الْخِلَافَةِ، وَلَا تَقَعُ فِتْنَةٌ بَلْ كَانَ يُكْتَفَى بِالصَّحْبَةِ. وَلَمَّا انْتَهَى عَصْرُ الْخِلَافَةِ الرَّاشِدَةِ، وَاقْتَصَرَ أَمْرُ الْخِلَافَةِ بِتَنْظِيمِ أُمُورِ الدَّوْلَةِ، أَخْبَا السَّلَفُ الصَّالِحُونَ سُنَّةَ بَيْعَةِ الثَّوْبَةِ (بَيْعَةِ الطَّرِيقَةِ). وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مَا رَأَيْتُ هَذِهِ السُّنَّةَ جَارِيَةً سَارِيَةً فِي الْأُمَّةِ حَتَّى الْيَوْمِ.

س ٦: مَا حُكْمُ بَيْعَةِ الثَّوْبَةِ، هَلْ هِيَ فَرَضٌ أَوْ وَاجِبٌ؟

ج: لَيْسَتْ بِفَرَضٍ وَلَا وَاجِبٍ، بَلْ هِيَ سُنَّةٌ، نَعْمَ تَحْتَ الْفَرَائِضِ بِهَذِهِ السُّنَّةِ.

س ٧ : إن لم يبايع أحد فماذا يكون؟

ج : يُحْرَمُ مِنْ بَرَكَاتِ هَذِهِ السَّنَةِ . قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : «مَنْ تَمَسَّكَ بِسُتَيْيِ عِنْدَ قَسَادِ أَمْتِي فَلَهُ أَجْرُ مِائَةِ شَهِيدٍ» .

[مشكاة المصابيح ص ٣٠ الترغيب والترهيب ج ١ ص ٨٠]

س ٨ : هل يبايع هذه البيعة كل عالم أو صوفي؟

ج : كَمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ فَوَّضَ سَيِّدَنَا الصُّدِّيقَ الْخِلاَفَةَ وَالنُّعْمَةَ الْبَاطِنَةَ ، كَذَلِكَ جَرَتْ هَذِهِ السَّلْسِلَةُ مِنَ الصُّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَمَا زَالَتْ تَنْقَلِبُ هَذِهِ النُّعْمَةُ إِلَى الْيَوْمِ إِلَى أَوْلِيَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ حُذْرًا فَصَدْرًا فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُبَايَعَ إِلَّا مَنْ صَحِبَ وَلِيًّا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ ، وَوَجَدَ النُّعْمَةَ الْبَاطِنَةَ وَفَوَّضَ إِلَيْهِ الْأَوْلِيَاءُ هَذِهِ الْعَهْدَةَ . وَمِثَالُ مَنْ بَدَأَ الْبَيْعَةَ بِنَفْسِهِ كَالْأَنْبِيعِ الَّذِي تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ لَا يَنْدُرِي شَجَرَهُ ، فَلَا يَجُوزُ التَّوْبَةُ بِالْبَيْعَةِ عَلَى يَدِ مِثَالِ هَذَا .

س ٩ : هل يجوز للمرأة أن تبايع الناس؟

ج : لَا شَكَّ أَنَّهُ يُنْكُرُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَبْلُغَ إِلَى أَعْلَى مَرَاتِبِ الْوِلَايَةِ ، وَلَكِنْ الشَّرِيعَةُ لَمْ تَحْمِلْ مَسْئُولِيَّاتِ مَنْصِبِ الرُّشْدِ وَالْهِدَايَةِ عَلَى كَوَاهِلِهَا الضَّعِيفَةِ ، وَلِذَلِكَ لَمْ تَجْعَلْ أَيَّ امْرَأَةٍ نَبِيَّةً ، فَهِيَ وَإِنْ تَشَرَّفَتْ بِكَوْنِهَا وَابِلَةً النَّبِيِّينَ ، بَلْ وَضَعَ اللَّهُ ثِقْلَ النُّبُوَّةِ عَلَى كَوَاهِلِ الرِّجَالِ ، فَفَوَّضَتْ وَرَائَهُ الْأَنْبِيَاءُ أَيْضاً إِلَى الرِّجَالِ فَقَطْ ، فَلَا يَجُوزُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تُبَايَعَ النَّاسُ .

س ١٠ : هل يجب في البيعة النطق بالكلمات بعد وضع اليد في اليد؟

ج : النَّطْقُ بَعْدَ وَضْعِ الْيَدِ بِالْيَدِ فَلْيَعْمَلْ بِهَا وَإِنْ كَانَ عَدَدُ النَّاسِ كَثِيراً ، فَلْيَبْسُطُوا رِءَاءً وَلْيَتَمَسَّكُوا بِهِ جَمِيعاً وَهُوَ أَيْضاً عَمَلُ نَبِيِّ . كَانَ الْحَاجِرُ عِنْدَ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ صَغِيراً ، وَكَانَ الْحَامِلُونَ كَثُراً فَوَضَعَهُ

النبي ﷺ في رِثَائِهِ فَأَخَذَ الْجَمِيعُ الرِّثَاءَ وَحَمَلُوا الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ.

[سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٠٩]

وَأِنْ كَانَ النَّاسُ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ تَجُوزُ الْبَيْعَةُ بِنَظَرِ الْكَلِمَاتِ بَعْدَ النِّيَّةِ،
هَكَذَا بَايَعَ الصَّحَابَةُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْجِهَادِ. قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: قَالَ عِكْرَمَةُ
ابْنُ أَبِي جَهْلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِوَعْدِهِ - يَعْنِي يَوْمَ الْيَرْمُوكِ -: فَأَتَيْتُكَ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَأَفَرُّ مِنْكُمْ الْيَوْمَ؟ ثُمَّ تَأَدَّى: مَنْ يَبَايِعُنِي
عَلَى الْمَوْتِ؟ فَبَايَعَهُ عَمَّةُ الْحَارِثِ بْنُ هِشَامٍ، وَضُرَّارُ بْنُ الْأَزْوَجِ فِي
أَرْبَعِمِائَةٍ مِنْ وَجُوهِ الْمُسْلِمِينَ.

[أُسْدُ الْغَابَةِ ج ٤ ص ٦]

س ١١: هل يَبَايِعُ النِّسَاءُ بَوْضِعِ الْأَيْدِي فِي الْأَيْدِي؟

ج : كَلَّا: كَانَ مِنْ عَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَبَايِعُ النِّسَاءَ مِنْ وَرَاءَ
حِجَابٍ بِغَيْرِ لُصْبِي. عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَا مَسُّ
النَّبِيِّ ﷺ بِيَدِهِ امْرَأَةً قط إِلَّا أَنْ يَأْخُذَ عَلَيْهَا فَيُؤَاخِذُهَا بِهَا
وَأَعْطَتْهُ قَالَتْ: «أَذْهَبِي فَقَدْ بَايَعْتُكَ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ،
وَمُسْلِمٌ، وَأَبُو دَاوُدَ.

[جامع الأصول ج ١ ص ٢٥٨]

س ١٢: هل يَجُوزُ بَيْعَةُ الْأَطْفَالِ؟

ج : نَعَمْ، يَجُوزُ. قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا أَخْضَرَهُ أَبُوهُ الزُّبَيْرُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَبَايَعَهُ وَغُفِرَ لَهُ سَبْعُ
سِنِينَ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ مَقْبَلًا تَهَيَّأَ ثُمَّ بَايَعَهُ.

[أُسْدُ الْغَابَةِ ج ٣ ص ١٦٢، وَانْظُرْ حَيَاةَ الصَّحَابَةِ ج ١ ص ٢٥٠]

س ١٣: هل يَجُوزُ بَيْعَةُ غَائِبٍ؟

ج : نَعَمْ، بَايَعَ النَّبِيُّ ﷺ الصَّحَابَةَ فِي الْحُدَيْبِيَّةِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، فَأَدْخَلَ

النبي ﷺ سيدنا عثمان رضي الله عنه في البيعة وكان حينئذ يمكة المكمومة .

[تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٨٧ ، سيرة ابن هشام ج ٢٦٥]

س ١٤ : هل يجوز البيعة بواسطة الرسالة أو الهاتيف؟

ج : نعم، لما ثبت جواز بيعة الغائب دخلت فيه البيعة بواسطة الرسالة ويجوز البيعة بواسطة الهاتيف بدرجة الأولى .

س ١٥ : هل يجوز في وقت واحد مبايعة مشايخ عدة؟

ج : لا ، لا يجوز أن يبايع في وقت واحد إلا شيخاً واحداً . مثقال : من يبايع كل واحد كالمعلقة يكون غرقاً في كل نوع من الأطعمة ، ولكنه يبقى مخرجاً من التدقيق .
ع : أخذ واحداً أخذ مخرجاً .

س ١٦ : هل يجب بعد وفاة الشيخ بيعة شيخ ثانٍ؟

ج : نعم ، إن لم يحصل تركية النفس وتصفية القلب يجب تجديد البيعة ، كعلي بن إدريس القرآن الكريم عند أسناده ، فإن توفي الأستاذ لا ينتهي الطالب من الدراسة ، بل يرى تكميل الدراسة لازماً . نعم ، الذين وجدوا بشاره حصول الشبهة لا يجب عليهم تجديد البيعة .

س ١٧ : الذين يخالفون البيعة ألم يدرسوا هذه الأحاديث؟

ج : درسوا . ولكن لم يدرکوا معانيها ، وإلا لم يشككوا على عمل واضحة سننه . ويمكن تبين حال من يخالفون بيعة الطريقة في كلمات يسيرة هكذا : (وكتبوا بنا لم يحيطوا بمليه) .

س ١٨ : ما هو الغرض من بيعة الطريقة؟

ج : تذكر فيما يلي أغراض وأهداف البيعة .

١ - لَا يَلْزَمُهَا حُضُورُ الْكَشْفِ وَالْكَرَامَاتِ .

٢ - لَيْسَ فِيهَا ذِمَّةُ التَّغْفِيرَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

٣ - لَا يَلْزَمُهَا التَّجَاوُحُ فِي الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ كَالْعَلَبَةِ عَلَى الْأَعْدَاءِ وَالْفُوزِ فِي الْمَحَاكِمِ .

٤ - لَا يَلْزَمُهَا التَّصَرُّفَاتُ كَأَنْ لَا تَأْتِي وَسُوءُ ذَنْبٍ .

٥ - لَا يَلْزَمُهَا التَّنَكُّرُ بِحَيْثُ لَا يُعْرَفُ غَيْرُهُ .

٦ - لَا يَلْزَمُهَا رُؤْيَا أَثْوَارٍ أَوْ أَلْوَانٍ .

٧ - لَا يَلْزَمُهَا الرُّوَايَا الطَّيِّبَةُ فِي الْمَنَامِ .

بَلَى الْغَرَضُ الْأَصْلِيُّ الْعَمَلُ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ لِإِرْضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى .

س ١٩ : اذْكُرُوا أُدْلَةً عَقْلِيَّةً عَلَى إِفَادَةِ الْبَيْعَةِ .

ج : نَوْضَحُ إِفَادَةِ الْبَيْعَةِ بِثَلَاثَةِ دَلَائِلَ :

١٠ كَمَا أَنَّ شَابًا يَتَّخِذُ وَظِيفَةً فِي الْعَسْكَرِ وَيَلْبَسُ حُلَّتَهُ وَيُؤَدِّي عَمَلَهُ فِي مَكَانٍ، فَكُلُّ إِنْسَانٍ يَحْتَرِمُهُ وَيُطِيعُهُ يَرَى إِكْرَامَهُ إِكْرَامَ الْعَسْكَرِ . وَإِهَانَتُهُ إِهَانَةُ الْعَسْكَرِ، لَا يَسْأَلُهُ أَحَدٌ عَنْ أَيِّ قَبِيلَةٍ أَنْتَ أَوْ مِنْ أَيِّ أَسْرَةٍ؟ يَفِيدُهُ اعْتِرَازُ نُسْبَةِ الْعَسْكَرِ وَحُلَّتِهِ، كَذَلِكَ كُلُّ مَنْ يَبَايِعُ مُشَايخَ الطَّرِيقَةِ يَجِدُ تَعَلُّقَةً رُوحَانِيَّةً مِنْ مُشَايخِ الطَّرِيقَةِ فَتَزَادُ عِزَّتُهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى بِهَذِهِ النُّسْبَةِ وَالتَّعَلُّقَةِ .

● طُوبَىٰانِ جَهْزًا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ . وَضِعَتْ وَاحِدَةٌ فِي بِلَاطِ الْمَسْجِدِ وَالثَّانِيَةُ فِي الْكَنْبِيفِ، فَارْتَمَعَتْ رُبَّةٌ وَاحِدَةٌ حَتَّى يَضَعُوا عَلَيْهَا الْجَنْبَةَ وَسَقَطَتْ رُبَّةُ الْأُخْرَى حَتَّى لَا يَرَى أَحَدٌ دُخُولَ الْكَنْبِيفِ خَافِيًا، هَذِهِ هِيَ النُّسْبَةُ . النُّسْبَةُ الطَّيِّبَةُ مُنْخِثٌ عِزَّةٍ وَشَرَفًا، وَالنُّسْبَةُ الْخَبِيثَةُ سَبِّبٌ ذُلِّهِ وَإِهَانَةٍ . هَكَذَا يَجِدُ نُسْبَةَ طَيِّبَةً مِنْ يَبَايِعِ مُشَايخِ الطَّرِيقَةِ، فَيَكُونُ مَكْرَمًا مُحْتَرَمًا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى .

* رُكِبَ عَلَى الْمُضْطَحَفِ دَفْعَةٌ سَادِجَةٌ لَمْ يُكْتَبْ عَلَيْهَا كَلِمَةٌ، أَوْ آيَةٌ. قَالَ الْقُتَيْبِيُّ : كَمَا لَا يَجُوزُ مَسُّ أَوْرَاقٍ كُتِبَتْ عَلَيْهَا الْآيَاتُ يَدُونَ الْوُضُوءَ، كَذَلِكَ لَا يَجُوزُ مَسُّ هَذِهِ الدَّفْعَةِ السَادِجَةِ. يُقَالُ لَهَا دَفْعَةٌ، وَلَكِنْ ارْتَفَعَتْ رَتِبَتُهُ بِرُكْبِهِ بِالْمُضْطَحَفِ. مَبْحَثَانِ اللَّهُ ! فَمَنْ يَتَّصِلُ بِالْمَشَائِخِ بِوَسْطَةِ الْبَيْعَةِ يَنَالُ عِزَّةً بِالعِلَاقَةِ بِأَهْلِ اللَّهِ تَعَالَى، وَيَتَعَامَلُ بِهِ مُعَامَلَةَ الرَّحِمِ وَالْكَرَمِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. مَا أَتَأْتِ أَغْمَأْنَا؟ مَا عِنْدَنَا سِوَى التَّدَاعِيَةِ.

أَبْقَى اللَّهُ يُسَبِّحُكُمْ. مَا رَجَّاهُ إِلَّا هَذِهِ.

س : ٢ : رَجُلٌ يَنْطَلِقُ بِكَلِمَاتِ التَّوْبَةِ وَلَمْ يُضْلِعْ حَيَاتَهُ هَلْ لَهُ فَائِدَةٌ؟

ج : هَذَا الرَّجُلُ وَإِنْ لَمْ يُسْتَفِدْ بِالتَّيَبَةِ فَائِدَةً كَامِلَةً، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ بِهَا فَائِدَةٌ تَمَامًا، حُصِّلَ لَهُ فَائِدَتَانِ لَا مَحَالَةَ :

الأولى : أَنَّهُ نَظَرًا بِكَلِمَاتِ التَّوْبَةِ عِنْدَ الْبَيْعَةِ وَبِرُكْبِهَا يُغْفَرُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. قَالَتِ الْمَشَائِخُ فِي ضَوْءِ الْأَحْيَايِثِ : إِنْ مَرُّ بِنَظَرٍ بِكَلِمَاتِ التَّوْبَةِ يُغْفَرُ اللَّهُ لَهُ ذَنْبُهُ وَإِنْ كَانَ كَافِرًا أَوْ مُشْرِكًا مِائَةَ سَنَةٍ وَلَيْسَ هَذَا يَسِيرًا.

الفائدة الثانية : إِنَّ هَذِهِ النَّسْبَةَ تَنْفَعُ الْإِنْسَانَ عِنْدَ الْمَوْتِ عِنْدَمَا يَضَعُ الْإِرْتِبَاطَ بِالْذُنُوبِ، وَتُكْشَفُ لَهُ أَحْوَالُ الْآخِرَةِ. بِمَوْتِ عَلِيِّ الْإِمَامِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَإِنْ كَانَ مُذْنِبًا. قَالَ الشَّيْخُ الْخَوَاجَةِ فَضْلُ الْعَلِيِّ الْقُرَيْشِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : كُلُّ قَلْبٍ وَضِعَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْأَصْبِغُ (وَفَارِزُ بِنَسْبَةِ اللَّهِ، اللَّهُ) لَا يَمُوتُ إِلَّا عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى (إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى).

مُلَخَّصُ الْكَلَامِ :

يَحْصُلُ لِلْإِنْسَانِ بِوَسْطَةِ سُلْسُلَةِ مَشَائِخِهِ عِلَاقَةٌ رُوحَانِيَّةٌ بِقَلْبِ النَّبِيِّ ﷺ. يَعْزِضُ لِلْإِيضَاحِ مَثَلَانِ :

١ - رَجُلٌ يَبْنِي بَيْتًا جَدِيدًا وَيَجْمَعُهُ تَجْمِيدًا فَآخِرًا وَيَسْلُكُهُ وَيَرْكَبُ فِيهِ

المُضْبَح، وَلَكِنْ لَا يُضَيءُ مُضْبَاحُهُ مَا لَمْ يَتَّصِلْ رِزْقُهُ بِمَحْطَةِ
الْكَهْرُبَاءِ، كَذَلِكَ السَّالِكُ عِنْدَمَا يَرْتَبُطُ عِلَاقَةً مُضْبَاحِ قَلْبِهِ بِوَاسِطَةِ
تَسْلِيكِ مَشَايِخِ السَّلْسِلَةِ بِقَلْبِ النَّبِيِّ الْمُبَارَكِ ﷺ الَّذِي هُوَ كَنْزُ
الرَّحِمَاتِ يَتَنَوَّرُ قَلْبُ السَّالِكِ وَتَتَّصِلُ إِلَيْهِ الْأَنْوَارُ وَالْبَرَكَاتُ مِنْ قَلْبِ
النَّبِيِّ الْمُبَارَكِ ﷺ بِوَاسِطَةِ مَشَايِخِهِ.

٢ - الْقِطَارُ بِشَتْمَلٍ عَلَى عِدَّةِ عَرَبَاتٍ، فَإِنْ رُيِّطَ بِهِ عَرَبَةٌ أُخْرَى، فَمَهْمَا
وَضَلَّ الْقِطَارُ وَضَلَّتِ الْعَرَبَةُ، فَتَدْبِرُوا. إِنَّ الْمَشَايِخَ كَالْقِطَارِ،
وَالنَّبِيَّ ﷺ كَمَحْرَكِهِ، وَالسَّالِكَ كَالْعَرَبَةِ الْمُرْتَبِطَةِ، وَهَذَا الْقِطَارُ جَارٍ
إِلَى مَحْطَةِ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنْ هَذِهِ الْعَرَبَةُ مُرْتَبِطَةٌ، فَلَمَّا وَضَلَّتِ
الْقَاطِرَةُ إِلَى الْمَتَوَلَّى وَضَلَّتْ هَذِهِ الْعَرَبَةُ عَرَبَةُ الدَّرَجَةِ الثَّالِثَةِ.

ع: كَانَتْ الْحِكَايَةُ مَمْتَعَةً جَسَتْ بِهَا طَوِيلَةٌ.

وَضَلَّتْ إِلَى الْمُقْصَدِ. الَّذِينَ مَا رَأَوْا إِلَى الْآيِ فِي شُبُهَاتٍ عَنِ
الْبَيْعَةِ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يُبْعَثُوا فِي تَخْصِيلِ هَذِهِ السَّعَادَةِ الْعَظْمَى، بَلْ لِيُؤْطُوا
عِلَاقَتَهُمُ الْبَاطِنَةَ بِشَيْخٍ جَامِعٍ بَيْنَ الشَّرِيعَةِ وَالطَّرِيقَةِ، فَإِنْ مَنْ يَدْخُلُ فِي
السَّلْسِلَةِ بِوَاسِطَةِ شَيْخٍ كَامِلٍ فِي هَذَا الزَّمَانِ الْمَلِيءِ بِالْفِتَنِ يَصْدُقُ عَلَيْهِ
مِثَالُ: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آيَاتًا﴾ [آل عمران: ١٩٧].

عَسَى أَنْ يَفْتَحِيَهُمْ كَلَامِي قَلْبَكَ.

الباب الخامس

ضرورة المرشد

جعل الله في كل عصر وزمان كتاب الله ورجال الله سبيلاً لهداية الإنسانية، كم مرة بعث الله نبياً ولم يُرسل كتاباً، ولكن لم يكن قط أنه أرسل كتاباً ولم يبعث له نبياً. بهذا تتجلى أهمية رجال الله تعالى، وأيضاً لم ينزل العذاب على قوم حتى يُبعث إليهم نبي إتماماً للعقوبة. قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الأنعام: ١٥] لتربيتهم من صرب ولتذكيتهم من مُرك، وفيما يلي ذكر بعض الدلائل.

أدلة من القرآن الكريم:

الدليل الأول: قال الله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيْنَا﴾ [الأنعام: ١٥] قال جلال الذين أمحلني رحمه الله: ﴿وَأَتَيْنَا سَبِيلَ﴾ طريق ﴿مَنْ أَنَابَ﴾ رجع ﴿إِلَيْنَا﴾ بالطاعة.

[تفسير الجلالين ص ٥٤١]

وقال شيخ الإسلام، مؤلفاً شُبَيْر أحمد العثماني رحمه الله: أي اتبع طريق الأنبياء وعباد الله المُخلصين.

[تفسير عثمان ص ٥٤٨]

وقال الشيخ أمير علي رحمه الله تحت هذه الآية: أي اتبع سبيل من خال إلي تماماً وُهم أولاً الأنبياء، وثانياً صالحو أمته.

[مواهب الرحمن ج ص ٨٣]

الدليل الثاني: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥]. قال الحافظ عماد الدين ابن كثير رحمه الله في التفسير تحت قوله: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ الوسيلة: هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود.

[تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٨٤]

وقال الإمام جلال الدين السيوطي رحمه الله تحت قوله: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ ما يقرّبكم إليه من طاعته.

[تفسير الجلالين ص ١٣٤]

فلهذا يقول مُحَقِّقُو التفسير: إن المراد بالوسيلة المُرشِدُ الذي يُضَيِّعُ سبباً لِلتَّوَقُّبِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَسَبباً لِإِصْلَاحِ الْإِنْسَانِ، وقد أُشير إلى المُجَاهِدَةِ ضدَّ النَّفْسِ (الأشغال الصوفية) في الحديث الشريف. قال عليه الصلاة والسلام: «المُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ». رواه البيهقي في شعب الإيمان.

[مشكاة المصابيح ص ١٥ واللفظ له؛ والجامع الصغير ج ٢ ص ٦٦٤]

قال السخاوي عن أحمد: (المُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي ذَاتِ اللَّهِ).

[المقاصد الحسنة ص ٥٩٤]

كَانَ مُرْشِدُ الْعَالَمِ الشَّيْخُ الْخَوَاجَه غُلام حَبِيب يَقُولُ فِي مُحَاضَرَاتِهِ تَحْتَ هَذِهِ الْآيَةِ: مَنْ يَنْزِلُ الْمَطَرُ مِنَ السَّمَاءِ؟ اللَّهُ يَنْزِلُ الْمَطَرُ مِنَ السَّمَاءِ. وَلَكِنْ يُضَيِّعُ السَّحَابُ وَسِيلَةَ مَنْ يَرْزُقُ الْأَوْلَادَ؟ اللَّهُ يَرْزُقُ الْأَوْلَادَ، وَلَكِنْ يَصِيرُ الْوَالِدَانِ وَسِيلَةَ مَنْ يُلْقِي الْأَنْوَارَ فِي الْقَلْبِ؟ اللَّهُ يُلْقِي الْأَنْوَارَ فِي الْقَلْبِ، وَلَكِنْ يُضَيِّعُ الشَّيْخُ وَسِيلَةَ. وقد قال تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾.

الدليل الثالث: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ

الصَّادِقِينَ ﴿التوبة: ١١٩﴾ قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ
الصَّادِقِينَ: قَالَ الضَّحَّاكُ: هُمُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَأَصْحَابُهُمَا.

[تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٦٢٠]

لِيُعْلَمَ أَنَّ كُلَّ طَرِيقَةٍ مِنَ السَّلَاسِلِ الْأَرْبَعِ تَتَّصِلُ بِوَسْطَةِ قَوَاسِطَةٍ إِلَى
سَيِّدِنَا عَلِيِّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ، وَسَيِّدِنَا أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قَالَ
الْشَيْخُ الْمُغْتَنِي مُحَمَّدٌ شَفِيعَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (اخْتَارَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
كَلِمَةَ الصَّادِقِينَ دُونَ الْعُلَمَاءِ وَالْعُلَمَاءِ، فَبَيَّنَ لَنَا عَلَامَةَ الْعَالِمِ وَالصَّالِحِ
أَنَّهُ مَنْ يَسْتَوِي ظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ وَيَكُونُ صَادِقًا فِي نِيَّتِهِ وَإِرَادَتِهِ، وَصَادِقًا فِي
قَوْلِهِ وَصَادِقًا فِي عَمَلِهِ).

[معارف القرآن ج ٤ ص ٤٨٥]

وَلَا يُخْفَى أَنَّ مَصْدَاقَ الصَّادِقِينَ فِي الْعَصْرِ الْحَاضِرِ هُمُ الْمَشَائِخُ
الْعِظَامُ فَقَطْ.

الدَّلِيلُ الرَّابِعُ: قَالَ الْإِمَامُ الرَّازِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ تَحْتَ قَوْلِهِ: ﴿أَنْعَمْتَ
عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] لَمْ يَكْتَفِ عَلَى: ﴿أَهْدَيْنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:
٦] بَلْ قَالَ: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] وَهَذَا بَدَلٌ عَلَى
أَنَّ الْمُرِيدَ لَا سَبِيلَ لَهُ إِلَى الْوُصُولِ إِلَى مَقَامَاتِ الْهِدَايَةِ الْمُبْكَاشِفَةِ إِلَّا إِذَا
اقْتَدَى بِشَيْخٍ يَهْدِيهِ إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَيَجْتَنِبُهُ عَنِ مَوَاقِعِ الْأَغَالِيطِ
وَالْأَضَالِيلِ.

وَذَلِكَ لِأَنَّ النُّقْصَ غَالِبَ عَلَى الْخُلُقِ، وَعَقُولُهُمْ غَيْرُ وَاقِعَةٍ بِإِدْرَاكِ
الْحَقِّ وَتَمْيِيزِ الصُّوَابِ عَنِ الْغَلْطِ، فَلَا بَدَّ مِنْ كَامِلٍ بِقِتْدِي بِهِ النَّاْقِصُ حَتَّى
يَنْقَوِيَ عَقْلُ ذَلِكَ النَّاْقِصِ بِنُورِ عَقْلِي إِلَى مَذَارِجِ السَّعَادَاتِ وَمَعَارِجِ
الْكَمَالَاتِ.

[التفسير الكبير ج ١ ص ١]

فهذا النص حجة تامة لضرورة المرشد والمرئي .

الدليل الخامس : قال الله تعالى : ﴿ وَتَوَّأْتَهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَكَتْ لَهُمُ فَاسْتَفْقَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ فَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [سورة النساء: ٦٥] قال السيد أمير علي المليح آبادي تحت هذه الآية : في هذه الآية دلالة على أن العبد المذنب لو استدعى عبداً صالحاً متقياً تُقبل توبته ، والذين يتوبون على أيدي مشايخهم توبتهم من هذا النوع .

١ تفسير مواهب الرحمن ج ص ١٠٩

علم من الآيات المذكورة أن كل مذهب يطلب شيئاً كاملاً متبع الشريعة والسنة فهو عامل على : ﴿ وَابْتَغُوا إِلَهَ الْوَسِيلَةِ ﴾ [المائدة: ٢٥] . وإن بايع على يده بيعة توبة فهو عامل على : ﴿ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَكَتْ لَهُمُ ﴾ وإن جلس في ضحية شيخ كامل ينال ثواب : ﴿ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩] . وإن اتبع نصائحه فهو من العاملين بقوله : ﴿ وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ [البقرة: ١٥] . هذا الطريق يصدق عليه : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة: ٧] الذي يدعو للاهتمام له كل صغير وكبير . نعم إن المشايخ المتبعي الشريعة في هذا الزمن قليل ، ولكن لا يعني هذا أن الإنسان يهمل طلبه أو ينكر ضرورته .

قال سفيان الثوري رحمه الله : اسلكوا سبيل الحق ولا تستوحشوا من قلة أهله .

وفيه يقول الإمام الشافعي رحمه الله : اتبع طرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين ، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة السالكين .

قال الشيخ عبد الله خفيف رحمه الله : اقتدوا نجمة من شيوخنا لأنهم جمعوا بين العلم والحقائق .

أدلة من أحاديث النبي ﷺ:

مِنَ الْخَطَرَةِ الْإِنْسَانِيَّةُ أَنَهَا لَا تَتَأَثَّرُ مِنَ التَّقْوَى مِثْلَ مَا تَتَأَثَّرُ مِنَ التَّقْوَى، فَالضَّحَايَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ وَهُمْ الَّذِينَ تَنْزِلُ الْآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ يَحْصُلُ لَهُمْ مِنَ الْخَشْيَةِ وَالْإِسْتِحْضَارِ بِحَضْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ مَا لَمْ يَكُنْ يَحْصُلُ لَهُمْ فِي غَيْبِهِ ﷺ وَالْبُكَ بَعْضُ الْأَمْثَلَةِ:

الدليل الأول: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَمَا تَفَضَّنَا أَيْدِينَا عَنْ الثَّرَابِ، وَإِنَّا لَقِيَ دَفْنِهِ ﷺ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبُنَا.

الشمائل للترمذي ص ٢٨، مشكاة المصابيح ج ٣ ص ١٦٨١ طبع بيروت، ابن ماجه ج ١ ص ٥٢٢، شرح السنة ج ١٤ ص ٥٠، جامع الأصول ج ٨ ص ٥٤٦، الترمذي ج ٥ ص ٥٨٩

فَاغْتَرَفَ الرِّجَالُ الْفَلَسْطِينِيُّونَ أَفْئَالَ الضَّحَايَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنْ مَا يَوْجَدُ مِنَ الْكَيْفِيَّةِ فِي ضُحْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ لَمْ يَوْجَدْ بِغَيْرِ ضُحْبَتِهِ، كَمَا أَنَّ الضَّحَايَةَ كَانُوا يَكْتَسِبُونَ الْفَيْضَ مِنْ مَشَاكِبِ النُّبُوَّةِ كَذَلِكَ الْمُرِيدُونَ انْمِخْلَصُونَ يَكْتَسِبُونَ الْفَيْضَ فِي ضُحْبَةِ مَشَايِخِهِمْ.

الدليل الثاني: عَنْ حَنْظَلَةَ بْنِ الرَّبِيعِ أَنَّهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ النَّازِ، ثُمَّ جِئْتُ إِلَى الْبَيْتِ فَصَاحَنُكَتُ الضُّبْيَانَ وَلَا عَيْتُ الْمَرْأَةِ فَخَرَجْتُ، فَلَقِيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: وَأَنَا قَدْ فَعَلْتُ مِثْلَ مَا تَذْكُرُ، فَلَقِينَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! نَأْفِقُ حَنْظَلَةَ، فَقَالَ: «هه؟» فَحَدَّثْتُهُ بِالْحَدِيثِ.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَأَنَا قَدْ فَعَلْتُ مِثْلَ مَا فَعَلَ، فَقَالَ: «يَا حَنْظَلَةَ سَاعَةٌ وَسَاعَةٌ، لَوْ كَانَتْ قُلُوبُكُمْ كَمَا تَكُونُ عِنْدَ الذِّكْرِ لَصَافَحْتَكُمْ

الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تَسْلَمَ عَلَيْكُمْ فِي الطَّرِيقِ» . أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَأَخْرَجَ
الترمذي نحوه .

[جامع الأصول ج ٩ ص ٥١٦]

(بُعْثِي قَدْ تَكُونُ كَيْفِيَةُ الْخُضُورِ فِي الْعُرُوجِ ، وَقَدْ يَعْزُضُ فِيهِ نَقْصٌ
حَتَّى يَسْتَقِيمَ نِظَامُ الْمَعَاشِ وَالْمَعَاشِرَةِ) . وَأَيُّ مَثَالٍ أَوْضَحَ دَلَالَةَ مِنْ هَذَا
عَلَى قَبْضَانِ الصَّحْبَةِ وَتَأْثِيرِهَا .

الدليل الثالث: ذَكَرَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَجِمَهُ اللَّهُ قِصَّةَ أَنَّ صَخَابِيًّا اسْمُهُ
سَهْلُ بْنُ حَنِيفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَصَابَتْهُ الْعَيْنُ فَوَعِكَ مَكَائِهِ وَاشْتَدَّ وَعْكَهُ ،
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلَّذِي نَظَرَ إِلَى سَهْلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ
أَخَاهُ إِلَّا بِرُكَّتٍ إِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ» الْحَدِيثُ .

[الموطأ للإمام مالك مع شرح الزرقاني ج ٤ ص ٣٢٠]

فَمَا رَأَيْتُكُمْ إِنْ نَظَرْتُ فِيهَا عَذَاوَةً وَحَسَدًا وَبُغْضًا وَحَقْدًا يَظْهَرُ أَثَرُهَا ،
فَنَظَرْتُ فِيهَا حُبًّا وَشَفَقَةً وَرَحْمَةً وَإِخْلَاصًا كَيْفَ لَا يَرَى أَثَرُهَا ، وَهَذِهِ نَظَرَةُ
أَهْلِ اللَّهِ تَوَجَّدَ فِي إِنْسَانٍ مَتَلَوِّثٍ بِالذُّنُوبِ ، وَإِحْسَاسُ التَّدَامَةِ بِقِيَمِهِ سَائِلًا
أَمَامَ اللَّهِ تَعَالَى .

رَأَيْنَا فِي نَظَرَةِ الْوَلِيِّ أَثَرًا عَظِيمًا وَجَدْنَا أَوْضَاعَ الْأَلُوفِ اعْتَدَلَتْ

الدليل الرابع: اتَّخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
أُرَيْقِطٍ - وَكَانَ حِينَئِذٍ كَافِرًا - هَادِيًا وَدَلِيلًا فِي السَّفَرِ إِلَى الْمَدِينَةِ عِنْدَ
الْهَجْرَةِ .

[فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٧ ص ٢٢٣ و ٢٣٨]

فَلَوْ اتَّخَذَ سَائِلٌ مُؤْمِنًا كَامِلًا فِي الْعَصْرِ الْخَاصِرِ دَلِيلًا لِلْمُؤْمُولِ
إِلَى اللَّهِ يَتَنَالُ ثَوَابَ سُنَّةِ اتِّخَاذِ الدَّلِيلِ فِي السَّفَرِ . قَالَ الصَّوَلِيُّ
الرُّومِيُّ : يَا قَلْبُ إِنْ نَرَدُ هَذَا السَّفَرَ فَاعْتَصِمِ بِذِي الدَّلِيلِ وَاتَّبِعْهُ فَكُلُّ

مَنْ مَشَى عَلَى طَرِيقِ الْعِشْقِ بِغَيْرِ هَادٍ أَضَاعَ عُمْرَهُ كُلَّهُ ، وَلَمْ يَذُرْ حَقِيقَةَ الْعِشْقِ .

الدلائل العقلية :

الشیطان للإنسان عدوٌّ مبينٌ وكذلك نفسه . يَغْرِضَانِ لِلْإِنْسَانِ أَعْمَالَهُ مَزِينَةً مَزْخَرَةً ، فَيَكُونُ عَلَى الضَّلَالَةِ ، وَيَحْسِبُهُ عَلَى الْهُدَى . قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّهُمْ أَخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٠] ، وَكَمَا لَا يَجِدُ الشَّجَرُ قِمَازَهُ ثَقِيلَةً كَذَلِكَ لَا يَرَى الْإِنْسَانُ عَيْبَهِ ذَمِيمَةً ، فَيَحْتَاجُ لِلِإِصْلَاحِ وَالتَّوْبَةِ إِلَى مُرَبِّ . وَفِيمَا يَلِي بَعْضُ الدَّلَائِلِ الْعَقْلِيَّةِ :

الدليل رقم ١ : طَالِبٌ يُجِيبُ عَنِ الْأَسْئَلَةِ فِي عُرْفِ الْأُمْتِحَانِ ، فَكُلُّ جَوَابٍ يَكْتُبُهُ يَفْتَنُهُ صَحِيحاً (وَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ يُحْطَى فِي جَوَابِ كَذَا لَا يَكْتُبُهُ) تَأْتِي الْوَرَقَةُ إِلَى الْأَسَاتِذِ فَيَصْنَحُ بَعْضُ الْأَجُوبَةِ ، وَيَخْطِئُ بَعْضُهَا فَحَيْثُ يَتَعَرَّفُ الطَّالِبُ أَنَّهُ ضَلَّ بِهَذَا الْخَطَا ، فَكَذَا السَّالِكُ يَذْكُرُ شَيْئاً وَيَزْعُمُ أَنَّهُ يَحِلُّ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَلَكِنْ يَتَعَرَّفُ الشَّيْخُ أَنَّهُ يَسِيبُ الْعَجَبِ . السَّالِكُ يَضِلُّ الْمَالِ وَيَزَاهُ سَخَاءَ وَبَرَشْدِهِ الشَّيْخُ أَنَّهُ إِسْرَافٌ . يَدُونُ الْمُرْشِدُ يَخَافُ السَّقُومَ فِي خُفْرَةِ ضَلَالَةٍ ، فَيَجِبُ أَنْ تُقْضَى الْحَيَاةُ تَحْتَ ظِلِّ مُرْشِدٍ .

الدليل رقم ٢ : يَحْتَاجُ الْإِنْسَانُ إِلَى التَّعَلُّمِ فِي كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا صَغِيراً كَانَ أَوْ كَبِيراً حَتَّى لَا يُمْكِنَ مَعْرِفَةُ طَرِيقَةِ تَرْكِيبِ الزَّرِّ بِالْقَمِصِ بِدُونِ التَّعَلُّمِ . أَقْبَلًا يَحْتَاجُ إِلَى مَعْرِفَةِ الَّذِينَ إِلَى التَّعَلُّمِ . قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « إِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا » .

عَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الَّذِينَ أَصْحَابَهُ حَتَّى قَالُوا: (تَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ).

[ابن ماجه ج ١ ص ٢٢، قال البوصيري: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات - مصباح الزجاجة ج ١ ص ٥٠]

فَكَيْفَ يَحْصُلُ الَّذِينَ الْيَوْمَ بَدُونِ تَعَلُّمٍ فِي عِطْرِ الظُّلْمَةِ وَالضَّلَالَةِ، فَهَيْتَ أَنْ تَعَلَّمَ الَّذِينَ مِنَ الْمُرْشِدِ لِأَزْمٍ وَاجِبٌ.

الدليل رقم ٣: لا يدعي أحد أنه يتعلم الطب بنفسه أو يحصل على فن الهندسة بنفسه، كذلك لا يمكن للإنسان أن يتعلم الدين بنفسه. قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ».

[البخاري ج ١ ص ٤١ بتحقيق فؤاد عبد الباقي]

الدليل رقم ٤: إذا تَرَعَّرَغَ شَجَرٌ عَلَى يَدِ بَسْتَانِيٍّ يَكُونُ مُسْتَقِيمًا وَرَائِعًا وَجَمِيلًا، بَيْنَمَا الْفُطْرِيُّ يَكُونُ مَعْوَجًا وَتَكُونُ فُرُوعُهُ الْفَارِغَةُ مَنَشُورَةً وَمَعْلَقَةً بَدُونِ نِظَامٍ، كَذَلِكَ الْإِنْسَانُ الَّذِي يَتَرَبَّعُ عِنْدَ شَيْخٍ كَامِلٍ يَنْجُمِلُ لِحُسْنِ خُلُقِهِ، وَلِلتَّوْبَةِ فِي الشَّرِيعَةِ أَهْمِيَّةٌ عَظِيمَةٌ حَتَّى أَبَاحَتْ صَيْدَ كُلِّ مَعْلَمٍ بَعْدَ تَحَقُّقِ شُرُوطِهِ. فَعَلَى السَّالِكِ أَنْ يَتَعَلَّمَ الدِّينَ تَحْتَ تَرْبِيَةِ شَيْخٍ، قَالَ السَّاعِرُ:

إِذَا قِيلَتْ ذَاتُ الْمُرْشِدِ وَجَدْتَ السِّلَّةَ وَرَسُولَهُ

إِنْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْتُلَ هَذِهِ النَّفْسَ الْعَاصِيَةَ يَبْرَى الْمُرْشِدُ، فَتَمَسَّكَ بِذَيْلِ الْمُرْشِدِ.

الدليل رقم ٥: يخبرني بعض المشايخ أن نملًا كانت تُريدُ زيارة بيت الله تعالى، ولكنَّ كَانَتْ الْبَحَارَ وَالْجِبَالَ وَالصَّخَارَى تَصُدُّهَا، رَأَتْ يَوْمًا حَمَامَةً مِنْ سَوَاكِينِ بَيْتِ اللَّهِ تَعَالَى فَاعْتَصَمَتْ بِقَدَمَيْهَا، طَارَتْ الْحَمَامَةُ وَوَصَلَتْ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ تَعَالَى، فَزَارَتْ النَّمْلَةَ بَيْتَ اللَّهِ تَعَالَى.

بيت :

تَمَلَّهْ بِشَكِيْنَةٍ تَمُتُّ الْوُصُولَ إِلَى الْكَهْفِ
أَخَذْتُ قَدَمَ حِمَامَةٍ وَوَصَلْتُ إِلَى الْمَنْزِلِ
الدليل رقم ٦ : صَحِيْبُ كَلْبٍ أَصْحَابِ الْكَهْفِ وَعَدَّ بِالْحِجَّةِ.

[تفسير الخازن ج ٤ ص ٢٠٥ وتفسير البغوي ج ٤ ص ٢٠٥
حاشية الجمل على الجلالين ج ٣ ص ١١٢]

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَحَدَّثَنِي أَبِي
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا الْفَضْلِ الْجَوْهَرِيَّ فِي جَمَاعٍ مِضَرَ يَقُولُ
عَلَى مِثْرٍ وَغَفْلَةٍ سَنَةً تِسْعٍ وَبِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ : إِنَّ مِنْ أَحَبِّ أَهْلِ الْخَيْرِ نَالَ
مِنْ بَرَكَاتِهِمْ . كَلَبٌ أَحَبُّ أَهْلَ فَضْلِ وَصَحْبِهِمْ ، فَذَكَرَهُ اللَّهُ فِي مُحْكَمِ
تَنْزِيلِهِ . قُلْتُ : إِذَا كَانَ يَخْضُ الْكَلَابُ قَدْ نَالَ هَذِهِ الدَّرَجَةَ الْعُلْيَا ، فَمَا
ظَنُّكَ بِالْمُؤْمِنِينَ الْمُوَحِّدِينَ الْمُخَالِطِينَ الْمُحِبِّينَ لِلْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ .

[الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٠ ص ٣٧١ - ٣٧٢]

قَالَ الشَّاعِرُ الْفَارِسِيُّ الشَّيْخُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

كَلَبٌ أَصْحَابِ الْكَهْفِ أَيَّامًا عَدِيدَةً اتَّبَعَ الصَّالِحِينَ صَارَ رَجُلًا

الدليل رقم ٧ : شَخْصٌ يُرِيدُ السَّفَرَ الْجَوِّيَّ يَشْتَرِي تَذْكَرَةً شَرَكَةً
جَمِيدَةً وَيَرْكَبُ الطَّائِرَةَ مُغْتَمِدًا عَلَى قَائِدِهَا ، فَالْقَائِدُ يُوصِلُهُ إِلَى الْمَنْزِلِ ،
هَكَذَا السَّالِكُ يَكْبُلُ نَفْسَهُ إِلَى الشَّيْخِ لِلْسَّفَرِ الْبَاطِنِيِّ ، فَالشَّيْخُ يَذْهَبُ بِهِ
عَلَى طَرِيقِ السُّلُوكِ وَيُوصِلُهُ بِاللَّهِ تَعَالَى .

أدلة من أحوال الصالحين :

الدليل الأول : وَجَدَ سَيِّدُنَا الْوَحْشِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِصُحْبَةِ
النَّبِيِّ ﷺ دَقَائِقَ مَنَزَلَةٍ . لَوْ مُلِئَتْ الدُّنْيَا بِأَمْثَالِ أَوْسٍ الْقُرَشِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ
تَعَالَى لَمْ يَبْلُغُوا عُبَّارَ طَرِيقِهِ . قَالَ ابْنُ حَبْرٍ الْمَكِّيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : ثَقُلَ

القاضي عياض أن رجلاً قال للمعافي بن عمران: أين عمر بن عبد العزيز من معاوية، فغضب غضباً شديداً وقال: لا يقاس بأصحاب النبي ﷺ أحد.

معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وأمينه على وحي الله ويوافق ذلك أن عبد الله بن المبارك المجمع على جلالته وإمامته وتقديسه سئل: يا أبا عبد الرحمن أيهما أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز؟ فقال: والله إن العبد الذي دخل في ألف فرس معاوية مع رسول الله ﷺ أفضل من عمر بألف مرة، صلى معاوية خلف رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «سمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»، فقال معاوية رضي الله عنه: ربنا لك الحمد فها يتخذ هذا الشرف الأعظم؟

[تطهير الجنان واللسان لابن حجر المكي ص ١٠، ١١]

فتبين أنه لا بدبل عن الصغبة. قال عارف:

صغبة الضالحين زماناً خير من عبادة خالصة مائة سنة

الدليل الثاني: أخذ الحسن البصري العلم الظاهري عن ثمانية عشر صحابياً مع ذلك أخذ العالم الباطني عن سيدنا علي رضي الله عنه واكتسب أنوار الولاية.

الدليل الثالث: كان سفيان الثوري يقول: لو لا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الزياء.

[اللمع ص ٢٢]

الدليل الرابع: استفاد الإمام الأعظم أبو حنيفة والإمام مالك رحمهما الله تعالى من الشيخ جعفر الصادق رحمه الله تعالى، فقال الإمام أبو حنيفة رحمه الله بعد رابطة سنتين: (أولاً السنتان لهلك الثعبان).

الدليل الخامس: ذهب إبراهيم الأدهم يوماً للفاء الإمام الأعظم،

فقال الإمام: جاء سيدنا إبراهيم، فسأل الطلاب وكيف ذلك؟ فقال: نحن مُشْتَغِلُونَ في خدمة الأبدان وهو مُشْتَغِلٌ في خدمة رب الأبدان، ويُقالُ ليمثل هذا الرجل: رباني.

الدليل السادس: أوصى الإمام الأعظم رحمه الله تعالى الإمام أبا يوسف رحمه الله تعالى أن أكثر ذكر الله تعالى فيما بين الناس ليتعلموا منك ذلك.

الدليل السابع: استفاض الإمام الشافعي من الإمام محمد بن حسن الشيباني وقال قولاً مشهوراً:

صَحِبْتُ الصُّوفِيَّةَ فَمَا انْتَفَعْتُ مِنْهُمْ إِلَّا بِكَلِمَتَيْنِ، سَوَّغْتُهُمْ يَقُولُونَ: الْوَقْتُ سَيْفٌ فَإِنْ قَطَعْتَهُ إِلَّا قَطَعَكَ، وَنَفْسُكَ إِنْ لَمْ تُشْغَلْهَا بِالْحَقِّ، وَإِلَّا شَغَلَتْكَ بِالْبَاطِلِ. يَقُولُ الْحَافِظُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَ ذِكْرِ هَذَا الْقَوْلِ: قُلْتُ: يَا لِهَمَا مِنْ كَلِمَتَيْنِ، مَا أَنْفَعَهُمَا وَأَجْمَعَهُمَا، وَأَدْلَاهُمَا عَلَى عُلُومٍ قَائِلِيهَا وَيَقْظِيته. وَيَكْفِي فِي هَذَا ثَنَاءُ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى طَائِفَةٍ هَذَا قَدَرُ كَلِمَتِهِمْ.

[أمداد السالكين ج ٣ ص ١٢٩]

الدليل الثامن: كان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله يذهب إلى شيخ في وقتو (بشر الحافي) فسأله الطلاب يوماً: أنت من كبار العلماء لماذا تذهب إلى من هو ليس بعالم؟ فأجاب الإمام أحمد جواباً مذكوراً في التاريخ وقال: أنا عالم بكتاب الله، وبشر عالم بالله سبحانه وتعالى، وللعالم بالله فضل على العالم بكتاب الله تعالى. الله أكبر كبيراً.

الدليل التاسع: سأل رجل الإمام أحمد بن حنبل ما الإخلاص؟ فقال: الإخلاص هو التخلص من أهات الأغمار، فسئل ما التوكل؟ فأجاب: الثقة بالله، فسئل ما الرضا؟ فقال: تسليم الأمور إلى الله،

فُسِّئِلَ مَا الْمَحَبَّةُ؟ فَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: سَلُّوا عَنْ هَذَا السَّوَالِ بِشْرًا الْحَافِي لَا اسْتَطِيعَ أَنْ أَجِيبَ عَنْ هَذَا مَا دَامَ حَيًّا.

الدَّلِيلُ الْعَاشِرُ: كَانَ مَرْبِي الْغَزَالِي فِي الْعُدُومِ الظَّاهِرِيَّةِ وَالبَاطِنِيَّةِ الْخَوَاجِه أَبُو عَلِي الْفَارَمَدِي رَحِمَهُ اللَّهُ وَهُوَ شَيْخٌ عَظِيمٌ مِنْ مَشَايِخِ السُّلَيْبِيَّةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ. يَقُولُ الْإِمَامُ الْغَزَالِي وَحَمَهُ اللَّهُ: «لَئِي أَخَذْتُ الطَّرِيقَةَ مِنْ أَبِي عَلِي فَارَمَدِي وَانْتَصَلْتُ مَا كَانَ بِشِيرٍ إِلَيْهِ مِنْ وَفَائِفِ الْعِبَادَاتِ وَاسْتِدَامَةِ الذِّكْرِ إِلَى أَنْ جَزَتْ الْعُقُبَاتِ وَتَكَلَّفَ تِلْكَ الْخِشَاقُ وَحَصُلْتُ مَا كُنْتُ أَطْلُبُهُ».

[مكاشفة القلوب ص ١٣٥]

الدَّلِيلُ الْحَادِي عَشَرَ: كَانَ الْإِمَامُ فُخْرُ الدِّينِ الرَّازِي قَدْ بَايَعَ الشَّيْخَ تَجَمُّدِ الدِّينِ كُبْرَى.

الدَّلِيلُ الثَّانِي عَشَرَ: كَانَ الْعَارِفُ الْكَامِلُ الْمَوْلَى الرَّومِي رَحِمَهُ اللَّهُ مُبَايَعًا عَلَى يَدِ الشَّيْخِ شَمْسِ تَبْرِيزٍ، وَفِيهِ يَقُولُ الْمَوْلَوِي: لَنْ يُقَالَ لَهُ مَوْلَى أَهْلِ الرَّومِ مَا لَمْ يَكُنْ تَابِعًا لَشَمْسِ تَبْرِيزٍ.

الدَّلِيلُ الثَّالِثُ عَشَرَ: كَانَتْ بَيْعَةُ مِثْلِ مَوْلَانَا الْحَامِي الْمَشْهُورِ فِي الْأَفَاقِ عَلَى يَدِ الشَّيْخِ الْخَوَاجِه عُبَيْدِ اللَّهِ أَحْمَرَ السَّمَرْقَنْدِي مِنْ مَشَايِخِ السُّلَيْبِيَّةِ الْعَالِيَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ.

الدَّلِيلُ الرَّابِعُ عَشَرَ: كَانَ الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ شَرِيفُ الْجَرَجَانِي مُبَايَعًا عَلَى يَدِ الْخَوَاجِه عَلَاءِ الدِّينِ الْعَطَّارِ. يَقُولُ الْجَرَجَانِي فِي كِتَابِهِ لَهُ: وَاللَّهِ مَا عَرَفْتُ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا لَمْ أَصِلْ فِي خِدْمَةِ الْعَطَّارِ.

أَلَفَ الشَّيْءَ وَلِيَّ اللَّهِ كِتَابًا فِي ذِكْرِ حَيَاتِهِ اسْمُهُ: الْجَزْءُ اللَّطِيفُ فِي تَرْجُمَةِ الْعَبْدِ الضَّعِيفِ، وَهُوَ الْقَائِلُ فِيهِ: بِابِعْتُ وَالِدِي وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ عَشْرَةَ سَنَةً، وَاسْتَعْلَفْتُ فِي الْأَوْرَادِ الصُّوفِيَّةِ، وَخَاصَّةً أَوْرَادَ الْمَشَايِخِ

النقشبندية وانتفعت بتلقيبهم وتوجههم حتى أخذت آداب الطريقة والجروحه الصوفية وأصلحت سلسلتي الروحانية .

[من ديباجة حجة الله البالغة أردو ص ١٠]

الدليل الخامس عشر : كانت علاقة الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي الباطنية بالخواجه الباقي بالله رحمه الله من مشايخ السلسلة النقشبندية .

الدليل السادس عشر : يقول الشاه ولي الله المحدث الدهلوي :
لعلهازة الأرضي التجسّد طريقان : **الأول :** أن ينزل عليها من المطر ما يسيل بالنجاسة ، **والثاني :** أن تلمع عليها الشمس حتى تحرق النجاسة ، كذلك لأرض القلب مظهران : ذكر الله تعالى وهو كالمطر ، والشيخ الكامل وهو كالشمس يتطهر القلب بالذكر ، ويتوجهات الشيخ الكامل أيضاً .

الدليل السابع عشر : كان المحدث الشهير والمفسر الكبير القاضي ثناء الله الثاني فني ذاكلاً في السلسلة النقشبندية على يد الشيخ الميرزا مظهر جان جاتان رحمه الله ، ولذلك سمي كتابه في التفسير : بالتفسير المظهري .

الدليل الثامن عشر : كان مولانا محمد قاسم الجانوتوي ومولانا رشيد أحمد الجنجوهي رحمهما الله تعالى من شيوخ وأقمار العلم ، ومع ذلك كان لهما علاقة البيعة بالشيخ الحاجي أمداد الله المهاجر المكي رحمه الله تعالى ، وقد درس الشيخ رحمه الله تعالى إلى الكافية أي إلى الدرجة الثانوية العامة فقط .

الدليل التاسع عشر : استفاد بعض العلماء من عدة مشايخ . ففاز الخواجه أبو سعيد بمقام الرجاء من الشيخ الزازي ، ومقام النبوة من

الشاه شجاع النكرماني، ومقام الشفقة من أبي حفص الحداد.

الدليل العشرون: يقول الشيخ أبو علي الروباري رحمه الله تعالى: أستاذي في التصوف الشيخ جُنَيْد البغدادي رحمه الله تعالى، وفي علم الفقه الشيخ أبو العباس ابن شريح رحمه الله تعالى، وفي النحو ثعلب رحمه الله تعالى، وفي الحديث الشريف إبراهيم رحمه الله تعالى، وكفَى بهذه العلوم لإصلاح النفس. فتبين من هذه الحقائق أن كل واحد من مشايير الأمة وجد منازلَ عاليةً بالترقي تحت ظل شيخ كامل، وإن أراد اليوم سالك أن يبلغ إلى هذه المنزلة فلا بد أن يسلك هذه المسالك التي وجد بها السلف الصالحون نعمة الوصول إلى الله تعالى.

علامات الشيخ الكامل:

لا بد للمجالسين على مسند الإرشاد من وجود صفات حسنة.

قال الشاعر:

في إحدى اليتيم كاس الشريعة وفي الأخرى قلة حب الله
كل متبع أهواء النفس لا يعرف استخدام أحد هذين

قال بعض العلماء: (لا بد للشيخ الكامل من وجود هذه الأوصاف الآتية كاملة: الشجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار العُلُود، والاستعداد للموت قبل نزوله). والحقيقة أن طالب الدنيا الدينية ليس بأهل ليكون شيخ الطريقة، قال شاعر:

سلمنا أنك أستاذ الغصير وشيخ الهدى
ولكن أخبرني هل أنت رئيسي

وذكر بعض العلماء للشيخ الكامل علامات هي:

١ - أن يكون صاحب نسبة . (مجازاً من شيخ من المشايخ عاموراً بنشر التسلسل) .

٢ - أن يكون صاحب علم . (الجاهل كالأعمى ومن يتخذ الأعمى دليلاً يهوي في الخفرة) .

٣ - أن يكون صاحب تصرف (أي يصدق عليه) ﴿الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤] .

٤ - أن يكون صاحب إرشاد (وهذه الصفة ليست لازمة بل هي أولى) .

ومن لم يهيف بهذه الصفات الأربع فليس بشيخ أبداً . قال شاعر :

هَـنَا أَلْفُ نَكَاتٍ أَدَقَّ مِنَ الشَّعْرِ

وَلَيْسَ كَلَّ مَنْ يَخْلُقُ رَأْسَهُ يَعْرِفُ الْإِضْلَاحَ

ذكر الشيخ ابن عربي للشيخ الكامل ثلاث صفات : ١ - له دين

كدين الأنبياء . ٢ - له تدبير كتدبير الأطباء . ٣ - له سياسة كسياسة

الملوك . قال شاعر :

هَذَا هُوَ إِمَامُ زَمَانِكَ حَقِيقَةُ الَّذِي

يَسِرُّكَ عَنْ كُلِّ خَاصِرٍ وَفَوْجٍ جَوِدٍ

يَرِيكَ فِي مِرَاةِ الْمَوْتِ وَجْهَ الْحَبِيبِ

يَجْعَلُ حَيَاتِكَ أَشَدَّ ضَعُوفَةً

يُسَبِّحُكَ إِحْسَاسَ الْفَقْدَانِ وَيَحْرُكُ ذَمَّكَ

يَحْدُثُكَ بِالْفَقْرِ وَيَجْعَلُكَ مَبْقَاً

الشيخ الكامل في يادي الرأي كجماعة الناس ، ولكن يختلف

عنه كثير في الباطن ، كالماء المر ، والماء الحلو ، الصورة واحدة

والسيرة مختلفة . أكل الفاسق والصالح خبزاً واحداً ينشأ في

أحدهما الشفوة ، وفي الثاني العشق الإلهي . أثبت الأرض

قَصْبَيْنِ: أَخَذَهُمَا صَارَ قَصَبَ الْقَلَمِ، وَالثَّانِي قَصَبَ السُّكَّرِ، أَكَلَ
الطَّبِيحَانِ غُثْبَاناً وَاحِداً حَدَّثَ فِي الْوَاحِدِ الْبَعْرَاتِ، وَفِي الثَّانِي
الْمَيْسَكِ. مَقَصَّتِ الذَّبَابُ وَالشَّخْلُ مِنْ وَزْدٍ وَاحِدٍ صَارَ فِي الْوَاحِدِ
السَّمُ، وَفِي الثَّانِي الْعَسَلُ، الشَّيْخُ الْكَامِلُ فِي الظَّاهِرِ كَعَامَّةِ النَّاسِ
وَفِي الْحَقِيقَةِ يَخْتَلِفُ عَنْهُمْ. قَالَ شَاعِرٌ:

لَا تُزِقْ فِي الْأَفَاظِ وَالْمَعْنَى وَلَكِنْ
أَذَانُ الْمَطْوُوعِ شَيْءٌ وَأَذَانُ الْمَجَاهِدِ شَيْءٌ آخَرُ
بَطْطِيرَانٍ فَيُفَضِّلُ وَاحِدٌ وَلَكِنْ
لِلنَّاسِ عَالَمٌ وَلِلشَّاهِدِينَ عَالَمٌ آخَرُ

فَإِنْ نَيْسَرَ لِسَالِكٍ شَيْخٌ فِيهِ هَذِهِ الصِّفَاتُ فَقُلِّبْهُ أَنْ يَنْمَسِكَ بِذَيْلِهِ وَأَنْ
يَرَى صُحْبَتَهُ كَالْكَيْمِيَاءِ الْأَخْمَرِ.

قَالَ الشَّاعِرُ:

إِنْ تَيْسَرَ لِأَحَدٍ شُعَيْبٌ فَالْمَسَافَةُ
بَيْنَ الرَّغْبِ وَالْكَلِيمَةِ قَدْ تَمَّانُ

الباب السادس

في آداب الشَّيْخ

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾
 [الحجرات: ١١]. وقال في مقام آخر: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾
 [الحجرات: ٢]. المَقْصُودُ مِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ تَوْجِيهِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْآدَابِ.
 قال عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَذِنَ لِي رَبِّي فَأُحْسِنُ تَأْدِيبِي».

[الجامع الصغير للسيوطي ج ١ ص ٥١]

فَعَلِمَ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ لَا بُدَّ لِلسَّالِكِ مِنْ رِعَايَةِ الْآدَابِ. قَالَ

قَائِلٌ:

فروش اے دل بھری محفل میں چلائے نہیں اچھا

ادب پہلا قرینہ ہے محفل کے قریبوں میں

تَرْجَمَتُهُ: اهدأ يا قَلْبُ فَإِنَّ الْجَهَنَّمَ لَا يَحْسُنُ فِي الْمَجْلِسِ الْعَاقِلُ إِذِ
 الْآدَابُ أَوَّلُ دَرَجَةٍ مِنْ دَرَجَاتِ الْمَحَبَّةِ.

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو سَعْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (التَّصَوُّفُ كُلُّهُ آدَابٌ).

وَقَالَ شَاعِرٌ:

أَذْبُوا النَّفْسَ إِلَيْهَا الْأَصْحَابُ طَرِيقُ الْعِشْقِ كَمَلُهَا آدَابُ

نَذَكِّرُ فِيمَا يَلِي عِدَّةَ آدَابٍ، لَا بُدَّ لِلسَّالِكِ مِنَ الْمُحَافَظَةِ
 عَلَيْهَا، وَأَيُّ مَالِكٍ يَتَأَدَّبُ بِهَا مَوْتٌ يَزْنَقِي بِسُرْعَةٍ، وَإِنْ تَغَفَّلَ بَعْدَ
 مَعْرِفَةِ الْآدَابِ حَرَمَ مِنَ النِّعَمِ الْبَاطِنَةِ. رُوِيَ هَذِهِ الْآدَابُ عَنِ
 الشَّيْخِ عَبْدِ الْمَالِكِ الصَّنَدِيقِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَأُخِذَتْ كَمَا هِيَ مِنْ

الشجرة الطيبة، ثم أُضيفت إليها أشياء لا اضطرار الحاجة إليها بعنوان الفائدة لشرحها لتيسير تفهيمها على السالكين كأنما رُفعت السجادة بالطنس.

الأدب الأول: لا ينظر السالك إلى ظاهر حال المُرشِد وأُسرته ووجاهته ومهنته ولا يحتقره، بل ينظر إلى تلك النعمة والفيضان اللذين وهبهما الله تعالى للشيخ وسيلتين لمعرفة الله تعالى، ويستفيد من شخصيته بكمال الصُديق واليقين.

قائدة: مريض يأخذ العلاج من الطبيب لمهارته في الطب لا ينظر إلى ظاهر حال الطبيب، ولا إلى وجاهته. فكذا ينبغي للسالك أن ينظر إلى بركة الشيخ الباطنية لا إلى شيء آخر منه. عن سهل بن سعد الساعدي رحمه الله أنه قال: مرَّ رجلٌ على رسول الله ﷺ فقال لرجل عنده جالس: «ما رأيك في هذا؟» فقال رجلٌ من أشرف الناس: هذا والله حريٌّ إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفع. فسكت رسول الله ﷺ، ثم مرَّ رجلٌ آخر، فقال له رسول الله ﷺ: «ما رأيك في هذا؟» فقال: يا رسول الله، هذا رجلٌ من فقراء المسلمين، هذا حريٌّ إن خطب أن لا ينكح، وإن شفع أن لا يشفع، وإن قال أن لا يسمع لقوله. فقال رسول الله ﷺ: «هذا خيرٌ من ملء الأرض مثل هذا».

[بخاري مع حاشية السندي ج ٣ ص ١٦١ باب فضل الفقر من كتاب الدعوات، وقال النووي: متفق عليه - انظر رياض الصالحين مع شرح نزهة الصالحين ج ١ ص ٢٦٥]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صُوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قُلُوبكم وأعمالكم».

[مسلم ج ٣ ص ١٩٨٧ بتحقيق فؤاد عبد الباقي]

كَانَ غَمَزُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا، وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا،
بِعَنِي بِلَالًا.

[صحيح البخاري مع حاشية السندي ج ٢ ص ٣٠٦]

وَكَانَ يَقُومُ عِنْدَمَا يَرَى بِلَالًا فِي زَمَنِ خِلَافَتِهِ وَيَقُولُ: جَاءَ سَيِّدُنَا
بِلَالٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَعَلِمَ أَنَّ الظَّاهِرَ مِنَ الْبَهَاءِ وَالْعَظَمَةِ وَالْكَرَامَةِ لَيْسَ
بِشَيْءٍ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، فَعَلَى السَّالِكِ أَنْ لَا يَنْظُرَ إِلَى ظَاهِرِ أَحْوَالِ الشَّيْخِ،
بَلْ يَنْظُرَ إِلَى نِعَمَتِهِ الْبَاطِنَةِ وَالْحَقُّ أَنَّ غَرَضَ الْعَطَشَانِ الْمَاءَ الْبَارِدَ، فَلَا
يِبَالِي أَنَّ الْمَاءَ فِي كَأْسِ الثَّرَابِ أَوْ إِنَاءٍ لَامِعٍ مِنَ الْفِضَّةِ، وَأَمَّا الْقَوْمِيَّةُ فَقَالَ
تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَاكَ شُعْرًا وَمِقْيَلًا لِيَتَعَرفُوا إِنَّ أكرمَكَ عِنْدَ اللَّهِ أَفْضَلُكُمْ﴾ [الحجرات: ١١٣].

حَكِي أَنْ الشَّيْخَ مَهْرَ عَلِيٍّ شَاهٍ يَأْتِي عَلَى يَدِ الشَّيْخِ شَمْسِ الدِّينِ
السِّيَالَوِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَقَالَ رَجُلٌ: كَيْفَ يَأْتِيكَ عَلَى يَدِ بَدَوِيِّ وَأَنْتَ
شَرِيفٌ؟ فَأَجَابَ الشَّاهُ: رَأَيْتُ أَرْضَ الزَّارِعِ خَضِرَاءَ فَبَايَعْتُهُ.

الأدب الثاني: لِيَعْتَقِدَ السَّالِكُ أَنَّ عَرِشَهُ أَنْفَعُ النَّاسِ لَهُ، وَأَنْ أَمَرَ
إِصْلَاحَ الْبَاطِلِ وَخَضُوعَ الْمَعْرِفَةِ بِتَيْسَرٍ مِنْ هَذَا الْمُرْتَبِعِ وَلَا يَكُنْ أَقْفَاءً،
وَإِنْ لَقِيتَ إِلَى جِهَةِ أُخْرَى يُحَرِّمُ مِنَ الْقِيُوسِ وَالْبَزْكَاتِ.

قائده: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَوْفٌ حَكِيمٌ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ﴾ [يوسف: ١٧٦].

فَقِيْلَ: إِنَّ الشَّيْخَ قَدْ لَا يَكُونُ أَهْلًا لَكُنْهُ فِي حَقِّ السَّالِكِ أَنْفَعُ الْبَيْتِ
فَمَا يَتَيْسَرُ لِلطُّفْلِ مِنَ الْعَبِّ وَالشُّفْقَةِ مِنْ أُمِّهِ لَا يَتَيْسَرُ مِنْ امْرَأَةٍ أُخْرَى،
مَعَ أَنَّ النِّسَاءَ الْأُخْرَى يُمْكِنُ أَنْ يَكُنَّ أَفْضَلَ مِنْ أُمِّهِ عَقْلًا وَأَحْسَنَ خُلُقًا
وَأَطْيَبَ فِي صِفَاتِ أُخْرَى.

وما أَحْسَنَ مَا قِيلَ:

إِنَّ حُبَّ الْأُمِّ جَبَلٌ حَمَلَايَا لَمْ يَسْتَطِيعْ أَحَدٌ أَنْ يَبْلُغَ شَامِعَاتِهَا.

إِنَّ حُبَّ الْأُمِّ هُوَ بَخَرٌ غَمِيقٌ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَصِلَ أَحَدٌ إِلَى غَمَقِهَا.
خَتَانُ الْأُمِّ زَهْرٌ دَائِمٌ الْبَهْجَةِ لَا يَوُثِّرُ عَلَيْهِ الْخَرِيفُ وَالرَّيْبُ.

هكذا السَّالِكُ مَا يَجِدُ مِنَ النَّفْعِ عِنْدَ الْمُرْشِدِ لَا يَجِدُهُ عِنْدَ غَيْرِهِ.

السَّالِكُ يُفْتَحُ لَهُ بَابُ الْإِفَاضَةِ قَدْرَ حُسْنِ ظَنِّهِ فِي مُرْشِدِهِ. كَانَ
مُرْشِدُ مَجْدَدِ الْأَلْفِ الثَّانِي الشَّيْخُ الْبَاقِي بِاللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ هَادِئاً قَلِيلَ الْحَقَالِ
جَدّاً. مَرَّةً قَالَ لَهُ شَخْصٌ: عِظْ لَنَا يَا سَيِّدِي حَتَّى يَسْتَقْبِلَ السَّالِكُ الْكَوْنَ،
فَقَالَ: مَنْ لَمْ يَسْتَقْبِدْ شَيْئاً مِنْ سُكُونِنَا لَنْ يَنْتَفِعَ شَيْئاً مِنْ كَلَامِنَا.

قَالَ خَفِزَةُ مَجْدَدِ الْأَلْفِ الثَّانِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (كُنْتُ أَنَا
وَسَالِكَانِ ثَلَاثَةَ أَخَوَةٍ فِي الطَّرِيقَةِ وَكُنُونَا فِي حَقِّ الْمُرْشِدِ مُخْتَلِفَةً. كَانَ
أَحَدُنَا يَقُولُ أَنَّ الشَّيْخَ كَامِلٌ فِي نَفْسِهِ غَيْرُ مُكَمَّلٍ لِلآخَرِينَ، وَكَانَ يَظُنُّ
الثَّانِي أَنَّ الْمُرْشِدَ كَامِلٌ وَلَكِنْ لَيْسَ بِصَاحِبِ إِرْشَادٍ، وَكَانَ ظَنِّي أَنَّهُ إِنْ
تَيَسَّرَ لِأَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ شَيْخٌ كَامِلٌ فَهُوَ الصَّدِيقُ الْأَكْبَرُ تَيَسَّرَ لَهُ
النَّبِيُّ ﷺ، أَوْ تَيَسَّرَ لِي بَعْدَهُ شَيْخٌ كَامِلٌ، فَمِنْ حُسْنِ ظَنِّي هَذَا اجْتَبَانِي
اللَّهُ تَعَالَى لِتَجْدِيدِ هَذَا الدِّينِ فَصَارَ مَجْدَدٌ لِلْأَلْفِ الثَّانِي، فَعَلَى
السَّالِكِ أَنْ لَا يَكُونَ أَفْقَاقاً وَلَا يَلْتَفِتَ إِلَى غَيْرِ مُرْشِدِهِ لِكَسْبِ الْفَيْضِ،
وَيُمْكِنُ أَنْ يَسْتَشْهِدَ عَلَى هَذَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَعَزَّوْنَا عَلَيْهِ الْكَرَامَ مِنْ
قَبْلُ﴾ [القصص: 112].

الأدب الثالث: وَلْيُمْكِنُ كَامِلُ الْإِطَاعَةِ لِمُرْشِدِهِ لِأَنَّ بَابَ الْفَيْضِ لَا
يُفْتَحُ بِغَيْرِ حُبٍّ وَحُسْنِ اعْتِقَادِهِ وَمُقْتَضَى الْحُبِّ الطَّاعَةُ وَالْخِدْمَةُ.

قائده: سَقَرُ الْهَجْرَةِ لِسَيِّدِنَا الصَّدِيقِ الْأَكْبَرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمِثَالُ نَادِرٍ
عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ لِبَطَاعَةِ الْمُرْشِدِ وَخِدْمَتِهِ وَحُبِّهِ وَحُسْنِ اعْتِقَادِهِ. جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ
لِلْهَجْرَةِ إِلَى بَيْتِ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لِي فِي
الْخُرُوجِ وَالْهَجْرَةِ». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الصُّحْبَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

قال: «الصُّحْبَةُ». قالت عائشة رضي الله عنها: فوالله ما شَعَرْتُ قطَّ قَبْلَ اليومِ أَنَّ أَحَدًا يَبْكِي مِنَ الفَرَحِ حَتَّى رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ يَبْكِي يَوْمَئِذٍ، ثُمَّ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! إِنَّ هَاتَيْنِ زَاحِلَتَانِ قَدْ كُنْتُ أَغْدِقُهُمَا لِهَذَا، وَأَمَرَ أَبُو بَكْرٍ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ بِنِ أَبِي بَكْرٍ أَنْ يَسْمَعَ لِهَما مَا يَقُولُ النَّاسُ فِيهِمَا نَهَارَهُ، ثُمَّ يَأْتِيهِمْ إِذَا أُنْسِيَ بِمَا يَكُونُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ مِنَ الْخَبَرِ، وَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ قُهَيْبَةَ مَوْلَاهُ أَنْ يَرُحَى عَنْهُ نَهَارَهُ ثُمَّ يُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا (يَأْتِيهِمَا) إِذَا أُنْسِيَ فِي الْغَارِ، وَكَانَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ تَأْتِيهِمَا مِنَ الطَّعَامِ إِذَا أُنْسَتْ بِمَا يُضْلِحُهُمَا. وَلَمَّا انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْغَارِ لَيْلًا دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمَسَ الْغَارَ لِيَنْظُرَ أَفِيهِ سَبْعٌ أَوْ خِيَةٌ؟

قَالَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مَعَهُ اخْتَمَلَ أَبُو بَكْرٍ مَالَهُ كُلَّهُ مَعَهُ، خَمْسَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ أَوْ سِتَّةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ، فَأُطْلِقَ بِهَا مَعَهُ، قَالَتْ: فَدَخَلَ عَلَيْنَا جَدِّي أَبُو قُحَّافَةَ، وَقَدْ ذَهَبَ بَصَرُهُ، فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاهُ قَدْ فَجَعَلَكُمْ بِمَالِهِ مَعَ نَفْسِهِ، قَالَتْ: قُلْتُ: كَلَّا يَا أَبَتِ، إِنَّهُ قَدْ تَرَكَ لَنَا خَيْرًا كَثِيرًا، قَالَتْ: فَأَخَذْتُ أَخْجَارًا فَوَضَعْتُهَا فِي كُوَّةِ فِي الْبَيْتِ كَانَ أَبِي يَضَعُ مَالَهُ فِيهَا، ثُمَّ وَضَعْتُ عَلَيْهَا ثَوْبًا، ثُمَّ أَخَذْتُ بِيَدِهِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ هَبْ يَدَكَ عَلَى هَذَا الْمَالِ، قَالَتْ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: لَا بَأْسَ إِذَا كَانَ تَرَكَ لَكُمْ هَذَا فَقَدْ أَحْسَنْتَ، وَفِي هَذَا بَلَاغُ أَكْمٍ، وَلَا وَاللَّهِ مَا تَرَكَ لَنَا شَيْئًا، وَلَكِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَسْكِنَ الشَّيْخَ بِذَلِكَ.

أَصَابَ الشَّيْخَ دُوسَتٌ مُحَمَّدُ الْقُنْدَهَارِيُّ رَجَمَهُ اللَّهُ مَرَّةً بِمَرَضٍ فَكَانَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ عُدْمَانُ الدَّقَائِي رَجَمَهُ اللَّهُ يَخْرُجُ مِنْ قَرْيَةِ سُوْسَى زَيْي الشَّرِيفَةِ حَاشِيًا عَلَى قَدَمَيْهِ إِلَى بَلَدَةِ دَرَابِنَ وَبَيْنَهُمَا قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كِيلُومِتْرًا فَيَأْخُذُ الدَّوَاءَ وَيَرْجِعُ، ثُمَّ يَسْتَقِلُّ فِي تَبْرِيصِهِ طَوِيلَ اللَّيْلِ. فَعَلَّ ذَلِكَ أَيَّامًا مُتَوَاصِلَةً. اسْتَقَلَّ الشَّيْخُ عَبْدُ الْمَالِكِ مِنْ سُكَّانِ شَوْكٍ قَرِيشِي

فِي رُضِي غَنَمِ الشَّيْخِ فَضَّلَ عَلِيَّ الْفَرِيشِي رَحِمَهُ اللَّهُ قَرِيباً مِنْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً حَتَّى صَارَ مَعْرُوفاً بِاسْمِ (بَكْرٍ وَالِ) وَمَعْنَاهُ (رَاعِي الْغَنَمِ) . أَخْبَرَ مُرْشِدُ الْعَالَمِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ الشَّيْخَ عَبْدَ الْمَالِكِ الصَّدِيقِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى اشْتَرَى مَرَّةً شَنْفَلَةً ثَمِينَةً جَدًّا وَقَالَ بَعْدَ مَا سئِلَ : مَا ضَعُ فِيهَا أَخْجَاراً لِمُسْتَنْجَاءِ مُرْشَدِي . تَقُولُ الْعَرَبُ : إِنَّ الْمَحَبَّ لِمَنْ يَحِبُّ مَطِيعٌ ، وَهَذَا الْحُبُّ وَالْخِدْمَةُ أَشْبَابُ جَلْبِ الْغَيْضَانِ .

الأدب الرابع : لِيَتَخَدَّمَ الشَّيْخَ مَا اسْتَطَاعَ خِدْمَةً مَالِيَةً وَخِدْمَةً بَدَنِيَّةً وَلَا يَمْنُ عَلَيْهِ ، بَلْ يَعْتَرِفْ بِإِحْسَانِ مِنَ الشَّيْخِ أَنَّهُ تَفَضَّلَ بِقَبُولِ الْخِدْمَةِ وَلَا يَطْلُبُ مُقَابِلَتَهُ شَيْئاً وَلَا يَطْمَعُ ، وَلِيَتَخَدَّمَ مَا اسْتَطَاعَ لَوُجْهِ اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى يَفُوزَ بِكَمَالِ الْإِيمَانِ .

فائدة : قَالَ الْمَبِيطُوبِي : أَخْرَجَ ابْنُ شَاهِينَ فِي السُّنَنِ ، وَالْبَحْثِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ ، وَابْنُ عَسَاكِرَ عَنِ ابْنِ عُثْمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَعِنْدَهُ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ وَعَلَيْهِ عِبَادَةٌ قَدْ خَلَّلَهَا فِي صَدْرِهِ بِخَلَّالٍ ، فَتَزَلَّ عَلَيْهِ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ مَا لِي أَرَى أَبَا بَكْرٍ عَلَيْهِ عِبَادَةٌ قَدْ خَلَّلَهَا فِي صَدْرِهِ بِخَلَّالٍ ؟ فَقَالَ : يَا جَبْرِيلُ أَنْفَقَ مَالَهُ عَلَيَّ قَبْلَ الْفَتْحِ ، قَالَ : فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْرَأُ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَيَقُولُ : قُلْ لَهُ : أَرَأَيْتَ أَنتَ عَنِّي فِي قَفَرِكَ هَذَا أَمْ سَاخِطٌ ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَسَخِطُ عَلَى رَبِّي ؟ أَنَا عَنْ رَبِّي رَاضٍ ، أَنَا عَنْ رَبِّي رَاضٍ ، أَنَا عَنْ رَبِّي رَاضٍ .

[تاريخ الخلفاء ص ٣٩]

قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ : وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَفْضِي فِي مَالِ أَبِي بَكْرٍ كَمَا يَفْضِي فِي مَالِهِ نَفْسَهُ .

[تاريخ الخلفاء ص ٣٨]

سُبْحَانَ اللَّهِ ، يَا حَبِيبَا مَالِكَ يَتَخَدَّمُ الشَّيْخَ وَيَعْتَرِفُ لَهُ بِإِحْسَانٍ .

كما قال قائل:

معت منكر خدمه سلطان به كنى منكره دشاس كه بخدمت گذاشت

ترجمته :

لا تَمْنُنْ عَلَى السُّلْطَانِ إِنَّكَ تَخْدُمُهُ
اعترف منه بإحسان إله فليس لك لخدمته

الأدب الخامس: ليسرّع في اتباع أمر المرشد، ولكن لا يتقيد بغيره بغير إذنه، لأنه قد يفعل حسب حاله ومرتبته، وفيه ضرر للسالك لارتفاعه من مستواه، ولكن يقتدي بقوله لينشأ المحبة والمناسبة بالشيخ.

فائدة: هذا الأدب مأخوذ من الحديث الشريف، روى أنس، وعبد الله بن عمر، وأبو سعيد، وعائشة، وأبو هريرة رضي الله عنهم؛ أن النبي ﷺ نهى عن الرضال، وفي رواية: شفقة لهم، فقال رجل من المسلمين: إنك تواصل يا رسول الله، قال: «وأيكم مثلي؟ إني أبش يطعنني ربي ويسفيني»، وفي رواية: «فاكفوا من العمل ما تطيقون».

[البخاري رقم ١٩٦١ إلى ١٩٦٧ ج ١ ص ٣٨، ٣٩ بتحقيق فؤاد

عبد الباقي]

يتبعي للسالك أن يسرع في امتثال أمر المرشد وإن رآه يشتغل في عمل خاص يستأذنه ويتخذُه بعد إذنه، إن لم يؤذن له يظن نفسه ضميماً ناقص الهمة ويعترف بلسانه أن عمل المرشد أقوى لينشأ الحب والمناسبة بالمرشد.

الأدب السادس: وفي مجلس المرشد يلتفت إليه بحذافيره، فلا يقرأ وزداً ولا يصلي نافلة بغير إذنه إلا القرائض والسنة، بل يقتنم صحبته المؤثرة أثر كيمياء ليجد منه نظرة الشفقة وليأخذ نصيبه من نعمة الباطنة. قال مشايخ الطريقة النقشبندية رحمهم الله: إن

رَبَطَ الْقَلْبَ بِقَلْبِ الشَّيْخِ عِنْدَ حُضُورِهِ أَنْفَعُ مِنَ الْوُقُوفِ الْقَلْبِيِّ .

فائدة: الْحِكْمَةُ عَنِ النَّهْيِ عَنِ الثَّقَلِ وَالْوِزْرِ بَيْنَ يَدَيِ الشَّيْخِ أَنَّ السَّالِكَ أَنْ يَعْتَمَلَ هَذَا فِي غَيْبَتِهِ أَيْضاً ، فَلْيَسْتَفِذْ مِنْ صُحْبَةِ الشَّيْخِ الْفَائِدَةَ الْبَاطِنِيَّةَ ، وَلْيَلْتَفِتْ إِلَيْهِ التَّفَاتُ تَامّاً مَمْعاً وَفِكْراً .

یک چشم زدن غافل از اس شامه پاشی شاید که نگاہ کند آگاه پاشی

ترجمته :

لَا تَغْفَلْ عَنِ ذَلِكَ الْمَلِكِ طَرَفَةً عَيْنٍ
عَسَى أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْكَ وَأَنْتَ لَا تُلْتَفِتُ إِلَيْهِ

إِنَابَةُ الْقَلْبِ إِلَى اللَّهِ يُقَالُ لَهَا : الْوُقُوفُ الْقَلْبِيُّ ، وَأَمَّا الرِّابِطَةُ الْقَلْبِيَّةُ فَهِيَ أَنْ يَنْظُرَ السَّالِكُ نَفْسَهُ خَالِياً وَيَرْبِطَ قَلْبَهُ بِقَلْبِ الشَّيْخِ وَبِحَسَبِ أَنَّهُ يَأْتِيهِ الْفَيْضُ فِي قَلْبِهِ مِنْ قَلْبِ الشَّيْخِ ، يَرْتَقِي السَّالِكُ بِالذِّكْرِ أَيْضاً وَبِعَنَايَاتِ الْمُرْشِدِ أَيْضاً ، وَالسَّبِيلُ الَّذِي يَعْبُرُ بَدُونِ مُرْشِدٍ فِي سَنَوَاتٍ يُمْكِنُ أَنْ يَغَيَّرَ بَعَاثَاتِ الْمُرْشِدِ فِي سَاعَاتٍ .

ولذا قيل :

یک زمانه صحیح با اولیاء بہتر از صد سالہ مطاعت ہے یا

ترجمته : مُجَالَسَةُ الْأَوْلِيَاءِ جَيِّدٌ مَا خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ مَائَةِ سَنَةٍ خَالِيَةٍ مِنَ الزِّيَادِ .

قال الشيخ محمد معصوم رحمه الله :

سایہ بہتر از صد سالہ مطاعت از اولیاء

ترجمته : ظَلَّ الشَّيْخُ أَنْفَعُ لِلسَّالِكِ مِنْ ذِكْرِ الْحَقِّ .

قَالَ عَارِفٌ : إِذَا جَلَسْتُمْ فِي مَجَالِسِ الْعُلَمَاءِ فَأَمْسِكُوا أَلْسِنَتَكُمْ ، وَإِذَا جَلَسْتُمْ فِي مَجَالِسِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ فَأَمْسِكُوا قُلُوبَكُمْ ، وَإِذَا جَلَسْتُمْ فِي مَخَافِلِ

الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ فَأَنصِتُوا لِأَمْرَارِكُمْ، وَجَدَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنْ صُحْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ عِدَّةَ سَاعَاتٍ مَا لَمْ يَجِدْ غَيْرَهُمْ مِنْ مُجَاهِدَاتِ الْقَلْبِ سَنَةً. وَمِنْ آيِنَ إِلَى آيِنَ أَبْلَغْتَ خِيَارًا نَظْرَةً وَاحِدَةً مِنَ الشَّيْخِ الْبَاقِي بِاللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

الأدب السابع: ليجلس في صُحْبَةِ الشَّيْخِ متأدباً متواضعاً ساكناً وليستمع كلامه الطَّيِّبَ بغاية فِكْرٍ، وَلَا يَنْظُرُ بيميناً وشمالاً، وَلَا يَتَكَلَّمُ بِغَيْرِ إِذْنِهِ، وَلْيَتَكَلَّمْ عِنْدَ الضَّرُورَةِ بِكَلَامٍ مُوجِزٍ، وَلْيَتَنَظَّرْ جَوَابَهُ بِغَايَةِ التَّوَجُّهِ، وَلْيَتَكَلَّمْ بِهَدْوٍ وَرَفَقٍ، وَلَا يَرْفَعُ صَوْتَهُ عَلَى صَوْتِ الْمُرْشِدِ، وَلَا يَتَكَلَّمْ بِكَلِمَةٍ تَكُونُ سَبَبَ ضَيْقٍ أَوْ خِفَّةٍ لِلْمُرْشِدِ.

فائدة: عندما يستمع السَّالِكُ إِلَى مَوْعِظَةِ الشَّيْخِ بِقَلْبٍ مُتَادِفٍ يَتَأَثَّرُ قَلْبُهُ بِقِيَمَاتِهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنِّي فِي ذَلِكَ لَكَاغٍ لِّلْمُذَكِّرِينَ إِنَّمَا كَانَ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٢٧].

وَالْحِكْمَةُ فِي الْإِلْهَاءِ عَنِ التَّكَلُّمِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ أَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الشَّيْخُ مُفَكِّراً يَفْكُرُ فِي تَحْقِيقِ عِلْمِيَّةٍ، أَوْ يَلْقَى نَوَاجِذَ الْبَاطِنِيَّةِ عَلَى قَلْبِ أَحَدٍ، أَوْ يَرُدُّ عَلَيْهِ الْإِلْهَامَ أَوْ يَكُونُ مُفَكِّراً فِي أَمْرِ هَامٍ، فَالْكَلَامُ بِدُونِ الْإِذْنِ حَبِثٌ يُوْدِي إِلَى انْقِبَاضِ الطَّبَعِ.

وَأَيْضاً لَا يَرْفَعُ صَوْتَهُ أَثْنَاءَ الْكَلَامِ عَلَى صَوْتِ الْمُرْشِدِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ١٢].

وَاسْتَدِلَّ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ مِنْ أَحَادِيثِ الْإِنْصَاتِ لِلنَّبِيِّ ﷺ عَلَى حُكْمِ الْإِنْصَاتِ لِلْعُلَمَاءِ فِي كِتَابِ الْعِلْمِ مِنْ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ. لِيَسْتَمِيعَ إِلَى كَلَامِ الْمُرْشِدِ بِغَايَةِ فِكْرٍ، وَقَالَ بَعْضُ الْمَشَايِخِ: لِيَكُنِ الْمُرْشِدُ لِسَانًا وَالسَّالِكُ أُذُنًا.

الأدب الثامن: لا يميز نفسه بحضرة الشيخ، بل يظهر نفسه حقيرة محتاجة ممثلة بالطلب والشوق.

فائدة: لا يتكلم بين يدي المرشد بكلام يظهر به التفوق العلمي على الحاضرين، ولا يظهر جلالة أو هيبة الدنيوية، ولا يظهر بعلمه أنه مستشار الشيخ أو صاحب سره، ولا أن المرشد غطوف عليه، فجميع هذه الأمور تسمن النفس وتدل على الأناية، فليلتزم الطاعة والتواضع ما استطاع.

زمش کی طرح جس نے عاجزی واکھاری کی خدا کی رحمتوں نے اس کو ملایا آساں ہو کر

ترجمہ:

مَنْ تَوَاضَعَ وَتَلَّى الْأَرْضِ وَتَدَلَّى
تَصْبَحُ لَهُ رَحْمَاتُ رَبِّهِ سَمَاءً وَتَعْمَدُهُ

الأدب التاسع: لا يقعد مقعد المرشد، ولا يضع قدمه على سجادة.

فائدة: أصله عمل سيدنا الصديق رضي الله عنه. روي أن النبي ﷺ كان يخطب على الدرجة الثالثة أي العالية من المنبر، وكان الصديق رضي الله عنه زمن خلافته يخطب على الدرجة الثانية، وهذا من الأدب. وإنما ينهى عن الصلاة على سجادة المرشد لأن فيه ادعاء المساواة ظاهراً.

الأدب العاشر: لا يأكل ولا يشرب ولا يتوضأ بين يديه بغير إذنه، ولا يستعمل إناءه، ولا يتطهر ولا يتوضأ مقام طهارته ووضوئه، ويحترمه في عتيده كما يحترمه بحضرته حتى يفور بالإخلاص.

فائدة: لا يستعمل بين يدي المرشد في الأكل والشرب بغير الإذن حتى يأذن المجلوس فيجلس على المائدة، وإن لم يأذن تأخر بطيب

الْقَلْب. تَنْظُرُ عَيْنُ الْمُرْشِدِ مَا لَا تَنْظُرُهُ عَيْنُ السَّالِكِ. دُسْتُورُ مَشَايِخِ السَّلْسَلَةِ الشَّاذِلِيَّةِ الْعَالِيَةِ أَنَّهُمْ يَلْقَوْنَ الْفُيُوضَاتِ وَالتَّوَجُّهَاتِ فِي الْمَأْكُولَاتِ وَالْمَشْرُوبَاتِ وَيُطْعِمُونَهَا لِلْسَّالِكِينَ، وَبَعْضُ الْمَشَايِخِ مِنْهُمْ يَأْخُذُونَ بِالْمِيشَاقِ مِنَ الْخُلَفَاءِ عِنْدَ التَّخْلِيفِ أَنْكُمْ سَوْفَ تُلْقَوْنَ التَّوَجُّهَاتِ فِي الْمَأْكُولَاتِ وَالْمَشْرُوبَاتِ وَتُقَدِّمُونَهَا لِلْسَّالِكِينَ.

رَوَيْتُ فِي كُتُبِ التَّصَوُّفِ الْمَعْتَبَرَةِ أَنَّ بَعْضَ الْمَشَايِخِ أَطْعَمَ السَّالِكَ شَيْئاً عِنْدَ التَّخْلِيفِ. كَانَ الشَّيْخُ مُرْشِدُ الْعَالَمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَتَابِعُ جَمِيعَ السَّالِكِينَ الْمُجْتَمِعِينَ عَلَى الْمَائِدَةِ مُتَابِعَةً دَقِيقَةً، وَكَانَ يَرْنِي زُجْراً وَتَوْبِيخاً وَكَانَ يَقُولُ: رَأَيْتُ شَيْخَ الْحَدِيثِ مَوْلَانَا مُحَمَّدَ زَكَرِيَا رَحِمَهُ اللَّهُ كَانَ قَوِيَّ السَّيْطَرَةِ عَلَى الْمَائِدَةِ حَتَّى مَنْ خَضَرَ مَائِدَتَهُ عِدَّةً مَرَاتٍ اغْتَدَلَتْ عِدَّةُ تَعَوُّجَاتِهِ.

وَلَا يَبْدَأُ بِالْأَكْلِ قَبْلَ الشَّيْخِ، فَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ الصُّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ كَانُوا لَا يَضَعُونَ أَيْدِيَهُمْ فِي الطَّعَامِ حَتَّى يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَبْدَأُ.

[مسند أبي يعلى الموصلي ج ٢ ص ٣٢١ حديث رقم ٢١١٨]

حِكَايَةٌ: وَضَعَتْ لِلشَّيْخِ الْحَاجِّ أَمْدَادُ اللَّهِ الْمُهَاجِرِ الْمَكِّيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَائِدَةً مُسْتَهْلَكَةً عَلَى أَطْعَمَةٍ لَذِيذَةٍ، وَكَانَ مَوْلَانَا رَشِيدُ أَحْمَدَ الْكَنْكَوَهِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ حَاضِراً فِي خِدْمَتِهِ، فَوَضَعَ الشَّيْخُ الْحَاجُّ خَبْزاً وَغَدَساً قَلِيلاً فِي الطَّبَقِ وَوَضَعَهُمَا فِي يَدِ الْكَنْكَوَهِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَقَالَ: اجْلِسْ بِجَنْبِ الْمَائِدَةِ وَكُلْ هَذَا الطَّعَامَ فَجَعَلَ الْكَنْكَوَهِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ يَأْكُلُ بِكُلِّ رَغْبَةٍ وَسُرُورٍ. قَالَ الْحَاجُّ بَعْدَ لَحْظَةٍ زَاجِراً: أَيْ رَبِّيدُ أَحْمَدُ! كُنْتُ أُرِيدُ أَنْ أَجْلِسَ فِي مَوْضِعِ الْأَخْدِيَّةِ، وَلَكِنْ أَكْرَمْتُكَ وَأَجْلَسْتُكَ عَلَى الْمَائِدَةِ، ثُمَّ تَابَعَ الْحَاجُّ انْطِبَاعَاتٍ وَجْهِيَّةً، فَقَالَ الْكَنْكَوَهِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بَغَايَةَ آدَبٍ: نَعَمْ يَا سَيِّدِي إِنِّي أَهْلُ أَنْ أَجْلِسَ فِي مَوْضِعِ الْأَخْدِيَّةِ، وَهَذَا

فُضِّلَ مِنْكَ وَإِحْسَانٌ. فَلَمَّا رَأَى الشَّيْخُ الْحَاجَّ أَنَّهُ مَا قَارَتْ نَفْسُهُ بِسَمَاعِ
هَذَا الْكَلَامِ الْمَرْءِ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، ظَهَرَتْ ثَمَرَاتُ الذِّكْرِ.

الأدب الحادي عشر: لَا يَبْسُطُ رِجْلَيْهِ إِلَى الْمَقَامِ الَّذِي يَجْلِسُ عَلَيْهِ
الْمُرْشِدُ وَلَا يَبْصُقُ إِلَيْهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الشَّيْخُ حِينَئِذٍ بَيْنَ يَدَيْهِ.

قائدة: كَرِهَ الْفُقَهَاءُ بَسْطَ الرِّجْلَيْنِ وَالْبَصُقَ إِلَى الْكَفِّهِ الْمُسْرِقَةِ، وَإِنْ
لَمْ تَكُنْ بَيْنَ يَدَيْهِ، لِأَنَّ بَيْتَ اللَّهِ مَرْكَزُ الْأُمُورِ وَالتَّجَلِّيَّاتِ، هَكَذَا قُلْتُ
الْمُرْشِدُ مَوْزِدٌ لِلتَّجَلِّيَّاتِ الدَّائِيَةِ، فَوَجِبَتْ مَرَاعَاةُ تِلْكَ الْأَدَابِ لِلْمُرْشِدِ.
رَوَى ابْنُ مَاجَه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ:
رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَطُوفُ بِالْكَفِّهِ وَيَقُولُ: «مَا أَطْيَبُكَ وَأَطْيَبَ رِيحُكَ،
مَا أَعْظَمَكَ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكَ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ
أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ حُرْمَةً مِنْكَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَإِنْ نَظُنُّ بِهِ إِلَّا خَيْرًا».

[سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٢٩٧]

الأدب الثاني عشر: لَا يَضَعُ قَدَمَيْهِ عَلَى ظِلِّ الْمُرْشِدِ وَلَا يَقُومُ مَا
اسْتَطَاعَ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَقَعُ بِهِ ظِلُّهُ عَلَى الْمُرْشِدِ.

قائدة: وَطَاءَ شَيْءٍ تَحْتَ الْقَدَمِ يَدُلُّ عَلَى اسْتِخْقَارِهِ، فَلَا يَنْبَغِي
لِلسَّالِكِ أَنْ يَضَعَ قَدَمَهُ عَلَى ظِلِّ الْمُرْشِدِ لِأَنَّهُ يُشْتَبِهُ اسْتِهْنَاهُ، فَيُتَحَاوَلُ أَنْ
لَا يَقَعُ ظِلُّهُ عَلَى الْمُرْشِدِ، لِأَنَّ انْقِطَاعَ الْغُيُوبِ قَدْ يَسَبِّبُ الْأَضْطِرَابَ
الطَّبِيعِيَّ، وَلَا بِحَسَبِ هَذِهِ الْأَدَابِ بَسِيطَةً، لِأَنَّ الْأَدَابَ الصَّغِيرَةَ عِنْدَمَا
تُجْتَمِعُ نَصِيبُ كَثَبَةٍ زَلِيلٍ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ حَبَّةَ لَا تَمَلَأُ كَوْمَةً، لَكِنْ تُسَاعِدُ
خَبِيرًا تَمَلَأُ كَوْمَةً.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ الْقَيْمِ: لَا تَسْتَصْغِرُوا ذُنُوبًا بَلْ انْظُرُوا إِلَى عَظَمَةِ مَنْ
تَعُصُوهُ. وَبِنَاءً عَلَى هَذَا يُمكنُ أَنْ يُقَالَ: لَا تَسْتَخْفِرُوا أَدْبًا بَلْ زَاغُوا ذَاتَ
الْمُرْشِدِ الَّذِي أَصْبَحَ وَسِيلَةً لِلْوُضُوءِ إِلَى الْمَالِكِ الْحَقِيقِيِّ. حَكَى الشَّيْخُ

مُرْشِدُ الْعَالَمِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنْ طَالِباً صَادِقاً حَقِصَرَ فِي خِدْمَةِ الشَّيْخِ فَضَّلَ عَلَيِ الْقَرِينِشِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَقَالَ: إِنَّ لَطَائِفِي تَوَقَّعْتُ مِنْذُ أَيَّامٍ لَا أَذْهَبُ مَا سِيبُهُ؟ فَقَالَ الشَّيْخُ: أَتُظَنُّ لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ أَرْبَعُ كُتُبٍ سُوءِ آدَبٍ وَيَكُونُ هَذَا جَزَاءَهُ، فَفَكَّرَ طَوِيلًا حَتَّى تَذَكَّرَ أَنَّ عَصَا الشَّيْخِ كَانَتْ مَوْضُوعَةً قَبْلَ أَيَّامٍ وَهَذَا السَّائِلُ جَاوَزَ عَلَيْهَا فَجَبَرَتْ لَطَائِفُهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ.

الأدب الثالث عشر: لَا يَمْشِي أَمَامَ الشَّيْخِ وَلَا يَسْتَحْيِي فِي الْمَشْيِ خَلْفَهُ بَلْ يَحْتَسِبُهُ سَعَادَةً.

فائدة: الْمُرَادُ بِالنَّهْيِ عَنِ الْمَشْيِ أَمَامَهُ أَلَّا يَتَقَدَّمَ فِي الشَّهَارِ بِلَا حَاجَةٍ، فَإِنْ اضْطُرَّ إِلَى الْمَشْيِ أَمَامَهُ لِحَاجَةٍ فَلَا بَأْسَ، بَلْ قَدْ يَكُونُ التَّقَدُّمُ أَوْلَى كَالْمَشْيِ أَمَامَهُ لِيَلَّا مَخَافَةً أَنْ يَكُونَ فِي الطَّرِيقِ حَيَوَانٌ مُؤْذٍ أَوْ حُفْرَةٌ أَوْ حَجَرٌ يَزِلُّ بِهِ الْإِنْسَانُ أَوْ يَأْمُرُ الشَّيْخُ بِالتَّقَدُّمِ لَسَبَبٍ، فَالتَّقَدُّمُ حَيْثُ عَيْنُ آدَبٍ، إِذِ الْأَمْرُ فَوْقَ الْآدَبِ. خَرَجَ حَضْرَةُ مُرْشِدِ الْعَالَمِ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنَ الْحَرَمِ الْمَكِّيِّ الشَّرِيفِ لِيُزَيِّرَ شَخْصًا فَقَالَ لِلْمُضْهِفِ: امْشِ أَمَامَنَا فَإِنَّا لَا نَعْرِفُ الطَّرِيقَ فَقَالَ: لَا بَلْ تَقْدَمُ أَنْتَ يَا سَيِّدِي وَأَنَا أَدُلُّ عَلَى الطَّرِيقِ، فَكَلَّمَا يَأْتِي لَفَةً فِي الطَّرِيقِ احْتَاجَ الشَّيْخُ أَنْ يَتَنَبَّهَ إِلَى الْخُلْفِ وَيَسْأَلَ: إِلَى أَيِّ جِهَةٍ تَذْهَبُ؟ فَأَمَرَ الشَّيْخُ بَعْدَ قَلِيلٍ مَرَّةً ثَانِيَةً أَنْ يَتَقَدَّمَ فَاغْتَدَرَ وَقَالَ: لَا يَا سَيِّدِي أَنَا بِالتَّخَلُّفِ أَجْدَرُ. فَلَمَّا رَدَّ أَمْرَهُ مَرَّةً ثَالِثَةً بِهَذَا الْجَوَابِ رَفَعَ الشَّيْخُ عَصَاهُ غَاضِبًا وَقَالَ: هَلْ أَنْتَ شَيْخِي أَوْ أَنَا شَيْخُكَ فَجَبَنَتْكَ أَذْرُكَ الْحَقِيقَةُ وَتَقَدَّمَ.

الْأَصْلُ فِي غَايَةِ الْأَحْوَالِ أَلَّا يَتَقَدَّمَ الصُّبَيْدُ الشَّيْخَ بِلَا ضَرُورَةٍ، فَفِي غَيُورِ الْأَخْبَارِ، أَنَّهُ سُئِلَ عَمَرُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ تَعْلِيمِ وَتَرْبِيَةِ ابْنِهِ وَحَسَنَ تَأْذِيبِهِ فَقَالَ: مَا مَشَيْتُ نَهَارًا إِلَّا وَهُوَ خَلْفِي وَلَا مَشَيْتُ لَيْلًا إِلَّا وَهُوَ أَمَامِي وَلَا صَعَدَ سَفْطًا أَنَا مُتَحَتِّهِ. قَالَ مُرْشِدُ الْعَالَمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: كُنْتُ أَنَشِي خَلْفَ شَيْخِي كَالْكَبْشِ الْآلِفِ.

الأدب الرابع عشر: يقوم المريد إذا قام الشيخ ويقعد بعد قعوده.

فائدة: من الإكرام أن يقوم المريد عندما يقوم الشيخ، ويجلس عندما يجلس الشيخ. يعض الناس يسألون أن النبي ﷺ نهى أصحابه مرة عن القيام، فلماذا يقوم الناس إكراماً في مجالس الشيوخ؟ هؤلاء ما يقومون في هذا الموضع، وما يستحبون الذين يقومون، وهذا السؤال ناشئ عن قلة العلم. من حسن الشريعة المحمدية أنه إذا كان في قضية فريقان يؤمر كل منهما بأداء حقوق الفريق الثاني حتى تستمر الأمور بأسلوب حسن، وتقوم بينهما علاقة الحب والإكرام، ففي جانب واحد أمرت الشريعة المريد بالقيام لتقدير الشيخ والامتثال بالحديث: «أنزلوا الناس منازلهم».

[الجامع الصغير ج ١ ص ٤١٩]

وبجانب آخر أمر الشيخ أن يحركه أن يقوم له الناس حتى يسلم من العجب والكبر، فيزعم المريد القيام كالأوجب، ويأمر المريد بالرفق بالعود حتى يبقى ارتباط الحب والاعتقاد.

أحاديث التلميذ عن القيام مغروفة، ولتذكر عنها ثلاثة أحاديث عن القيام:

الأول: روى أبو داود والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يجلس معنا في المسجد يحدثنا فإذا قام قمنا قياماً حتى نراه قد دخل بئس بيوت أرواحهم».

[رواه أبو داود رقم ٤٧٧٥ في الأدب باب في الحلم، والنسائي ٨/

٣٣، ٣٤ في الفسامة، جامع الأصول ج ١١ ص ٢٥٣، وبطل

المجهود ج ٥ ص ٢٣٥]

الثاني: روى الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: نزل أهل قريظة على حاكم سعيد بن معاوية رضي الله عنه فأرسل

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى سَعْدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَأَتَاهُ عَلَى حِمَارٍ فَلَمَّا دَنَا قَرِيباً مِنْ الْمَسْجِدِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ».

[رواه مسلم ج ٣ ص ١٣٨٩ واللفظ له والبخاري ج ٣ ص ٤٤]

فَقَامَ الْأَنْصَارُ إِكْرَاماً لِسَعْدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَيُنْبَغِي أَنْ يَقُومَ الْمُزِيدُ لِشَيْخِهِ عَقْلاً بِهَذَا الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ عَلَى صَاحِبِهِ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ.

الثالث: مَنْ أَمَّ سَلَامَةً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كُنْ نِسَاءً وَصَلِّينَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا سَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ انْصَرَفْنَ وَتَبَتِ النَّبِيُّ ﷺ وَمَنْ صَلَّى مَعَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يَقُومُ.

[مسند أبي يعلى الموصلي ج ٦ ص ٢٤٨]

وَفِي رَوَايَةٍ أُخْرَى عَنْهَا قَالَتْ: كُنْ النِّسَاءَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا سَلَّمَ مِنَ الْمَكْتُوبَةِ قُمْ، وَتَبَتِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ صَلَّى خَلْفَهُ مِنَ الرِّجَالِ، فَإِذَا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَامَ الرِّجَالُ.

[مسند أبي يعلى الموصلي ج ٦ ص ٢٧٥]

الادب الخامس عشر: لِيَكُنْ مَوَاقِفُكَ بِحَضْرَةِ الشَّيْخِ وَبِفَضِيلَتِهِ وَلِيَجْعَلَ ظَاهِرُهُ كِتَابَتِهِ أَيْ لَا يَكُنْ أَيْ اخْتِلَافٍ بَيْنَ مَا فِي قَلْبِهِ وَمَا يَقُولُ بِلِسَانِهِ.

قاعدة: الْمُزِيدُ الَّذِي لَا يَكُونُ مُسْتَقِيمًا أَمَامَ الشَّيْخِ وَخَلْفَهُ هُوَ مَرِيضٌ يُخْفِي عَنِ الطَّبِيبِ مَرَضَهُ، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا الْمَرِيضَ لَنْ يَتَرَأَى مِنَ الْمَرَضِ. كَانَ مُرْشِدُ الْعَالَمِ يَقُولُ: (عَلَى الْمُزِيدِ أَنْ يُبَيِّنَ كُلَّ مَا عِنْدَهُ لِمُرْشِدِهِ كَمَا يُبَيِّنُ الْبَشَرُ كُلَّ مَا لَهَا لَأَمَتِهَا). فَإِنَّ الشَّرِيعَةَ كَمَا أَبَاحَتْ كُشِفَتْ السُّرُورُ عِنْدَ الطَّبِيبِ لِلْعِلَاجِ كَذَلِكَ أَبَاحَتْ بَلْ أَوْجَبَتْ كُشْفَ جَمِيعِ أَعْمَالِهِ لِلْعِلَاجِ الْبَرُّوخَانِيِّ أَمَامَ الْمُرْشِدِ. فَإِنَّ أَخْفَى الْمُزِيدِ عَلَى الْمُرْشِدِ يَتَحَمَّلُ هُوَ الْخَسَارَةُ.

قَالَ قَاتِلُ: إِنَّ أَغْلَقْتُمْ الْبَابَ لِإِخْفَاءِ الْغُيُوبِ لَا يَزَالُ الصَّدُوقُ خَارِجًا وَلَا يُقِيدُ الذَّكْرَ حَيْثُ دُ.

وَقَالَ شَاعِرٌ مَا مَغْنَاهُ: مَا زِلْتُ ذَكَرْتُ حَتَّى سَجِقَ لِسَانِي لَكِنْ لَمْ يَتَوَضَّحْ الذَّكْرُ مِنْ قَلْبِي فَقَدْ وَقَعْتُ فِي مَصِيبَةٍ أَلْقَيْتُ فِي حُبْلِكَ عَقُودًا ثَقِيلَةً وَسُبْحَةً وَلَكِنْ قَلْبُكَ مَغْفُودٌ بِالْأَنَامِ فَكَيْفَ يُوَثِّرُ عَلَيْكَ الذَّكْرُ؟

الأدب السادس عشر: يَرَى جَمِيعُ أَقْوَالِ الْمُرْشِدِ وَأَفْعَالِهِ بِشِدَّةٍ وَلَا يُخْطِئُهُ وَلَا يَأْتِي فِي الْقَلْبِ بِشَيْءٍ أَوْ شَيْءٍ، وَإِنْ لَمْ يَفْهَمْ شَيْئًا يَذْكُرُ قِصَّةَ سَيِّدِنَا مُوسَى وَسَيِّدِنَا خُضْرٍ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قائِلَةٌ: الْعِلَاقَةُ بَيْنَ التَّمْرِيدِ وَالْمُرْشِدِ لَيْسَتْ كَعِلَاقَةِ التَّلْمِيزِ وَالْأَسْتَاذِ، بَلْ كَعِلَاقَةِ الْمَرِيضِ وَالطَّبِيبِ، كَمَا أَنَّ الْمَرِيضَ لَيْسَ لَهُ أَنْ يَنْسِبَ الْخَطَأَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ مِنْ الطَّبِيبِ كَذَلِكَ لَيْسَ لِلْمُرِيدِ أَنْ يَنْسِبَ الْخَطَأَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ مِنَ الْمُرْشِدِ. قَالَ الشَّيْخُ قَاضِي ثَنَاءِ اللَّهِ الْفَنَانِي فَتَى رَحِمَهُ اللَّهُ فِي إِرْشَادِ الطَّالِبِينَ: (الْمُرْشِدُ إِنْ كَانَ مُؤَصِّفًا بِالْإِسْتِقَامَةِ وَالتَّوْحِيدِ، فَلَا يُوْجِهُ إِلَيْهِ الْإِعْتِرَاضُ إِنْ صَدَرَ مِنْهُ أَحِبَانًا أَمَرَ يُخَالِفُ الشَّرْعَ، بَلْ يَنْبَغِي تَأْوِيلُهُ وَخَمَلُهُ عَلَى الْإِضْطِرَارِ أَوْ الْإِسْتِغْرَاقِ أَوْ عَدَمِ وَقُوفِهِ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ رَجُلًا غَيْرَ مُتَّصِفٍ بِأَوْصَافِ الشَّيْخِ الْكَامِلِ وَطَرِيقِهِ طَرِيقُ فُسُوقٍ، فَهَذَا الرَّجُلُ لَيْسَ بِوَلِيِّ قَطٍّ وَلَا يَنْبَغِي تَأْوِيلُ أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ).

كَانَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ الْأَنْدَلُسِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ مُؤَيَّدَ الشَّيْخِ الشُّبْلِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ حِفَاطِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ كَانَ قَدْ بَاطَعَهُ مِائَتُ أَلُوفٍ مِنَ السَّالِكِينَ وَكَانَتْ مِائَتُ الزَّوَايَا عَامِرَةً بِبِرْكَتِهِ. كَانَ يَمُرُّ مَعَ جَمَاعَتِهِ بِقَرْيَةِ مَسِيحِيَّةٍ فَوَقَعَ بَصَرُهُ عَلَى بَنَاتٍ مَسِيحِيَّةٍ فَقَدَّ يَفْعَلَهُنَّ الْبَاطِلَةَ فَوَدَّعَ الشَّيْخُ الشُّبْلِيُّ الشُّبْلِيَّ وَأَعَادَ السَّالِكِينَ، وَطَلَّبَ مِنْ وَالِدِ الْبَنَاتِ نِكَاحَهُمَا، فَقَالَ: أَنْتَ غَرِيبٌ. نَعَمْ لَوْ تَقِيمُ عِنْدَنَا وَتَرْعَى حَنَازِيرَنَا سَنَةً أَوْ سَنَتَيْنِ يَسْهَلُ

الأمر، فوافق الشيخ فكان يخرج صباحاً ويترعى الخنازير ويعود ليلاً، وكذلك مضت سنة كاملة وكان حب الشيخ راسخاً في قلب الشيخ الشبلي كان يعرف أنه شيخ كامل بلا شك ولكن وقع في بلاء، فذهب الشيخ الشبلي بعد سنة إلى شيخه فلما وصل إلى تلك القرية رأى أن الشيخ قائم وعليه جبة وعمامة كان يخطب فيهما للجُمعة آخذاً بيده تلك الغصاة يحرس القطيع، فدنا إليه وسأله عن الأوضاع وقال: يا سيدي هل أنت إلى الآن حافظ لجميع القرآن. فسكت الشيخ قليلاً، ثم قال: أحفظ آية واحدة فقط: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنِ بِاللَّهِ فَقَالَتْ مِنْ تَكْوِينٍ﴾ [الحج: ١٨] ثم سأل هل تحفظ الأحاديث؟ فقال: أحفظ حديثاً واحداً فقط: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَافْتُلُوهُ».

أرواه البخاري جامع الأصول ج ٣ ص ٤٨١ |

ثم أغول الشيخ ونظر إلى السماء وقال: اللهم ما كنت أظن منك هذا الظن، فبكى الشيخ الشبلي بكاء عويلاً. بعد لأي رجع الشيخ الشبلي إلى وطنه. وصل في الطريق إلى جانب نهر فرأى شيخه عبد الله الأندلسي رحمه الله متبسماً ضاحكاً بشوشاً، فسر الشيخ الشبلي رحمه الله سروراً لا نهاية له، فقال: يا سيدي! ما هذه المعضلة؟ فقال الشيخ: حينما كنت مررت بقرية المسيحيين وقع في قلبي: ما أجهل هؤلاء المسيحيين حيث جعلوا المسيح عليه السلام ابناً لله تعالى، فأوخذت فوراً وتوديت: إن كنت مسلماً فهل هذا صنيعك لو هي مؤهبة منا، وسلبت منه النعمة الباطنة واللقاني الله في البلاء.

(علِمَ من هذه القصة أن هناك أموراً ليس لها عند الغوام أهمية قد يؤاخذ المقربون بتركها)، رجع الشبلي بشيخه وهاد روثق الزوايا.

وللسالكين في هذه القصة عبر:

١ - أن لا يشبهوا كمالاً بهم إلى أنفسهم.

٢ - لَوْ صَدَرَ مِنْ شَيْخٍ صَاحِبِ الْأَسْتِفَامَةِ أَمْرٌ يُخَالِفُ الشَّرْعَ فَلْيُخْمِلُوهُ عَلَى الْبَلَاءِ.

٣ - أَنْ لَا يُقْتَتَلُوا بِأَحْوَالِهِمْ وَرَوَادِيهِمْ وَكَيْفِيَاتِهِمْ.

٤ - أَنْ لَا يُقْتَتَلُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَيْ حَالٍ.

حُسْنُ اعْتِقَادِ الشَّيْخِ الشُّبْلِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَحَبَّةُ لَهُ مَنَارَةٌ ضَوْءُ لِلْسَّالِكِينَ.

الأدب السابع عشر: لَا يَضِيقُ صَدْرُهُ بِشِدَّةِ الشَّيْخِ وَعِتَابِهِ وَلَا يَتْرُكُ لِسْرِهِ الظَّنَّ طَرِيقاً إِلَيْهِ، فَإِنْ نَبَذَ الشَّيْخُ لِلْعُطَالِبِ عَمَلَ التَّلْمِيعِ.

فائدة: كَمَا أَنَّ بَسَنَاتِيَا يَقْلَعُ مِنَ الشَّجَرَةِ أَجْزَاءَهَا الزَائِدَةَ فَيَطْبِئُ ثَمَارَهَا وَتَكُونُ جَمِيلَةً الْمَنْظَرِ، أَوْ كَمَا أَنَّ طَبِيباً قَدْ يَفْصِدُ الْجُزْأَحَاتِ وَيَخْرِجُ الْمَادَّةَ الْفَاسِدَةَ وَقَدْ يَضْمِنُهُ حَتَّى يَشْفَى الْمَرِيضُ، كَذَلِكَ الْمُرْشِدُ الْكَامِلُ قَدْ يَعَامِلُ الْمُرِيدَ مَعَامَلَةَ الْحُبِّ وَالرَّحْمَةِ، وَقَدْ يَعَاتِبُهُ وَيَزْجُرُهُ حَتَّى يَنْشِئَ فِيهِ الْأَخْلَاقَ الْحَمِيدَةَ. وَعِتَابُ الْمُرْشِدِ يَعْمَلُ لَأَمْرَاضِ الْمُرِيدِ الْبَاطِنَةِ عَمَلُ التَّرِيقِ، وَلِأَنَّ الْمُرْشِدَ يَزْجُرُ بِالْإِحْلَاصِ لِأَجْلِ التَّوْبَةِ فَيَعْتَبِرُ الْمُرِيدُونَ هَذَا الزَّجْرَ وَالْتَوْبَةَ قَطَعَ سُكْرٍ فِي غُلَافٍ مَمْلُوحٍ فَيَزِدَادُ حُبُّهُمْ.

كَانَ مُرْشِدُ الْعَالَمِ يَقُولُ: لَا يَنْبَغِي لِلْمُرْشِدِ أَنْ يَكُونَ مُلْتَمِزَ الشُّكُوبِ، فَإِنْ سَكَتَ الْمُرْشِدُ عَلَى تَقْصِيرَاتِ الْمُرِيدِينَ وَلَا يَنْصَحُهُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَلَا فِي الْخَلْوَى، فَكَيْفَ يَنْمُ إِصْلَاحُ الْمُرِيدِينَ. رُؤْيَا أَخْطَاءِ وَتَقْصِيرَاتِ الْمُرِيدِينَ وَغَدَمُ الْجَهْلِ لِإِصْلَاحِهِمْ مَدَاهِنَةٌ بَيْنَهُ تَنَالُ بِهِ الْمُرْشِدِيَّةُ. وَلَكِنْ لَا نَتِمُّ تَرْبِيَةَ الْمُرِيدِينَ. كَانَ مُرْشِدُ الْعَالَمِ يَقُولُ: إِنْ الْخَلْوَى تَعْمَلُ لِلشَّيْخِ وَالْعَالِمِ عَمَلُ الْأَسْتِثَاتِ أَيْ يَنْفَلِقُ الْقَمَّ بَعْدَ أَكْلِ الْخَلْوَى. يَجِبُ ذُبْحُ الْأَغْنِيَاءِ خَاضِعَةً بِسُكُونِ الْأَسْتِثْنَاءِ وَكَانَ يَقُولُ: مَا لَمْ يَكُنْ غَضَبٌ لَمْ يَتَعَلَّمْ أَدَبٌ. وَكَانَ يَقُولُ: إِنْ أَقَامَ الْمُرْشِدُ الْمُرِيدَ عَلَى

مَلَقَى الطَّرِيقَ وَصَرَّيْهِ بِالتَّغْلِيلِ بِلَا ذَنْبٍ، فَعَلَى الْمُرِيدِ أَنْ يَأْخُذَ التَّغْلِيلَ وَيُعْطِيَهُ
لِلشَّيْخِ. عِنَابُ الْمُرْشِدِ بِلَا مَسَبِّ لَا يَخْلُو عَنْ حِكْمَةٍ. يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ
الْعَرَضُ مِلَاحِظَةً أَنَّهُ عَلَى تَشْبِيلِ نَفْسِ الصَّرِيدِ أَمْ لَا؟ الْمُرْشِدُ يُعَاتِبُ الصَّرِيدَ
بِاعْتِقَادِهِ أَنَّهُ كَمَحْسَنَاءِ سُودَ وَجْهَهَا بِالْحَبْرِ الْأَسْوَدِ مَا أَنْ تَغْسِلَ الْحَبْرَ يَظْهَرُ
وَجْهَ كَالْقَمَرِ عَلَى أَنَّ الْعَرَضَ بِالعِنَابِ وَالْغَضَبِ إِضْلَاحُ الْأَحْوَالِ لَا تَوَاجُدُ
الْحَقِّدُ فِي الْقَلْبِ. وَإِنْ مُرْشِدٌ يَحْقِدُ الْمُرِيدِينَ لِأَخْطَائِهِمْ وَتَقْصِيرَاتِهِمْ فَلَمْ
يَبْقَ فِي قَلْبِهِ إِلَّا الْحَقْدُ. غَضَبُ الْمُرْشِدِ عَارِضٌ يَتَحَوَّلُ مَحَبَّةً وَرَحْمَةً إِنْ
ضَلَّحَ الْمُرِيدُ. الْمُرْشِدُ عِنْدَمَا يُعَاتِبُ الْمُرِيدَ لَا يَحْصِيبُ نَفْسَهُ حِينَئِذٍ أَفْضَلَ
وَلَا يَحْصِيبُ الْمُرِيدَ أَذْنَى وَأَخْسَ، وَنَكُونُ حَالَةَ الْمُرْشِدِ عِنْدَ زَجْرِ الْمُرِيدِ
كَجَلَادٍ بِأَمْرِ السُّلْطَانِ أَنْ يَجْلِدَ أَمِيرًا لِأَجْلِ الْخَطَا الْفُلَانِي، فَالْجَلَادُ يَجْلِدُ
الْأَمِيرَ امْتِثَالًا لِأَمْرِ السُّلْطَانِ، وَلَكِنْ قَلْبُهُ مَلِيءٌ بِحُبِّ الْأَمِيرِ وَتَوْفِيرِهِ دُونَ
الْبَغْضِ وَالتَّخْقِيرِ. فَالْمُرْشِدُ يَزْجُرُ وَيُلْقِي التَّوْجِهَاةَ وَيَدْعُو الْمُرِيدِينَ
بِاسْطِطَاءِ يَدَيْهِ فِي خَلَوَاتِ بَصْرِفِ اللَّيْلِ. وَبُتَّ فِي الْأَحَادِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ
عِنْدَمَا يُعَاتِبُ أَحَدًا يَدْعُو لَهُ أَيْضًا. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي آتَاكَ عِنْدَكَ عَهْدًا لَنْ تَخْفِيَهُ، إِنَّمَا أَنَا
بَشَرٌ فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ آذَيْتَهُ أَوْ شَتَمْتَهُ، أَوْ جَلَدْتَهُ أَوْ لَعَنْتَهُ، فَاجْعَلْهَا لَهُ صَلَاةً
وَرِزْقًا وَفَرِيَةً تَقَرَّبَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

[شرح الشرح ٥ ص ٨]

الْمُرْشِدُ إِنْ تَوَجَّهَ إِلَى أَحَدِ الْمُرِيدِينَ أَكْثَرَ مِمَّا يَتَوَجَّهُ إِلَى آخَرٍ،
فَلَا يَصِيقُ صَدْرُ الثَّانِي، بَلْ لِيَعْتَقِدَ أَنَّهُ كَمَا يَدْخُلُ الطَّبِيبُ بَعْضُ
الْمَرْضَى فِي شُعْبَةِ الْعِيَاةِ الْمُرَكَّزَةِ، وَيَدْخُلُ الْبَعْضُ فِي الشُّعْبَةِ
الْعَامَّةِ، كَذَلِكَ الْمُرِيدُونَ يَرَوْنَ لِمَوْجُو الشَّيْخِ فَرْقًا ظَاهِرًا وَلَكِنْ لَا
تَفَاوُتَ فِي قُلُوبِهِ.

الأدب الثامن عشر: إِنْ وَقَعَ فِي قَلْبِهِ شُبْهَةٌ فَلْيَعْرِضْهَا لَهُ بِطَرِيقِ

مناسب، وإن لم تحل الشبهة يحمله على قصور فهمه، وأنه غير صالح للجواب.

فائدة: السالكون الذين يقرؤون علافة الحب والاختيرام بمُرشديهم، لم يوجد فيهم سوء الاعتقاد، وإن وقع سؤال في نفوسهم يلقى جوابه في نفوسهم أيضاً ببركة توجهات المرشيد، وإن لم يكن فالله سبحانه وتعالى يُجزي على لسان المرشيد خلال التحدث جواباً يتحيز منه السالكون. قال شاعر ما بعناه:

يَا مَنْ لِقَاؤُكَ حَلَّ كُلِّ سُؤَالٍ

بِكَ تُكْشِفُ الشُّبُهَاتُ بِأَقْيَلِ وَقَالِ

وجود شبهة في قول المرشيد أو فعله أكبر كبد شيطاني للسالكين يقع فيها المبتدئون لأجل قلة المحبة والاختيرام ورابطة الشيخ. ويتبعني أن يعلم أصل هو: أنه إذ حقت قبل البيعة في المرشيد جميع الصفات والعلامات التي يجب أن تكون في شيخ كامل فلا تخط الشيطان فرصة للإلقاء سوء الظن. من أسباب الحزن أن يظن الإنسان نفسه أعقل الناس وينظر إلى المرشيد نظراً تقديراً وفتحص.

كان أبو جهل يرى النبي ﷺ طويلاً حياته محمد بن عبد الله، ولو رآه مرة محمداً رسول الله ﷺ لتجا. ومن أظلم ممن ينظر بسوء الظن والشك إلى من هو سبب لإيصاله إلى الله تعالى. والحقيقة أن المريض هو ذهنه ويظهر القصور في شيوخه. اعلموا أن المرشيد كالورقة يرى فيه المرشد صورة تفصيلاته وفقاً لقول النبي ﷺ: «المؤمن مرآة المؤمن».

أرواه أبو داود والترمذي، مشكاة المصابيح ص ٤٢٤

فلو حدثت شبهة يجب إطلاعها للمرشيد بطريق مناسب. حضر إلى الشيخ الميرزا مظهر جان جانان رحمه الله تعالى كاهن هندوسي وقال:

أَوَيْتُ كَشَفَ الْقُلُوبِ مِنْ بَيْنِ وَأَرَى فَلَيْتَكَ أَسْوَدَ حَالِكًا، فسأله الشيخ :
وَكَيْفَ حَصَلَتْ عَلَى هَذَا؟ فقال : بِمُخَالَفَةِ النَّفْسِ فِي كُلِّ شَيْءٍ . فقال
الشيخُ أَتَمَّاهُ الْكَلَامَ : لِمَاذَا لَا تُسَلِّمُ؟ فقال : لَا أُرَاعِبُ فِيهِ ، فقال الشيخ :
خَالَفَ نَفْسَكَ بِهَذَا الْعَمَلِ أَيْضًا ، فَقَالَ الْكَاهِنُ الْهِنْدُوسِيُّ وَأَسَلَمَ . فقال
الشيخ : انظر إلى قلبي الآن كيف تجده؟ فقال : الآنَ يَظْهَرُ لِي نُورٌ عَلَى
نُورٍ . فقال الشيخُ : ظَهَرَ لَكَ أَوَّلَ مَرَّةٍ صُورَةُ قَلْبِكَ فِي .

أما السؤال عن القضايا العلمية وحل الإشكالات فيليني السؤال
عنها بطريق مناسب ومحل ملائم . هذا هو المَقْصُودُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى :
﴿ قَتَلْنَا أَعْدَاءَ الذِّكْرِ إِنْ كَثُرَ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنبياء : ٤٧] .

وَلَكِنْ لَيْسَ بِمَقْضُورٍ أَنْ يَتَوَرَّ دَائِمًا فِي دَائِرَتِي «لَمْ» وَ«لَا» .

الأدب التاسع عشر : لَا يَتَّخِذُ صُورَةَ الْبَحْثِ وَالْجَدَلِ ، وَلَا يَزِدُّ كَلَامَ
الْمُرْتَبِدِ وَإِنْ كَانَ الْحَقُّ إِلَى جَانِبِ الْمُرِيدِ ، بَلْ لِيَتَعَقَّدَ أَنَّ خَطَأَ الْمُرْتَبِدِ
خَيْرٌ مِنْ صُورَائِهِ .

فائدة : هذا الأدب أَشْبَهَ بِأَحْوَالِ الْمُرِيدِينَ الْقُدَمَاءِ ، فَإِنْ وَقَعَ
الْإِخْتِلَافُ مَعَ الْمُرْتَبِدِ فِي الْأُمُورِ الْعِلْمِيَّةِ فَلَا يَجُوزُ تَوَكُّؤُهُ ذَلِيلُ الْأَدَبِ . أَمَرَ
الشَّاهُ عُمِدُ الْعَزِيزِ الشَّيْخُ سَيِّدُ أَحْمَدَ بِتَصْوِيرِ الشَّيْخِ قَاعَنْدَرِ إِلَيْهِ بِغَايَةِ أَدَبٍ .
فَأَنشَدَ الشَّاهُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بَيْتًا مَعْنَاهُ :

لَوْ أَنَّ سَجَادَتَكَ بِخُمْرٍ إِنْ أَمَرَكَ بِهِ شَيْخٌ كَامِلٌ

فِيَّاهُ لَيْسَ لِلطَّلَابِ عِلْمٌ بِأَدَابِ وَطَرِيقِ الْمَرْزُولِ

فَقَالَ : يَا سَيِّدِي يُمْكِنُ لِي أَنْ أَتَمَرَّبَ الْخُمْرَ بِأَمْرِكَ ثُمَّ أَتُوبَ ، وَلَكِنْ
تَصَوَّرَ الشَّيْخُ عِنْدِي شُعْبَةً مِنَ الشُّرْكِ لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفْعَلَهُ ، فَقَامَ الشَّيْخُ
وَعَادَى السَّيِّدَ وَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، غَلَبَكَ التَّوْحِيدُ فَتَسْتَمِشِي بِكَ عَنْ طَرِيقِ
آخَرٍ .

الآدب العشرون: لا يعرض المريد ما يخالف رأي الشيخ في صورة البحث والجدل، وإن كان الحق إلى جانب المريد. كان رأي النبي ﷺ في غزوة بدر أن يطلق سراح الأسارى بشروط، بينما كان رأي حمزة بن الخطاب رضي الله عنه أن يضرب أعناق هؤلاء الأسرى. فنزل الوحي كان موافقاً لرأي حمزة بن الخطاب رضي الله عنه، وحكمهم الشرع أن المجتهد إذا اجتهد فأصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد لا محالة، فخطأ الشيخ له حكم خطأ اجتهداي. فعلى المريد أن يظن أن خطأ الشيخ خير من صوابه.

سها النبي ﷺ مرة فسلم على تمام ركعتين في رباعية فأصبح هذا الشهو رحمة للأمة ونبئت مسائل سجدة الشهو وكان الصديق رضي الله عنه يقول: يا ليتني كنت شهو محمد ﷺ. أي وجد النبي ﷺ على هذا الشهو من الآخر ما لا يساويه أجور جميع حياته رضي الله عنه.

فائدة: كشف غيوب الناس ونفد هم والتعليق عليهم عادة من هو مخروم من قرب الله تعالى، وإلا فمتى يكون للصديق فرصة لأن يترك ذكر الحبيب ويضيع وقته فيما لا ينفع. قال الشاه غلام علي الدهلوي رحمه الله تعالى: الشيخ السعدي ذكر التصوف في بيتين وقال ما معناه:

وهابي شينخي المريد الكامل الشهاب
وصيتين اثنين على مشن ماء
الأولى أن لا تنظر إلى حسناتك
والثانية أن لا تنظر إلى سيئات غيرك

فيمكن أن يقال: عطر التصوف يذكر في كلمتين: أن لا يكون حسن الظن في نفسه، وأن لا يكون سيرة الظن في غيره، أي لا ينظر إلى محاسنه ولا يلاحظ عيوب غيره.

الأدب الحادي والعشرون: أن يحب أقرباء المرشد وأهل قرابته ويلين لأصدقائه وأحبائه وأيضاً يلين لإخوان الطريفة والعالمين، ويجتنب عن غيبته وعن مخالفته حتى يفوز بالامتثال.

قائده: آية حب المرشد أن يحب المرشد أهل المرشد وأقرباءه، وهذا مستفاد من الكتاب والشيء، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَتْلُوهُ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا إِلَهُ الْوَحْدَةِ﴾ [القرآن: ٢٣].

روى علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «أَذْبُوا أَوْلَادَكُمْ عَلَى ثَلَاثِ خُصَالٍ: حُبِّ نَبِيِّكُمْ، وَحُبِّ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ».

[الجامع الصغير للسيوطي ج ١ ص ٥١]

الأدب الثاني والعشرون: يعرض على المرشد أحواله الباطنة (حسنة أو سيئة) لأن المرشد طيب روحاني يصلح بعد العلم والإطلاع، ولا يلتزم المرشد السكوت ثقة بكشف الشيخ.

قائده: كما أن المريض يُخبر الطبيب الجسماني عن أحواله إن لم يخبره يتقدم إلى الموت، كذلك ينبغي للمسالك ألا يزال يطلع المرشد وهو طبيب الروحاني على الكيفيات والواردات والآيآت قلبه. ويجب في هذا الأمر الاجتناب عن الإفراط والتفريط. أما الإفراط فهو أن يُخبر عن كيفياته كل صغير وكبير سوى شيخه. والواردات والكيفيات عرائس باطنية ويُعَمَّ خفية وهل يظهر أحد غيره على عروسيه؟

والتفريط ألا يُخبر شيخه عن أحواله ويُزعم أن مرشده صاحب كشف يعرف بنفسه. فالطريق السوي أن يُخبر دائماً شيخه عن أحواله. قالت الصوفية: إن اتخذ السالك الاتباع والإطلاع دستوراً فلا تحول دون تقديمه شيء.

الأدب الثالث والعشرون: ما رآه في المنام يذكره للمرشد وإن جاء في ذهنه تعبير يذكره أيضاً.

قاعدة: بعض السالكين يكون لطيف الطبع وبغضهم يكون كفيف الطبع قليل رؤيا المنام. وكثرة الرؤيا ليست دليلاً على الفطنة، وقلة الرؤيا ليست دليلاً على الثقص. والرؤيا ثلاث:

١ - حديث النفس وهو كل ما يفعله السالك في النهار أو يفكر فيه ويختلج في ذهنه فيزأه في المنام.

٢ - أضغاث أحلام وهي الخيالات المنشئة يراها في المنام منصورة.

٣ - الرؤيا الصالحة وهي الرؤيا الصادقة. وقيل: إنها جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة.

والتمييز بين أقسام الرؤيا هذه ضغيب، لا يحل هذه المشككة إلا صاحب البصيرة الباطنة، ينبغي للسالك أن يذكر للشيخ كل ما رأى في المنام من غير زيادة ولا نقصان. فإن عبر المرشد فيها، وإلا سكت، وليعلم أن إظهار تأويلها لا يفيدني، أو أن هذه الرؤيا ليست صالحة للتعبير.

ذكر أمور هامة لتعبير الرؤيا:

١ - تعبير بعض الرؤيا يكون كما ترى في المنام تماماً.

٢ - بعض الرؤيا تعبيرها على ضد ما ترى، كأن رأى شخصاً أنه مات فإنه يحيا مدة طويلة.

٣ - تعبیر بعض الرؤيا موقوف على التمثيل، رأى المليك سبع بقرات سمان وأخر عجاف، ففسر سيدنا يوسف عليه السلام عن البقرات السمان بسنة خصبة وعن البقرات العجاف بسنة مجدية.

٤ - رُؤيا يراها رجلان يختلف لهما تعبيران، رأى رجلٌ صالحٌ أنه يؤذن فوجد العزّة تحت قوله: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ [الحج: ٢٧].

ورأى قاسيٌ أنه يؤذن فأخذ سارقاً وحصل له ذلك تحت قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمَّا دَنَا مِنْهَا نُودِيَ بِكُمْ لَتَرْقُونَ﴾ [يوسف: ٧٠].

٥ - تزي في فصلين رؤيا واحدة يختلف تعبیرها. [إن] رأى في الشتاء ناراً أصابته خير، وإن رآها في الصيف أصابته شر.

٦ - قد تكون الرؤيا قاسدة في الظاهر، ولكنها رؤيا صالحة. رأيت السيدة زبيدة زوجة هارون الرشيد أنها عزباء وأنّ الإنس والحيوانات والطيور تزي بها فحزنت واستيقظت وخافت أن لا يصيبها حزن، ولكن كان تعبیرها أنها ستسعى نهاراً يشرب منه الناس والحيوانات والطيور والدواجن وتكون لها صدقة جارية. رأى شخص أنه يزي بأمه فحزن حزناً شديداً ولكن كان المراد بالأم الأرض وبالزنا الاستمتاع بالأرض فوجد نفعاً عظيماً من أرضه.

وعلى السالكين أن يحافظوا على أصل أنه لو رأى رؤيا صادقة فما لم يظهر فماذا تفيد؟ فلو رأى في المنام أنه أصبح ملكاً ولكن أي قايمة لما يملك في الخارج. رأى سيدنا يوسف عليه السلام الشمس والقمر والنجوم له ساجدين، ولكن وقع في البئر وبيع في مصر وعمل خادماً في بيت عزيز مصر، ووقع في بلاء ومكن في السجن سبع سنوات ثم وجد ملكاً وتمت رؤياه. ولما كان هذا حال الرؤيا الصادقة فما معنى التفرع على الرؤيا القاسدة؟ وهناك بعض السالكين يشتغلون دائماً في ذكر رؤياهم كأنهم ملوك عالم الرؤيا. إن الشيطان يسقط بالرؤيا كجاراً عظيماً ويغيب الإنسان بالعجب والافتخار، فذات المرشد هو الذي ينبه الإنسان على هذه المكائد من الشيطان بحافظة على الإيمان.

حِكَايَة: كَانَ لِجُنَيْدِ الْبَغْدَادِيِّ سُرِيدٌ يَرَى كُلَّ يَوْمٍ فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ يَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ، وَيَذْكُرُ فِي النَّهَارِ هَذِهِ الرُّؤْيَا لِلنَّاسِ، حَتَّى اسْتَشْهَرَتْ قِصَصُهُ وَمَضَتْ سَنَةٌ كَذَلِكَ، حَضَرَ فِي جَدْمَةِ الشَّيْخِ مَرَّةً قَرَأَ الشَّيْخُ أَنَّهُ وَاقِعٌ فِي شَبَكَةِ الْمَكْرِ وَالْحَدِيثِ وَالْعُجْبِ. فَقَالَ: إِنَّ رَأَيْتَ الْجَنَّةَ بَعْدَ هَذَا قُلْتَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. فَظَنَّ الطَّالِبُ أَنَّ الشَّيْخَ يَحْسُدُهُ، وَفِي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ لَمَّا رَأَاهُ يَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ تَذَكَّرَ أَنَّ الشَّيْخَ أَوْصَى لَهُ بِقِرَاءَةِ (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) (وَهَذَا بَرَكَةٌ نَوَّجَهُ الشَّيْخُ حَقِيقَةً) فَقَالَ: (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) فَلَمَّا قَالَهَا انْتَهَتْ جَمِيعُ الْمَنَاطِيرِ، وَرَأَى هُنَالِكَ عِظَاماً مَوْضُوعَةً، فَعَلِمَ أَنَّ الشَّيْطَانَ بَرِيدٌ أَنْ يَنْتَهَبَ إِيْمَانَهُ.

بَعْضُ السَّالِكِينَ يَرَى فِي الْمَنَامِ شَيْئاً وَبِظَنٍّ أَنَّهُ يَجِدُ فَائِدَةً بَاطِنِيَّةً (مِنْ ذَلِكَ الشَّيْخِ بَدُونِ تَوَسُّطِ شَيْخِهِ) وَلَكِنَّمَا كَدِيبَةٌ شَيْطَانِيَّةٌ وَالشَّيْطَانُ بَرِيدٌ أَنْ يَقْلَعَ رَابِعَتَهُ بِشَيْخِهِ، وَهُنَاكَ بَعْضُ السَّالِكِينَ يَرَوْنَ فِي الْمَنَامِ رُؤْيَ كَثِيرَةً بَعْضُهَا أَعْجَبُ مِنْ بَعْضٍ، وَلَكِنَّهُمْ فِي الْبِرَامِ السَّرِيعَةِ يَتَكَاسَلُونَ، وَهَذِهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ عَلَى وَقُوعِهِمْ فِي النِّشْطَةِ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَمَثِلُ بِي».

[رواه أحمد والبخاري والترمذي] [الجامع للصغير ج ٢ ص ٦٠٢]

يَقُولُ الشَّيْخُ مُجَدِّدُ الْأَلْفِ الثَّانِي فِي مَكْتُوبَاتِهِ: إِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَأْتِيَ فِي صُورَةِ النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي هُوَ مُوجُودٌ بِهَا فِي الْمَدِينَةِ الْمُسَوَّرَةِ وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يُخَادِعَ فِي كُلِّ صُورَةٍ سِوَاهَا، سِوَاءَ أَكَانَتْ صُورَةً وَلِيٍّ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ أَوْ صُورَةً أَحَدٍ مِنْ آبَائِهِ أَوْ أَجْدَادِهِ، فَالسَّالِكُونَ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ أَسَاسَ رُوحَانِيَّاتِهِمْ عَلَى الرُّؤْيَا فِي خَطَرٍ عَظِيمٍ. خُلَفَاءُ بَعْضِ الرُّؤَايَا يَبْدَأُونَ الْكَلَامَ بِالرُّؤْيَا وَيُخْتَمُونَ بِالرُّؤْيَا. قَالَ شَاعِرٌ مَا مَعْنَاهُ:

العُشُّ الَّذِي يُصْنَعُ عَلَى فَرْجٍ ضَعِيفٍ غَيْرُ قَوِيٍّ

جاء في بعض الزوايات : **إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ قَرَأَ بِسُكَّةِ الشَّجَمِ ، فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ : ﴿ أَقْرَبْتُمْ الْمَدَنَ وَالْعَرْنَ وَسَوَّاهُ الثَّلَاثَةَ الْأَحْرَقَ ﴾** (النجم : ١٩ ، ٢٠) **أَلْقَى الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِهِ تِلْكَ الْغَرَائِيقَ الْعُلَى وَأَنْ شَفَاعَتَهُنَّ تَرْتَجَى ، قَالُوا : مَا ذَكَرَ إِلَهَتَنَا بِخَيْرٍ قَبْلَ الْيَوْمِ ، فَمَسَجَدَ وَسَجَدُوا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِنَّا نَنصِّي أَلْفَى الشَّيْطَانُ فِي أَمْرَيْنِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ أَمْرَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾** (النجم : ٢٥) .

[تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٦٧]

قال ابن كثير رحمه الله : **إِنَّ الشَّيْطَانَ أَوْقَعَ فِي سَمَاعِ الْمُشْرِكِينَ ذَلِكَ فَتَوَكَّلُوا أَنَّهُ صَدَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ ، بَلْ إِنَّمَا كَانَ مِنْ صَنِيعِ الشَّيْطَانِ لَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .**

[تفسير القرآن العظيم لعماد الدين ابن كثير ج ٣ ص ٣٦٩]

فَعَلِمَ أَنَّ الشَّيْطَانَ جَعَلَ صَوْتَهُ كَصَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَرَأَ هَذِهِ الْبَيَانَةَ حَتَّى يَتَخَدِّعَ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ . فَبُهِدَ مَقَامُ فِكْرٍ وَتَدَبَّرَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَمْ يَنْشَأْ مِنْ حَدِيثَةِ الرُّجَالِ الطَّاهِرِينَ ، كَالصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَبِخُضْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَمَاذَا نَحْنُ مِنْهُمْ حَتَّى نُدْعِيَ دَعْوَى كَبِيرَةً ، وَسَائِلَ الْيَوْمِ مَا أضعَفَ رُوحَانِيَّتَهُ وَمَا أَبْعَدَهُ مِنْ مَشَاوِ الثَّبُوحِ ، وَهَلْ مِنْ مَسْعُوبَةٍ فِي إِضْلَالِ الشَّيْطَانِ فِي عَصْرِ الْفِتْنَةِ وَفِي حَالَةِ الثُّؤْمِ . فَلْيَتَفَكَّرِ الْمَالِكُ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَضَلُّنَا مُتَّبِعِينَ أَيْقَاطًا فَكَيْفَ يَكُونُ لَهُ إِضْلَالُنَا بِالْمَنَامِ صَعْبًا . فَلَا يَتَّقَنَّ عَلَى الْمَنَامَاتِ وَكُلَّ مَا رَأَى فِي الْمَنَامِ يَذْكُرُهُ الْمُرْشِدُ وَيَذْعُرُ بِهَذَا الدَّعَاءِ : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَخْضُرُونَ) .

الآدِبُ الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ : كُلُّ وَرْدٍ وَدُعَاءٍ يُعَلِّمُهُ الْمُرْشِدُ يَتَّخِذُهُ عَادَةً

ويترك كل وزر سواه. سواء بدأه بنفسه أو علمه أحد. نعم، الأعمال المسنونة مستثناة.

فائدة: تقول العامة: لا يأخذ المريض في وقت واحد إلا دواء طبيب واحد، فكذلك لا يعمل السالك إلا بالأوزاد التي علمه إياها شيخه وأصله **﴿وَمَرْمَأَعَيْنِهِ الْمَرَضِعُ﴾** (القصص: ١٢). لو اتخذ أوزاداً أخرى بنفسه أو بتعليم غيره يخسر. الأوزاد للمبتدئ كالدواء، وللمنتهي كالغذاء ونية الأجر في الأوزاد ليست بقبیحة: **﴿وَقَدْ دَلَّكَ فَلَيْتَنَافِسَ الْمُنَافِسُونَ﴾** [المطففين: ٢٦].

وعلى السالك ألا يستكثر عمله فيفتخر ولا يستغنىه قبياس. وهذا السر مكتوب في قوله: **﴿يَتَّقُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَمَحَبَّةً﴾** (المجاد: ١٦). الدليل على الأوزاد صباحاً ومساءً قوله تعالى: **﴿يَسْخِرْ لَهُ فِيهَا مَا يُلْقِدُونَ وَالْأَصَالُ﴾** [النور: ٣٦].

الأدب الخاص والعشرون: لا يشتغل بالأوزاد بحضرة الشيخ فإن كان لا يد من القراءة فليجلس حيث لا يراه.

فائدة: ما يستفيد السالك بحضرة المرشد بالرابطة القلبية لا يجد بالذخر والأوزاد. مثل المرشد كمثل الشمس، ومثل المرشد كمثل الورد والفاكهة، فكما يحسن لذة القواكه بحرارة الشمس، أو يحصل الروعة للأوزاد كذلك نأتي الأموار في قلب السالك بتوجه المرشد، وإن أراد السالك أن يشتغل في وزر فليشتغل فيه بحيث لا يراه المرشد.

الأدب السادس والعشرون: كل قيس باطني يصل إليه بتقده بركة مرشده، ولو رأى في المنام أو المراقبة أنه يصل القيس من شيخ آخر، فليزعم أن لطيفة من لطائف المرشد تمثلت في صورة ذلك الشيخ.

فائدة: كما أن مضباحاً مرتبطاً بسلك فما تصل إليه من الكهرياء

تُصِلُ بِوَاسِطَةِ ذَلِكَ السُّلُكِ مَوَاءَ نَأْتِي مِنَ السُّدِّ الْعَالِي بِتَرْبِيَلَا، أَوِ السُّدِّ الْعَالِي بِمَنْجَلَا، كَذَلِكَ كُلُّ قَيْضٍ بَاطِنِي يَجِدُهُ الْمُرِيدُ يَصِلُ إِلَيْهِ مِنْ قَلْبِ الشَّيْخِ وَإِنْ كَانَ يَأْتِي مِنْ شَيْخٍ آخَرَ، فَإِنْ رَأَى سَائِلًا أَنَّهُ يَجِبُ إِلَيْهِ الْقَيْضُ مِنْ شَيْخٍ آخَرَ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ لَطِيفَةَ مِنْ لَطَائِفِ شَيْخِهِ يُوَصِّلُ إِلَيْهِ الشَّيْخُ مَصُورَةً بِهَذِهِ الصُّورَةِ وَتَجِبُ أَنْ تَكُونَ جِهَةً قَلْبِ الْمُرِيدِ وَاحِدَةً.

وهذا كما قيل: خُذْ وَاحِدًا خُذْ مَخْصَمًا.

سَافَرَ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ سَعِيدُ الْقُرَشَنِي مَرَّةً إِلَى مَقْبَرَةِ خَضِرَةِ الْمُجَدِّدِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَكَانَ مَعَهُ فِي هَذَا السَّفَرِ عِدَّةٌ مِنْ مُرِيدِيهِ وَخُلَفَائِهِ مِنْهُمْ الشَّيْخُ زُؤَارُ حُسَيْنِ الشَّرِيفِ، وَالشَّيْخُ مُحَمَّدٌ سَعِيدُ الْكُوَهَانْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، اشْتَغَلُوا فِي الْمُرَاقَبَةِ طَوِيلًا، حَتَّى كَلِمَ الشَّيْخُ الْمُجَدِّدُ فِي عِدَّةِ أُمُورٍ، ثُمَّ طَلَبَ الشَّيْخُ الْمُجَدِّدُ أَنْ يَتْرُكَ خُلَفَاءَهُ (الشَّرِيفُ زُؤَارُ حُسَيْنِ شَاهُ وَالشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْكُوَهَانْدِي وَغَيْرُهُمْ رَحِمَهُمُ اللَّهُ) لِعِدَّةِ أَيَّامٍ، فَقَالَ الشَّيْخُ لَخُلَفَائِهِ: إِنِّي أَرِيدُ السَّفَرَ فَاغْضُوا مَاذَا أَنْتُمْ فَاغْلُظُوا؟ فَقَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ سَعِيدُ الْكُوَهَانْدِي: يَا سَيِّدِي هَلْ تَأْمُرُنَا أَنْ نَذْكُتَ هَهُنَا أَوْ هُوَ مَفْرُوضٌ إِلَيْنَا، إِنْ نَشَأَ نَذْكُتُ وَإِنْ نَشَأَ نُسَافِرُ مَعَكَ؟ فَقَالَ الْمُرْشِدُ: هَذَا عَلَى رَأْيِكُمْ إِنِّي بَلَّغْتُ رِسَالَةَ خَضِرَةِ الْمُجَدِّدِ، فَقَالَ الشَّيْخُ الْكُوَهَانْدِي: يَا شَيْخَنَا نَذْهَبُ مَعَكَ، مُجَدِّدُنَا أَنْتَ فَقَطْ لَا غَيْرُ.

سَبَّحَانَ اللَّهَ! هَكَذَا يَكُونُ ارْتِقَاؤُ الْمُرِيدِ. الدَّعْوَةُ مِنَ الْمُجَدِّدِ الَّذِي هُوَ سَيِّدُ السَّلْسِلَةِ وَيَبْلُغُ الرِّسَالَةَ شَيْخَهُ وَمُرْشِدَهُ، فَمَا أَعْجَبَ مَعَ هَذَا كُلَّهُ أَنْ يَقُولَ: يَا سَيِّدِي إِنْ مُجَدِّدُنَا سَيَادَتُكَ. فَكَأَنَّهُ هَؤُلَاءِ يُعْطُونَ كَيْفِيَّاتٍ لَا يَصِلُ سَائِلُكَ الْيَوْمَ غُبَارَ طَرِيقِهِ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ.

حكاية: كَانَتْ فِي أُسْرَةِ الشَّيْخِ أَبِي سَعِيدِ الْحَزَارِ خُرْفَةٌ موروثةٌ مِنَ الْأَجْدَادِ وَاشْتَهَرَ أَنَّ مَشَايِخَ هَذِهِ الْأُسْرَةِ أَلْقَتْ تَرْبِيَّتَهُمْ فِي تِلْكَ الْخُرْفَةِ،

وقد ظهرت منها البركات براراً، ولما أجاز الشيخ مرشده مَحْجَه خرقه، وكان الشيخ يترك بالخرقَتَيْن، فلما ابتلي بمرض الموت قال لِخَادِمِهِ: أَلَيْ عَلَيَّ الْخُرْقَةُ حَتَّى اسْتَفِيدَ مِنْ بَرَكَاتِهِ. فسأل الخادم: أَيُّ الْخُرْقَتَيْنِ؟ فَقَالَ الشَّيْخُ: أَنَا أَكْرِمُ كَثِيراً خُرْقَةُ آبَائِي وَأَجْدَادِي، وَلَكِنْ أُرِيدُ الْآنَ خُرْقَةَ شَيْخِي، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَمُوتَ مُسْتَعْرِقاً فِي أَنْوَارِ شَيْخِي وَمُرْشِدِي فِي آخِرِ أَيَّامِي.

الأدب السابع والعشرون: يَرَوَى لِلنَّاسِ مِنْ كَلَامِ الْمُرْشِدِ مَا يَفْهَمُونَهُ. وَمَا يَرَاهُ فَوْقَ فَهْمِ الْعَوَامِ لَا يَدْخُرُهُ أَبَداً، فَبَعْضُ الْكَلَامِ يَكُونُ لِلْخَوَاصِّ فَقَطْ.

فائدة: لَا يَلِيْقُ بِالسَّالِكِ أَنْ يَتَقَلَّ مَا يَسْمَعُهُ مِنْ حَضْرَةِ الْمُرْشِدِ مِنْ أُمُورِ السُّعْرِ لِكُلِّ أَحَدٍ، فَبَعْضُ الْأُمُورِ يَحْتَاجُ لِفَهْمِهَا إِلَى كَفَاءَةٍ وَبَدْوَةِ الْكَفَاءَةِ لَا يَنْفَعُ مِثْلُ هَذَا الْكَلَامِ بَلْ قَدْ يَضُرُّ.

قال ابنُ خَلِّجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: وَقَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «احْذَرُوا النَّاسَ بِمَا يَغْرِفُونَ، أَنْحَبُوا أَنْ يَكْذِبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ». رواه البخاري، وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْماً حَدِيثاً لَا تَبْلُغُهُ عَقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةٌ).

رواه مسلم؛ لفتح الباري ج ١ ص ٢٢٥ ملخصاً

الأدب الثامن والعشرون: إِنْ أُعْطِيَ جَاهُناً أَوْ مُنْصِباً فَلْيَقْبَلْهُ بِرِضَا اللَّهِ تَعَالَى وَلَا يَقْبَلْ إِلَى أَمْرِ دُنْيَوِيٍّ.

فائدة: إِنْ وَهَبَ الشَّيْخُ مُنْصِباً أَوْ رَتْبَةً فَلْيَحْسِبْهُ نِعْماً غَيْرَ مَشْرُوبَةٍ، وَلْيَقْبَلْهُ رُوحاً وَقَلْباً وَلْيُسْكِرِ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَالشَّرْطُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى الْقَبُولِيَّةُ لَا الْكَفَاءَةُ. إِنْ شَاءَ يَلْعَنُ مِنَ الشَّرَابِ إِلَى الْأَقْلَاقِ، مَنْ يَقْبَلُ أَنْ يَقُولَ: أَهْلُاءُ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا. اجْتَنِبْ فُضَيْلَ بْنَ عِيَّاضٍ مِنْ طَائِفَةِ قَطَاعِ الطَّرِيقِ

وَجَعَلَهُ رَئِيسَ الْأَوْلِيَاءِ، وَأَخْرَجَ خَالِدًا مِنْ عِبَادِ الْأَصْنَامِ وَالْبَيْتَةِ تَارِحَ سَيْفِ
اللَّهِ. قَالَ قَائِلٌ:

إِنْ لَغَتْ نَظَرُ كَبْرَمٍ فَجَمِيعُ الْعُيُوبِ فُكُونُ

قَالَ لِلطَّيْنِ الْقَلِيلِ الْمُلْقَى تَحْتَ الْأَقْدَامِ: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ
خَلِيفَةً. تَجْرِي رِيحُ الرَّحْمَةِ الْإِلَهِيَةِ فَلَا تَتَأَخَّرُ صَيْرُورَةُ الْمُرُودِ مَقْبُولًا
وَالْتَرَابِ ذَهَبًا. إِنْ شَاءَ أَجْلَسَ كَلْبًا فِي صَفِّ الْأَوْلِيَاءِ وَذَكَرَهُ فِي الْقُرْآنِ
بِقَوْلِهِ: ﴿وَكَلَّمَهُمْ بَسِيطٌ ذُو قُوَّةٍ﴾ [الكهف: 118] وَيَزِيدُ فِي الرَّتَبَةِ. إِنْ قَارَ
مَشْرَبُ الرَّحْمَةِ يَجْدِبُ الْمَطْلُوبَ نَفْسَ الطَّالِبِ قَائِي سَهْبٍ لِلْجَزْمَانِ بِلِ
سَيُصْبِغُ التَّرَابُ ذَهَبًا. وَأَمَّا أَنْ يَظُنَّ السَّالِكُ أَنَّهُ لَيْسَ بِأَهْلٍ لَهُ فَسَوْفَ لَا
يَكُونُ أَهْلًا إِلَى مَوْتِهِ. وَمَنْ دَعَمَ أَنَّهُ صَارَ أَهْلًا لَهُ فَهَذَا دَلِيلٌ عَدَمِ أَهْلِيَّتِهِ.

الأدب الثالث والعشرون: لَا يَقْصِدُ إِلَى شَيْخٍ آخَرَ يَدُونِ إِذَنْ شَيْخِهِ
لِأَجْلِ الْبَيْعَةِ حَتَّى يَتَوَرَّ بِثَرْوَةِ السَّعَادَةِ.

فائدة: الْأَوْضَاعُ الْمُمْكِنَةُ لِمُسْتَفَادَةِ السَّالِكِ مِنْ مَشَائِخِ غَيْرِ شَيْخِهِ
هِيَ:

١ - أَنْ يَكُونَ مَعَ شَيْخٍ عِلَاقَةُ الْبَيْعَةِ وَلَكِنْ اِحْتِيَاجُ الْمُسَافِرِ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ،
لِأَجْلِ الْمَعَاشِ أَوْ طَلَبِ الْعِلْمِ، وَأَوْضَاحُ ذَلِكَ الْبَلَدِ سَيَمُتُّ جَدًّا،
وَالِاتِّصَالُ بِالشَّيْخِ صَغْبٌ وَلَكِنْ تَيْسَّرُ لَهُ صُحْبَةُ شَيْخٍ هُنَاكَ مِنْ نَفْسِ
السَّلْسِلَةِ، فَحِينَئِذٍ يَتَّخِذُ بِإِذْنِ مُزِيدِهِ هَذَا الشَّيْخَ مُرْشِدًا، فَيَكُونُ الشَّيْخُ
الْأَوَّلُ شَيْخَ الطَّرِيقَةِ، وَالثَّانِي شَيْخَ التَّغْلِيمِ. فَالْعِلَاقَةُ بِشَيْخَيْنِ اثْنَيْنِ
مَذْكُورَةٍ فِي كُتُبِ الْقَوْمِ.

٢ - امْتَدَّتْ عِلَاقَةُ الْبَيْعَةِ مَدَّةً طَوِيلَةً، وَلَكِنْ لَمْ يَجِدْ أَيَّ فَائِدَةٍ فِيْبَاعِ شَيْخًا
آخَرَ بِإِذْنِ الشَّيْخِ الْأَوَّلِ، إِذِ الْمَقْصُودُ الْإِصْلَاحُ.

٣ - يَكُونُ شَيْخٌ مِنْ أَكَابِرِ شَيْخِهِ حَيًّا وَيُرِيدُ أَنْ يُبَايِعَهُ لِحُصُولِ الْبَرَكَاتِ بِإِذْنِ

الشيخ بيعة بركة. الشيخ محمد عبد المالك الضديني أعطى الشيخ
مُرشد العالم الدروس، ثم بعثه إلى مدينة شيخه يسكن قور حتى
بنال توجهات أخرى، فأعطى له الشيخ السيد فضل علي القرشي
التوجهات عدة أيام وأعطى له الإجازة والخلافة ويأبى، فتحققت
هذه البيعة الثانية برضى الشيخ.

الأدب الثلاثون: إن انتقل الشيخ من هذه الدار الفانية فليدع له
ويوصل له الأجر والثواب حتى تدوم علاقة روحانية.

فائدة: بجميع أعضاء السالك مستغرق في إختانات من كان له
ذريعة للوصول إلى الله تعالى، فإن توفي فليعتبر إيصال الثواب كأنه
يُهدى له كل يوم، ويمكن إيصال الثواب بفرازة القرآن والصلاة التأفلة
والصدقة وبناء المساجد والمدارس.

قال العلامة السامي في باب صلاة الجنائز، وفي باب الحج عن
الغير يمكن إيصال ثواب جميع الجهادات التأفلة سوى الفرائض
والواجبات، وقال العلماء: من يخرج عن غيره يكون حج بدل عنه يبشر
به روحه في السماء ويجعل هذا الحاج عن الغير من القائنين عند الله
تعالى.

الباب السابع

إنشاء الزوايا

رؤية عَيْنِ الظاهرِ مِنَ الإنسانِ يُقالُ له : بصارةٌ، ورؤية عَيْنِ الباطنِ يُقالُ له : بصيرةٌ. تُسَلَّبُ بصيرةُ الإنسانِ باتِّباعِ الشهواتِ وبعمى القلبِ. قال الله تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (الحج: ١٨٦). قال الإمام النسفي رحمه الله في التفسير تحت هذه الآية: أي فَمَا عَمِيَتْ أَبْصَارُهُمْ عَنِ الْإِبْصَارِ، بَلْ قُلُوبُهُمْ عَنِ الْاِغْتِيَارِ، وَلِكُلِّ إِنْسَانٍ أَرْبَعُ أَعْيُنَ: عَيْنَانِ فِي الرَّأْسِ وَعَيْنَانِ فِي الْقَلْبِ، فَإِذَا أَبْصَرَ مَا فِي الْقَلْبِ وَعَمِيَ مَا فِي الرَّأْسِ لَمْ يَبْصُرْهُ، وَإِنْ أَبْصَرَ مَا فِي الرَّأْسِ وَعَمِيَ مَا فِي الْقَلْبِ لَمْ يَلْطَعْهُ. والحقُّ أَنَّ الْأَعْيُنَ الْأَمْعَى لَا تُقَيَّدُ إِذَا كَانَ الْقَلْبُ أَعْمَى. قَالَ شَاعِرٌ:

دل برهمنی کبر خداست طلب آگاهی کالودل کالورنهی

ومعناه:

اسأل الله تعالى القلب البصير إذ نور العين ليس بشور القلب

ذَكَرَ الله تعالى هو الثَّريقُ الَّذِي يُبْعِثُ الْقُلُوبَ بَلْ يُخَيِّبُ الْقُلُوبَ الْمَمْنِيَّةُ. قال الله تعالى : ﴿ اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِنَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (الحديد: ١٧). قال الإمام النسفي رحمه الله في تفسير هذه الآية: قِيلَ: هَذَا تَمْثِيلٌ لِأَثَرِ الذِّكْرِ فِي الْقُلُوبِ وَأَنَّهُ يُخَيِّبُهَا كَمَا يُخَيِّبُ الْغَيْثُ الْأَرْضَ.

واعلم أن البقاغ التي يعلم فيها ذكرُ الله تنبيهاً للقلوب العاقلة بتعني
إيضاراً للقلوب الخبي، وإحياءاً للقلوب الميتة يقال لها زوايا. وسيدكرُ
على شريعة إنشائها أدلة من القرآن والسنة.

أدلة من القرآن المجيد:

الدليل الأول: قال الله تعالى: ﴿فِي يَتُوبَ إِلَى اللَّهِ لِيَرْفَعَهُ رُتَبًا فِيهَا
اسْمُهُمْ يُسَمَّى لَهُ فِيهَا الْأَنْدَادُ وَالْأَصْلَاحُ يَجَالُ لَا إِلَهُمْ مَخْرُجٌ وَلَا يَمُوتُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٧، ٢٨١]. قال الشيخ مزلانا محمد إدريس الكاتندخلوي رحمه الله وهو
يذكرُ مناسبة هذه الآية بما قبلها: الآن يقول عز وجل من أهل الهداية؟
وأين يوجد هذا النور أي نور الهداية؟ فيقول: يوجد النور في مساجد
وزوايا يذكرُ فيها اسمُ الله بكرة وأصيلاً... إلى أن قال... ويذكرُ فيها
اسمُهُ، دَخَلَ فِيهِ جَمِيعُ الْأَذْكَارِ مِنَ النَّسَبِ وَالْأَهْلِ وَالْأَهْلِ وَالْمُرَادُ
بهذه البيوت مساجد وزوايا.

[معارف القرآن للشيخ الكاتندخلوي ج ٥ ص ١٣٢]

الدليل الثاني: قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ قَرَأَ الْقُرْآنَ أُخْفِرُوا فِي
مَكِيلٍ اللَّهِ لَا يَسْتَلْبِثُ مَوْجِدًا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٧٣]. قال المفسرون
لتوضيح معنى هذه الآية: ﴿لَقَدْ قَرَأَ الْقُرْآنَ أُخْفِرُوا فِي مَكِيلٍ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٣]
هُم الَّذِينَ أَخْبَرَهُمُ الْجِبَاهُ فَمَنْعَهُمْ مِنَ التَّصَرُّفِ لَا يَسْتَطِيعُونَ
لاشغالهم به ضرباً في الأرضي للكسب، وقيل: هُم أَصْحَابُ الصَّفَةِ.

[تفسير النسفي ج ١ ص ١٩٠]

وقال الشيخ عبد الحق الحفاني الدهلوي رحمه الله: ﴿أُخْفِرُوا فِي
مَكِيلٍ اللَّهِ﴾ مثل كثير من الصحابة رضي الله عنهم تركوا أهلهم والنزفوا
الخصور في خدمة رسول الله ﷺ نزلت فيوضحهم جميع العالم بعده ﷺ.

[تفسير الحفاني ج ٦ ص ١٨]

وقال الشيخ مولانا محمد إدريس الكاتدهلوي رحمه الله :
﴿الَّذِينَ أَحْمُرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي الذين اشتغلوا في خدمة الدين
 وتخصيل العلوم الظاهرة والباطنة ، يحفظون القرآن الكريم ، ويتعلمون
 علم الدين ويجاهدون ضد الأعداء الظاهرة والباطنة ، والمراد من الأعداء
 الظاهرة الكفار ، ومن الأعداء الباطنة النفس الأمارة بالسوء ، فكما أن
 الجهاد والقتال للضرب على رقاب الكفار أفضل العبادات هكذا
 المجاهدات والزيارات أفضل العبادات . ورز في الحديث الشريف :
 «والمجاهد من جاهد نفسه» .

[معارف القرآن للكاتدهلوي رحمه الله ج ١ ص ٤١٢]

وقال القاضي ثناء الله الثاني فتى رحمه الله : **﴿يَلْفُقِرُوا اللَّهَ﴾** :
﴿أَحْمُرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ : يلفقروا الذين حبسوا في سبيل الله أي
 اشتغلوا في تخصصيل العلوم الظاهرة والعلوم الباطنة أو في الجهاد .

[تفسير المظهر ج ٣ ص ٧٧]

وقال السيد أمير علي في تفسيره مؤلف الرخمن نقلاً عن غرائب
 التفسير قوله : **﴿يَلْفُقِرُوا اللَّهَ﴾** **﴿أَحْمُرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾** يدخل فيهم
 الذين حبسوا أنفسهم في مجلس مراقبة الله تعالى لا يستطيعون ضرباً في
 الأرض ، أي لا يتبعون من مجالس المراقبة يطلب الرزق والحوائج
 اللازمة من جهة أن يغلب عليهم الحال ، ويعلمونهم ذكر الله تعالى ،
 ويستغفرون في مشاهدة مولاهم ، ويظفرون عليهم الحب شدة والعشق كثرة
 فلا يستطيعون الجهد في كسب المعاش .

الدليل الثالث : قال الله عز وجل : **﴿وَأَمِيرَ قَسَمَةٍ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ
 رَبَّهُمْ بِالْفَسَادِ وَالْبَغْيِ يُبِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا يُطِيعُ
 مَنْ أَعْنَفْنَا قُلُوبَهُ عَنْ دِينِنَا وَنَحْبَعُ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ قَرْطًا﴾** [الكهف : ٤٢٨] .

أمر الله تعالى في هذه الآية بمجالسة ومداواة فقراء دين الإسلام

وأهل الخُرقة لا يسي أكسبية صوفيّة مثل أصحاب الصفة أولئك هم المشتغلون في ذكر الله والدعاء عُدوا وعشياً، وعبادتنا المخلصون كأنهم أصحاب الكهف. أخرج ابن جرير والطبراني وابن مَرزويه عن عبد الرحمن بن سَهْل بن حنيفة رحمه الله قال: نزلت على رسول الله ﷺ وهو في بعض بيوتِهِ: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْقُدُوسِ وَالنَّبِيِّ﴾ فخرج بلبسهم فوجد قوماً يذكرون الله فيهم: ثائر الرأس وبخاف الجليل، ذو الثوب الواحد. فلما رأهم جلس وقال: «الحمد لله الذي جعل في أمّتي من أمرني أن أصبر نفسي معهم».

[الدر المشهور ج ٥ ص ٣٨١]

وفي حديث آخر عليه الصلاة والسلام قال: «مَعَكُمْ الْمَخِيَا وَالْمَمَات».

[الدر المشهور ج ٥ ص ٣٨١]

يَعْنِي إِنَّكُمْ رُفَقَائِي فِي الْحَيَاةِ وَالْمَمَاتِ، وَعَنِ ثَابِتٍ قَالَ: كَانَ سَلَمَانٌ فِي عَصَابَةٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى، فَعَزَّ النَّبِيُّ ﷺ فَكَفَرُوا فَقَالَ: «مَا كُنْتُمْ تُقْرَأُونَ» قُلْنَا: تَذْكُرُ اللَّهَ قَالَ: «فَيَأْتِي رَأَيْتُ الرُّخْمَةَ تَنْزُلُ عَلَيْكُمْ أَحَبِّتُ أَنْ أَشَارِكَكُمْ فِيهَا».

[الدر المشهور ج ٥ ص ٣٨٢]

وَمِنْ مِثْلِ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ اسْتَنْبَطَ الصُّوفِيَّةُ ضَرُورَةَ إِتْلَاءِ الرِّوَايَا، بِجُلُوسٍ فِيهَا السَّالِكُونَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى، كَمَا كَانَ أَصْحَابُ الصُّفَةِ يَفْعَلُونَ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَفَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِ الصُّفَةِ فَرَأَى فَعَزَّهُمْ وَجْهَهُمْ وَطَبَّ قُلُوبَهُمْ فَقَالَ: «أُبَشِّرُوا يَا أَصْحَابَ الصُّفَةِ فَمَنْ بَقِيَ مِنْ أُمَّتِي عَلَى النَّفْسِ الَّذِي أَنْشَأَ عَلَيْهِ رَاضِباً بِمَا فِيهِ فَإِنَّهُ مِنْ رُفَقَائِي فِي الْجَنَّةِ».

[كشف المعجوب]

فهنيئاً للذين يعيشون في الزوايا ويُقيمون فيها كأصحاب الصفة
العاملين بآية: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ وَحُمَاهُ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَكَانُوا بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ أَكْثَرًا﴾ [آل عمران: ١٩١]
وقوله: ﴿وَأَذْكُرْ أَتَمَّ رَيْبَهُ وَقَتْلَ إِلَهٍ بَقِيلاً﴾ [الزمر: ٢٨].

ولا شك أن لجمعية القلوب ندخلاً خاصاً وأثراً عظيماً في استبانات
رحمة الله ورأفته، ولذلك شرعت الصلاة بجماعة ولا تجله بوجه جميع
الحجاج إلى الله تعالى على هيئة واحدة في عرصة واحدة عرصة عرفات،
ولذا أمر المشايخ ألا يقصروا في المجالسة مع مثل هؤلاء الطالبين.

قال الشيخ الكاندهلوي رحمه الله في تفسير هذه الآية: ﴿وَأَتَمَّ رَيْبَهُ
نَفْسَهُ﴾ وجب على عالم الشريعة وشيخ الطريقة أن يعتزم مجالسة الفقراء
ومُحِبِّهِمْ وبأذن للجميع في الدخول في مجلسه.

[أعارف القرآن للشيخ الكاندهلوي رحمه الله ج ٤ ص ٤١٢]

فثبت أن المفضوذة من إنشاء الزوايا الغفل على هذه الآية
المذكورة. قَالَ قَائِلٌ:

خوشامهرد در مدرسه و خانقاهي كدروءه بود و قال محمد

ومعناه:

حبذا المسجد والمدرسة والزاوية يكون فيها قيل وقال محمد ﷺ.
(ترداد أحاديث النبي ﷺ) أدلة من الحديث.

الدليل الأول: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُمَا
شَهِدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَفْعَدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا حَقَّتْ لَهُمُ
الْمَلَائِكَةُ وَغُشِيَتْ لَهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ
عِنْدَهُ».

[أخرجه أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجه، الترغيب والترهيب ج

٢ ص ٤٠٦ المشكاة حديث رقم ٢٢٦١]

الدليل الثاني: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَهُ إِلَّا نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ قُومُوا مَغْفُوراً لَكُمْ قَدْ بُدِّلْتُ مِثْلَانِكُمْ حَسَنَاتٍ».

[رواه أحمد والطبراني: الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٤٠٢]

في هذا الحديث إشارة عظيمة للذين يُقيمون في حدود الزاوية.

الدليل الثالث: عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيَعِثَنَّ اللَّهُ أَقْوَاماً يَوْمَ الصَّيَامَةِ فِي وُجُوهِهِمُ النُّورُ عَلَى مَنَابِرِ الْمُلُوكِ يَغِيظُهُمُ النَّاسُ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ». قَالَ: فَجِئْنَا أَغْرَابِيٍّ عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ: حَلِّهِمْ لَنَا نَعْرِفَهُمْ. قَالَ: «هُمْ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ قِبَائِلَ شَتَّى وَبِلَادٍ شَتَّى يَجْتَمِعُونَ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ يَذْكُرُونَهُ».

[أخرجه الطبراني بإسناد حسن؛ الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٤٠٦]

قال شيخ الحديث مؤلانا محمد زكريا رحمه الله آخذاً من هذا الحديث: اليوم يطعن على المقيمين في الزوايا من كل جهة وينهمون بكل تهمة يلومهم اللاعنون حق اللومة. قولوا فيهم اليوم ما تُريدون، فإذا استيقظت العينُ غداً انكشف الغطاء عما كسب هؤلاء الجالسون على الخصائد وهم على المنابر والعرفات.

تَسُوفَ تَرَى إِذَا انْكَشَفَ الْغُبَارُ أَفْرَسَ نَحْبَ رَجُلِكَ أَمْ جَهَنَّمَ

الدليل العقلي: إِنَّ لَمْ يَبْقَ فِي الدُّنْيَا تَعْلِيمٌ طِبِّ جِسْمَانِيٍّ وَلَا مَدْرَسَةٌ لَمْ يَوْجَدْ طَبِيبٌ وَلَا مُعَالِجٌ، فَتَمَلَّأَ الدُّنْيَا بِالْأَمْرَاضِ الْجِسْمَانِيَّةِ، هَكَذَا إِنْ لَمْ يَكُنْ مَكْنَبٌ لِلطَّبِّ الرُّوحَانِيِّ تَمَلَّأَ الدُّنْيَا مِنَ الْمُصْطَابِينَ بِالْأَمْرَاضِ الرُّوحَانِيَّةِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْإِلْحَادِ، فَالزَّوَايَا مَسْتَشْفِيَاتٌ مِنَ الْأَمْرَاضِ الرُّوحَانِيَّةِ بِحَصْلِ مِنْهَا الدَّوَاءَ لِلْقُلُوبِ.

وَأَعْلَمْنَا أَنَّ عِلَاجَ أَمْرَاضِ الْقَلْبِ شِفَاءٌ لِجَمِيعِ الْهُنُومِ وَالْعُمُومِ . قَالَ شَاعِرٌ :

دل مروہ دل نہیں اسے زبردہ کر دیا رہ کہ بھی ہے استوں کے مرض کن کا چارہ

وَمَعْنَاهُ :

الْقَلْبُ الْمَيْتُ لَيْسَ بِقَلْبٍ الْجَعْلُهُ حَيًّا

إِذَا هُوَ الْعِلَاجُ الْوَحِيدُ لَأَمْرَاضِ الْأُمَّةِ الْقَدِيمَةِ الْمَزْمِنَةِ

نَعَمْ، لَوْ أَنَّ شَخْصًا لَا يَرَى الْكُفْرَ وَالْمَعْصِيَةَ مَرَضًا فَلَا تُعَاطَلُهُ ،
وَمِثْلُ هَذَا الشَّخْصِ لَا تَنْفَعُهُ الطَّوَامِيرُ . قَالَهُ يَنْجِزِي خَيْرَ الْجَزَاءِ لِمِثْلِ
مَوْلَا الْأَوْلِيَاءِ الَّذِينَ يَبْقَوْنَ الْيَوْمَ فِي عَصْرِ الظُّلَمَةِ وَالْمَعْصِيَةِ ، الْأَعْمَالِ
الْخَالِفَةِ الدَّقِيقَةِ . اللَّهُمَّ نَبِّئْنَا عَلَى طَرِيقَتِهِمْ ، وَارْزُقْنَا مِنْ بَرَكَتِهِمْ ،
وَاحْشُرْنَا فِي رُفَّتِهِمْ .

الباب الثامن

في المعتقدات معتقدات المريدين

١ - **مألة:** تَنْقِيصُ رُتْبَةِ أَهْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَالنِّمَاسُ غُرُوبُهُمْ، وَغَدَمُ رِعَايَةِ آدَابِهِمْ سَحَرَامٌ.

فائدة: الَّذِينَ يُلْتَحِقُونَ بِالْمَقْبُولِينَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى بِطَيِّ مَنَازِلِ الْقُرْبِ بِالثَّقْوَى وَالطَّهَارَةِ وَالذِّكْرِ وَالْجَهَادَةِ، يُقَالُ لَهُؤُلَاءِ الْإِلَهِيِّينَ: أَوْلِيَاءُ اللَّهِ وَأَهْلُ اللَّهِ، فَهَؤُلَاءِ إِرَاحَتُهُمْ إِرْضَاءُ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِذَاؤُهُمْ كَأَنَّهُ إِيْذَاءُ اللَّهِ تَعَالَى.

يَسْتَدِلُّ عَلَى رِعَايَةِ آدَابِ أَهْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَمُوَاجَهَتِهِمْ مِنْ الْإِخْتِرَامِ وَالْمَحَبَّةِ بِأَدْلَةٍ ثَلَاثَةٍ:

١ - قَالَ الْمُفَسِّرُونَ فِي تَفْسِيرِ شُعَائِرِ اللَّهِ تَعَالَى: إِنَّهُ كَمَا يَدْخُلُ فِي شُعَائِرِ اللَّهِ تَعَالَى رَسُولُ اللَّهِ، وَكَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَنْتِ اللَّهُ تَعَالَى، يَدْخُلُ الْأَوْلِيَاءُ الْكَامِلُونَ فِي شُعَائِرِ اللَّهِ تَعَالَى، بَلِ الْأَمَّاكِينُ الَّتِي تَصِلُ إِلَيْهَا أَقْدَامُهُمْ تَدْخُلُ فِي شُعَائِرِ اللَّهِ تَعَالَى. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شُعَائِرِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ٢١٥٧).

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مَوْجُودَتَانِ مِنْذُ وُجِدَتْ الدُّنْيَا، وَلَكِنْ عُدْنَا مِنْ شُعَائِرِ اللَّهِ عِنْدَمَا وَصَلَتْ إِلَيْهِمَا قَدَمَانِ مَبَارَكَتَيْنِ لَأَمِيَّةٍ صَالِحَةٍ صَابِرَةٍ، هَاجَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَعَلِمَ أَنَّ الْكَامِلِينَ الْمَقْبُولِينَ حَيْثُ وَصَلَتْ

أَفَدَّاهُمْ تَعَذُّرُ هَذِهِ الْأَمَاكُنُ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ تَعَالَى، فَلْيَعِزُّ هَؤُلَاءِ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ بِالدرَجَةِ الْأُولَى. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

٢ - فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ: «إِنَّ الْغَبْدَ يَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالتَّوَافُلِ». ثُمَّ يَخْصُلُ لَهُ مِنَ الْكَيْفِيَّةِ مَا يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيَمَا رَوَاهُ عَنْهُ لَبْنَةُ عليه السلام: «كُنْتُ سَمِعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا» فَأَكْرَامَ رِجَالٍ يَقُولُ اللَّهُ فِيهِمْ هَذَا الْقَوْلَ، إِكْرَامًا وَأَوَامِرَ اللَّهِ تَعَالَى.

٣ - التَّوَقُّعَةُ فِي أَهْلِ اللَّهِ تَعَالَى مَكْرُوهٌ وَإِذَاؤُهُمْ قَبِيحٌ، وَفِي الْحَدِيثِ الْقَدِيسِيِّ: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ».

[البخاري مع حاشية السندي ج ٤ ص ١٢٩]

غَايِلَامُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى كَائِهِ إِذَاؤُا اللَّهِ بِالْحَرْبِ، وَعِنْدَمَا يَغْضِبُ اللَّهُ تَسْقُطُ الْعِمَائِمُ مِنَ الرُّقُوسِ وَتُرَالُ الْخُمُرُ وَيَذَلُّ الْإِنْسَانُ فِي بَيْتِهِ وَلَا يَنْتَقِي أَهْلًا لِمُقَابَلَةِ النَّاسِ، اللَّهُمَّ احْفَظْنَا مِنْ غَضَبِكَ.

وَالْعُلَمَاءُ الْمُتَشَدِّدُونَ الْمُتَحَرِّفُونَ الَّذِينَ يَنْقَسُونَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَالَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فُرْصَةٌ مِنْ سُوءِ الظَّنِّ وَسُوءِ اسْتِعْمَالِ اللِّسَانِ، عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَفَكَّرُوا أَنَّ التَّوْحِيدَ بِدُونِ آدَبٍ وَالْأَدَبُ بِدُونِ تَوْحِيدٍ دَاخِلٌ فِي الْإِقْرَاطِ وَالتَّشْرِيطِ، الْأَدَبُ مَعَ التَّوْحِيدِ دَلِيلُ كَمَالٍ.

٢ - مَسْأَلَةٌ: الْعُلُوُّ فِي تَعْظِيمِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى أَيْضًا مُغَضِبَةٌ.

فَائِدَةٌ: بَعْضُ النَّاسِ يَتَعَلَّلُونَ فِي آدَابِ الْمَشَائِخِ وَتَعْظِيمِهِمْ حَتَّى يَسْتَحْدُوا لَهُمْ تَعْظِيمًا، وَهَذَا حَرَامٌ دَاخِلٌ فِي الشَّرْكِ، عَلَيَّ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى حَبِّ أَنْبِيَائِهِمْ، فَاتَّخَذُوهُمْ أَبْنَاءَ اللَّهِ لِقَلْبِيَةِ الْحُبِّ، وَصَرَّخَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِفِتْنَاتِهِ وَشَاعَرِيهِ، وَهَنَّاكَ أَنْتَاسُ يَتَّخِذُونَ الشَّيْخَ إِلَهَا صَغِيرًا

وَبَرَّعَمُونَ أَنَّهُ بِمُثْلِكَ التَّفَضُّعِ وَالضَّرِّ. وَعَنْ عَهْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

«يَا غُلَامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا سَأَعْتَلَتْ فَاسْتَعِينِ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَتِ الصُّحُفُ».

[مشكاة المصابيح ج ٣ ص ١٤٥٩]

إيضاح شناعة الغلو في تعظيم أولياء الله تعالى بمثال:

رَجُلٌ يَقُولُ لِرُؤُوسَتِهِ: اخْدُمِي وَالِدِي وَأَكْرَمِيهِ، فَمَعَهُمَا تَخْدِمُ الرُّؤُوسَةَ وَالَّذِهِ رَضِيَ رُؤُوسَتُهَا، وَإِنْ غَلَّتْ بِالْخِدْمَةِ حَتَّى تُعَامِلَهُ كَمَا تُعَامِلُ الرُّؤُوسَ لَا يَرْضَاهُ الرُّؤُوسُ أَبَدًا وَلَا يَغْفِرُ لَهَا هَذَا الذَّنْبَ، وَكَذَلِكَ أَقَرَّ اللَّهُ تَعَالَى بِاخْتِرَامِ أَوْلِيَائِهِ وَلَكِنْ بِقِيودٍ وَخُدُودٍ، وَإِنْ غَلَا أَحَدٌ فِي التَّعْظِيمِ يَسْتَحِقُّ الْعَذَابَ وَمَسْحَطَ اللَّهِ عَلَيْهِ.

٣ - مسألة: كل طريقة رذنها الشريعة فهي زندقة وإلحاد.

عَزَلُ الطَّرِيقَةِ عَنِ الشَّرِيعَةِ لَا يَجُوزُ بَلِ الْحَقِيقَةُ أَنَّ الطَّرِيقَةَ خَادِمُ الشَّرِيعَةِ، بَعْضُ الْمَشَائِخِ الْجُهَّالِ لِكَيْفَ مَا أَعْمَلُوا مِنْ الْقَبِيحَةِ يَقُولُونَ بِالتَّفْرِيقِ بَيْنَ الشَّرِيعَةِ وَالطَّرِيقَةِ. قَدْ ضَلُّوا وَأَضَلُّوا أَصْحَابَهُمْ، وَبَعْضُهُمْ لَا يُضَلُّونَ وَيَقُولُونَ: صَلَاتُكُمْ حُمُسَةُ أَوْقَاتٍ وَصَلَاتُنَا كُلُّ وَقْتٍ. ذِكْرُ لِسَيِّدِ الطَّائِفَةِ الشَّيْخِ الْجُنَيْدِ الْبَغْدَادِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ طَائِفَةً مِنَ الصُّوفِيَةِ الْجُهَّالِ يَقُولُ: نَحْنُ وَصَلَاتُنَا فَلَا خَاجَةَ لَنَا إِلَى الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ فَقَالَ الشَّيْخُ:

(صَلُّوا فِي الْوُضُوءِ وَلَكِنْ إِلَى سَفَرٍ)

٤ - مسألة: قد يعرف أولياء الله تعالى بعض الأمور بالكشف والإلهام خرقاً للعادة.

قاعدة: لا يخفي هذا أن أولياء الله تعالى يعلمون الغيب. لا يعلم الغيب إلا الله، قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩].

نعم، يخبر الله تعالى بأنباء الغيب ما شاء ومن شاء من أنبيائه وأوليائه، واعتقاد أن الشيخ يعلم كل شيء كل وقت ضلالة بينة. بلغ الجهل اليوم إلى منتهاه حتى يقول البعض: إن ستانيز بيت شينجنا تعلم الغيب أيضاً. والحقيقة أن من رزق كشف القلوب لا تثبث له الحقيقة كل وقت متى أراد الله تعالى كشف الحجاب، على أن الكشف لا يجب أن يكون دائماً صحيحاً، بل يحتمل الخطأ.

حكاية: كان الشيخ قولاً محمداً قاسم النانوتوي رحمه الله تعالى يذهب مع الناس إلى عمارة، فلما أن بقي مسافة قليلة سأله رجل فقال: إن كُشِفَ الأولياء قد تأخر عن وقتها، وأخبار الأنبياء لا تتأخر عن وقتها، فهل يخطئ كشف الأولياء؟ فقال الشيخ: أي عمارة قدامنا؟ فقال: السج، فقال: أفيد شك أم هو يقيني؟ فقال السائل: لا، بل هو السج بلا ريب، فقال: كم بعد السج من ههنا؟ فقال: قريب من مائة قدم، فقال: هل يمكن أن يكون بذلك المائة مائة إلا خمسة أو مائة وخمسة؟ فقال: نعم. إنه ظن وليس يقيني، فقال: هكذا كشف الأولياء يحتمل الخطأ إذ هم يروونه من بعيد.

فلما انتهى إلى باب السج ولم يبق منه إلا قدمان، قال الشيخ: أي عمارة هذه؟ فقال السائل: هي السج. فقال: كم مسافة بينك وبين السج؟ فقال: قدمان. فقال: هل يمكن أن يكون بذلك قدمين ثلاثة

أَقْدَامُ أَوْ قَدَمٌ وَاحِدَةً؟ فَقَالَ: لَا. فَقَالَ الشَّيْخُ: هَكَذَا حَالُ كُثُفِ الْأَنْبِيَاءِ بِرُؤُوسِهِمْ خَفَاءً وَيَرُؤُهُ مِنْ قَرِيبٍ.

[الأرواح الثلاثة ص ٢٥٨]

٥ - مسألة: عِبَادَةُ غَيْرِ اللَّهِ حَرَامٌ لَا يَجُوزُ اسْتِعَانَتُهُمْ.

قائده: عِبَادَةُ غَيْرِ اللَّهِ حَرَامٌ. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾

[محمد: ١٩].

الْإِشْرَاقُ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ هُوَ الشُّرْكُ وَهُوَ جَرِيمَةٌ لَا تَحْتَمِلُ الْعَفْوَ. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

حكاية: كَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ يَقُولُ: تَعَلَّمْنَا التَّوْحِيدَ مِنْ امْرَأَةٍ قَصَّارٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: وَكَيْفَ يَا سَيِّدِي؟ فَقَالَ: كُنْتُ مُشْتَعِلًا يَوْمًا فِي الْعِبَادَةِ، إِذْ قَصَّارٌ وَامْرَأَتُهُ بِجَوَارِي يَخْتَصِمَانِ. كَانَ الْقَصَّارُ يَرِيدُ نِكَاحًا ثَانِيًا وَكَانَتِ امْرَأَتُهُ تَقُولُ: تَحَمَّلْتُ لِأَجْلِكَ الْعُسْرَ وَالشَّدَّةَ إِنْ وَجَدْتُ الطَّعَامَ أَكَلْتُ وَإِنْ لَمْ أَجِدْ صَبَرْتُ. تَحَمَّلْتُ كُلَّ مَشَقَّةٍ وَأَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَحَمَّلَ لِأَجْلِكَ مَشَقَّةَ فَوْقَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ تُشْرِكَ أَحَدًا فِي حَبِّي. قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: فَتَقَرَّرْتُ فِي الْقُرْآنِ فَإِذَا هَذِهِ آيَةُ أَمَامِي: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨].

حكاية: كَانَ شَيْخٌ كَثِيرًا يَقُولُ: تَعَلَّمْنَا التَّوْحِيدَ مِنْ امْرَأَةٍ فَقَالَ رَجُلٌ: وَكَيْفَ يَا سَيِّدِي؟ فَقَالَ: جَاءَتْ سَائِلَةً امْرَأَةً وَقَالَتْ: أَفْتِنِي أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِرَجُلٍ نِكَاحُ امْرَأَةٍ أُخْرَى عَلَيَّ فَقُلْتُ: وَكَيْفَ أَفْتِي بِهَذَا وَقَدْ آيَأَخْتُ لَهُ الشَّرِيعَةَ؟ فَمَا زَالَتْ تُصِرُّ وَأَنَا أَرْفُضُ وَأَخِيرًا تَنَفَّسَتْ نَفْسًا بَارِدًا وَقَالَتْ: يَا سَيِّدِي! أَمْرُ الشَّرِيعَةِ حَاجِزٌ وَإِلَّا أَكْشِفُ لَكَ وَجْهِي فَتَرَى حُسْنِي وَجَمَالِي فَتَضْطَرُّ أَنْ تُفْتِنِي أَنْ مَنْ كَانَتْ لَهُ زَوْجَةٌ مِثْلَ هَذِهِ حُسْنًا

وَجَمَالاً لَا يَتَّخِ لهُ الزَّوْجَةُ الثَّانِيَةُ؟ ثُمَّ ذَهَبْتُ، وَلَكِنْ بَعْدَ أَنْ عَلَّمَنِي
الثَّوْحِيدَ فَقُلْتُ: إِنَّ امْرَأَةً تَفْتَحِرُ هَكَذَا بِحُسْنِهَا الْفَانِي وَلَا تُبِيعُ أَنْ تَرَى
مَعَهَا امْرَأَةً أُخْرَى، فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَهُوَ مَالِكُ الْمُلْكِ وَأَحْكَمُ
الْحَاكِمِينَ، كَيْفَ يُجِيبُ أَنْ يُشْرِكَ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، فَلَا يَجُوزُ اسْتِعَانَةُ غَيْرِ
اللَّهِ تَعَالَى، وَلِذَا يُؤْخَذُ كُلُّ يَوْمٍ مِثَاقٌ ﴿إِنَّا لَنَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾
[الفاتحة: ٥] عدة مرات.

وَيُنَبِّهِي لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُعْلِنُوا بِ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦]
و: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] ﴿نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾
[الأنفال: ٤٠].

٦ - **مسألة:** السجود للقبور ووضع الجبهة لها والطواف بالقبور شرك.

فائدة: جعل الله سبحانه وتعالى للأتعام والطيور والسباع صوراً
تخضع رؤوسها لأكل الغذاء، بينما وهب الله تعالى لأشرف المخلوقات
الإنسان صورةً يبلغ غذاؤه إلى فمه بواسطة الأيدي لا يحتاج للأكل إلى
وضع رأسه كي لا يخضع لغيره تعالى، بجبهة خلقت لتخضع له فقط،
ولذلك نهى عن سجوده لغير الله ولو تعظيماً في الشريعة المحمدية كما
نهى عن سجوده للقبور ووضع الجبهة عليها، ولا يجوز ما يفعله بعض
الناس من تقبيل جذران المزارات. وأذى شاعر هذا الكلام في بيت له
ومعناه:

لِشَقِيصِيكَ أَتَيْتُ تُقْبِلُ أَسْوَدَ السَّخَجِرِ

وَأَلَا لَمَّا لِمُسْلِمِينَ فِي حَجَرِ

٧ - **مسألة:** الدعاء بتوسل الأولياء جائز.

فائدة: التوسل: أَنْ يُدْعَوْ هَكَذَا مَثَلًا: اللَّهُمَّ اقْضِ حَاجَتِي كَذَا
بِحُرْمَةِ الْحَوَاجَةِ غُلَامٍ خَبِيبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ. وَيُمْكِنُ أَنْ يُدْعَوْ هَكَذَا: اللَّهُمَّ

إِنَّ الْحَوَاجَّةَ غَلَامٌ حَبِيبٌ عَبْدٌ لَكَ صَالِحٌ وَأَنَا أَحِبُّهُ فَبِيرْكُهُ حَبْنِي لَهُ أَقْبَضُ حَاجَتِي . ومثل هذا التوسل مباح جائز والتعبُّد حرامٌ غيرُ جائز . وحالُ العائمة أنهم يَحْصِبُونَ الشُّرَكَ تَوَسُّلاً بَيْنَمَا الْعُلَمَاءُ الْمُتَشَدِّدُونَ يَرَوْنَ التَّوَسُّلَ شِرْكَاً . وَالْحَقِيقَةُ لَا تَذَرُكَ إِلَّا بِصُخْبَةِ أَهْلِ اللَّهِ تَعَالَى .

٨ - **مسألة:** طَلِبَ الْحَاجَاتِ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ أَحْيَاءَ كَانُوا أَوْ أَمْوَاتاً غَيْرُ جَائِزٍ .

فائدة: لَا يَجُوزُ طَلِبُ الْحَوَائِجِ إِلَّا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى . بَعْضُ النَّاسِ يَقْصِدُونَ الْمُقَابِرَ وَيَقُولُونَ: نَحْنُ نَدْعُوكُمْ وَأَنْتُمْ تَدْعُونَ اللَّهَ، دُعَاؤُنَا مِنْكُمْ وَدُعَاؤُكُمْ مِنَ اللَّهِ . وَبَعْضُ الْجُهَالِ يَلْقَوْنَ فِي بُيُوتِهِمْ صُورَ الشُّيُوخِ يَسْلُمُونَهَا مُبَكِّرِينَ كُلَّ صَبَاحٍ وَيَقُولُونَ: يَا سَيِّدَنَا نَأْكُلُ مِمَّا تَرْزُقُونَا . وَبِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ الْجُهَالِ أَنْزَلَتْ: ﴿وَلِذَا حَاطَبُهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَسًا﴾ [الفرقان: ٢٦٣]

٩ - **مسألة:** الْوَلِيُّ مَهْمَا تَقَدَّمَ لَا يَصِلُ إِلَى دَرَجَةِ نَبِيِّ .

فائدة: الْوِلَايَةُ أَمْرٌ كُنُسِيٌّ أَيْ يُحْكَمُ حُصُولُهَا بِالْإِتِّبَاضِ وَالْمُجَاهَدَةِ، بَيْنَمَا النَّبَوَةُ وَهَيْئَةٌ وَعَطَاءُ الْحَبِيبِ أَفْضَلُ مِنْ كُنُسٍ نَفْسِيٍّ، فَالنَّبَوَةُ أَفْضَلُ مِنَ الْوِلَايَةِ وَإِنْ كَانَتْ وَلَايَةُ النَّبِيِّ نَفْسَهُ .

١٠ - **مسألة:** لَا يَسْتَعْنِي نَبِيٌّ عَنْ أَوَامِرِ الشَّرْعِ سِوَى الْمُجْدُوبِ، فَإِنَّهُ يُسَلِّبُ عَقْلَهُ .

فائدة: لَا يَأْتِي فِي مَقَامَاتِ الْوِلَايَةِ مَقَامٌ يُعْفَى فِيهِ الْإِنْسَانُ عَنْ أَوَامِرِ الشَّرْعِ مَعَ بَقَاؤِ عَقْلِهِ وَصُخْبِهِ، أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَعِزِّدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْقِيَامُ﴾ [الحجر: ٩٩] .

وَيُقَالُ الْيَوْمَ: لِعَرَبَانِ التَّصَفِّي يَصِفُ وَلِيٌّ، وَلِعَرَبَانِ الْكُلُّ وَلِيٌّ كَامِلٌ . بَعْضُ الْجُهَالِ يَعْلَمُونَ مُرِيدَهُمْ هَذَا الدَّرْسَ: نَحْنُ وَإِنْ كُنَّا مُدْبِرِينَ وَلَكِنْ سَوَّفَ تُنْجِيكُمْ مِنَ النَّارِ، وَيَسْتَدْلُونَ بِأَنَّ الْبَوْلَ وَإِنْ كَانَ نَجِساً وَلَكِنْ

يُطْفِئُ النَّارَ وَيُشْفِي هَؤُلَاءِ أَنَّهُمْ يُؤْتُونَ مَقْبُوضِينَ بِالسَّلَاسِلِ لِسُوءِ أَعْمَالِهِمْ
فَكَيْفَ يَنْجُونَ الْآخَرِينَ وَكَيْفَ تُقْبَلُ شَفَاعَتُهُمْ.

حكاية: كَانَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَرَّةً
جَالِساً يُرَاقِبُ فِي الْعَابَةِ إِذْ ظَهَرَ لَهُ صُورَةٌ وَجَاءَهُ صَوْتُ: إِنَّا رَضِينَا
بِعِبَادَتِكَ وَغَفَرْنَا لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، سَرَّاءَ عَلَيْكَ الْآنَ أَنْ
تَعْمَلَ أَوْ لَمْ تَعْمَلْ. فَقَالَ الشَّيْخُ فِي قَلْبِهِ: إِنَّ هَذِهِ الْبَشَارَةُ لَمْ تَنْزِلْ لِمِثْلِ
أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَكَيْفَ يُسْرَتُ بِهَا؟ لَا شَكَّ أَنَّهُ شَيْطَانٌ
فَقَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

فَلَمَّا سَمِعَ هَذَا قَرَأَ الشَّيْطَانُ وَطَعَنَ طَعْنَةً أُخْرَى وَهُوَ يَقْرَأُ، قَالَ: يَا
عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلَانِي، إِنِّي أَضَلَلْتُ كَثِيراً بِهَذِهِ الْمَكِيدَةِ امْتَنَعْتَ أَنْتَ
بِعِلْمِكَ، فَقَالَ مَبَاشَرَةً: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. وَقَالَ: يَا رَجِيمُ إِنِّي لَمْ
أَمْتَنِعْ بِسَبَبِ عِلْمِي بَلِ امْتَنَعْتُ بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى فَفُط.

وَإِذْ يَسْتَعِيدُ مِثْلُ هَذَا الشَّيْخِ الْكَامِلُ مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ، فَمَنْ يَسْتَطِيعُ
أَنْ يَدَّعِي أَنَّهُ رُفِعَ عَنْهُ قَيْدُ الشَّرِيعَةِ؟ أَمَّا الْمَجْدُوبُ فَهُوَ كَالْمَجْنُونِ رُفِعَ عَنْهُ
الْقَلَمُ، وَالشَّرِيعَةُ نَتَهَى الْجَهَنُّورَ عَنْ اتِّبَاعِ الْمُجَانِنِ وَالْمَجَادِبِ، فَلْيَقْدِرْ
الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْمُجَانِنَ أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ الْوَصُولَ إِلَى الْمَنْزِلِ فِي الدُّنْيَا بِاتِّبَاعِ
الْمَجَانِنِ، فَكَيْفَ يَصِلُ إِلَى الْمَنْزِلِ سَائِلُ الْآخِرَةِ بِاتِّبَاعِ مَجْدُوبٍ؟
هَذَا خَيَالٌ وَمَحَالٌ وَجُنُونٌ.

١١ - مسألة: الْأَنْبِيَاءُ مَعْصُومُونَ عَنِ الْمَعَاصِي وَالْأَوْلِيَاءُ مَخْطُوعُونَ عَنْهَا.

١٢ - مسألة: الصَّخَابَةُ أَفْضَلُ مِنْ سَائِرِ أَوْلِيَاءِ الْأَمَّةِ.

فائدة: هَؤُلَاءِ جَمَاعَةٌ فُتْخَارَةٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الْمُصْطَفَيْنِ. قَالَ اللَّهُ

تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾ [التج: ٢٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [البقرة: ٢٨].

وكانت علامات هذه الجماعة موجودة في الثوراة والإنجيل . قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْبَةِ وَمَثَلُ فِي الْإِنجِيلِ ﴾ [الفتح : ٢٩] .

وميزة هذه الجماعة أنه لما كان يقول رسول الله ﷺ : السميع الله لمن حبيته . كانوا يقولون : ربنا لك الحمد .

قال المنافقون عن هذه الجماعة سفيها في قولهم : ﴿ أَتُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ الشُّفَهَاءُ ﴾ [البقرة : ١٧٣] فرد الله عليهم مقولتهم حيث قال : ﴿ قَالُوا أَتُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ الشُّفَهَاءُ ﴾ [البقرة : ١٧٣] .

يقول الله تعالى في مدح هذه الجماعة : ﴿ وَإِنَّا صَدَقْنَا مَا عَاهَدُوا وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٣] .
هذه الجماعة قال فيهم أهل السنة والجماعة : الصحابة كلهم عدول .

[الإصابة ج ١ ص ٦]

يُشَرُّ أفراد هذه الجماعة بقوله عليه الصلاة والسلام : «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» .

[مشكاة المصابيح ص ٥٥٤]

١٣ - مسألة : ليُعْتَقَدَ في مُشَاجَرَةِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم أجمعين أن كلا الفريقين على الحق والخطأ الجنيهاً .

فائدة : سئل الإمام الشافعي رحمه الله عن مشاجرة الصحابة رضي الله عنهم أجمعين . فقال : عصم الله أدينا من التلوث بدمائهم . فلبماذا تلوث بها ألسنتنا ؟ قال السيد عبد السَّار نُجَم دامت بركاتهم شعراً معناه :
الصحابة ولو اُفْتَحِلُوا سَعْدَاءَ هؤلاء شهداء وأولئك شهداء

وليتكن نُصِبَ عَيْنِي كل حين قوله عليه الصلاة والسلام : «اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي ، اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي ، لَا تَتَّخِذُوهُمْ مِنْ بَغْدِي غُرَضاً ، فَمَنْ

أَحَبُّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِغْضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَبِوَشْكَ أَنْ يَأْخُذَهُ».

أرواه الترمذي؛ مشكاة المصابيح ج ٣ ص ١٦٩٦

١٤ - مسألة: قَالَتِ الصُّوفِيَّةُ: بَاطِنُ الشَّيْخِ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

فائدة: لَا يَعْنِي هَذَا أَنَّ الشَّيْخَ حَاضِرٌ وَنَازِلٌ فِي كُلِّ مَكَانٍ بَلْ مَعْنَاهُ أَنَّ الْمُرِيدَ مَهْمَا يَكُنْ تَبَلَّغَهُ تَوَحُّهَاتٍ مِنْ شَيْخِهِ.

١٥ - مسألة: كَرَامَةُ وَلِيٍّ لَا تَدُلُّ عَلَى أَفْضَلِيَّتِهِ.

فائدة: الْكَرَامَةُ هِيَ صُدُورُ أَمْرِ فَوْقَ الْعَادَةِ وَلَهَا أَسْبَابُ ثَلَاثَةٌ:

الأول: قَدْ تَصَدَّرَ الْكَرَامَاتُ مِنَ الْكَامِلِينَ حَتَّى يَزْدَادَ قُبُولُهُمْ لَدَى الْجُمْهُورِ.

والثاني: قَدْ يَكُونُ صُدُورُ الْكَرَامَةِ مِنَ الْوَلِيِّ لِتَقْصِيرٍ بِهِ حَتَّى يَتَنَبَّهَ الْأَوْلِيَاءُ الْمُخْتَفِقُونَ يَخْفَوْنَ كَرَامَاتِهِمْ كَمَا تَخْفِي الْعَامَّةُ عُيُوبَهُمْ.

والثالث: قَدْ تَصَدَّرَ الْكَرَامَاتُ مِنَ الثَّاقِصِينَ وَالتَّقْصِيلِ مَا يَلِي:

كُلُّ وَلِيٍّ يَحْتَاجُ لِعُبُورِ مَرَاتِبِ الْقُرْبِ الْإِلَهِيِّ لِأَرْبَعِ خُطُوبٍ كُلُّ خُطْوَةٍ تُسَمَّى سَيْرًا.

الخطوة الأولى: هِيَ السَّيْرُ إِلَى اللَّهِ وَيُقَالُ لَهَا الْعُرُوجُ أَيْضاً وَسَيَرُ الْوَلِيِّ فِي هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ مِنْ عَالَمِ الْخَلْقِ إِلَى عَالَمِ الْأَسْبَابِ إِلَى عَالَمِ الْأَمْرِ.

الخطوة الثانية: هِيَ السَّيْرُ فِي اللَّهِ وَيُقَالُ لَهَا الْقَنَاءُ أَيْضاً وَيَجِدُ الْوَلِيُّ فِي هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ السَّيْرَ فِي ذَاتِهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ.

الخطوة الثالثة: هِيَ السَّيْرُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَيُقَالُ لَهَا التَّزَوُّلُ أَيْضاً يَزْجَعُ فِيهَا السَّالِكُ مِنْ عَالَمِ الْأَمْرِ إِلَى عَالَمِ الْأَسْبَابِ.

الخطوة الرابعة: هِيَ السَّيْرُ فِي الْأَشْيَاءِ، وَيُقَالُ لَهَا الْبَقَاءُ أَيْضاً

يَكْتُمِلُ فِيهَا قُرْبُ السَّالِكِ، فَيُعِيشُ فِي عَالَمِ الْأَسْبَابِ، فَظَاهِرُهُ نَحْ الْحَقِّقِ وَبَاطِنُهُ مَعَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَنَجِبُ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ السَّالِكَ مِنْهُمَا اكْتَمَلَ غُرُوبُهُ اكْتَمَلَ نُزُولُهُ، وَمِنْهُمَا اكْتَمَلَ نُزُولُهُ تَكُونُ حَيَاتُهُ الظَّاهِرَةُ تَحْتَ الْأَسْبَابِ حَتَّى يَضَعَبَ الْفَرْقُ بِنَظَرِهِ ظَاهِرُهُ بَيْنَ الرَّجُلِ الْعَادِي وَبَيْنَ الْوَلِيِّ، فَالْكَامِلُونَ يَعْيشُونَ فِي الْعَوَامِّ، وَلَكِنَّ النَّاسَ لَا يَسْتَطِيعُونَ مَعْرِفَتَهُمْ، وَنَظَرًا لِأَنَّ نُزُولَ الْأَنْبِيَاءِ اكْتَمَلَ نُزُولُ كَانَتْ حَيَاتُهُمْ الظَّاهِرَةُ سَادِجَةً فِي بَادِيِ النَّظَرِ يَرَاهُمُ النَّاسُ وَيَقُولُونَ: ﴿مَا لِي هَذَا الرَّسُولِ بِأَكْمَلِ الْفَلَاحِ وَيَتَبَيَّنُ فِي الْأَشْرَافِ﴾ [الفرقان: ٧].

وَحَيَاةُ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ كَانَتْ سَادِجَةً جَدًّا حَتَّى يَغْسُرَ فِي بَغْضِ الْأَخْيَارِ إِذْ ذَاكَ الْحَقِيقَةُ، بَلْ كَانَ الْكُفَّارُ يَقُولُونَ: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤٦].

أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ الْمَدْنُورَةَ مِنْهَا جَرًّا مِنْ عَمَلِ الشُّكْرَانِيَّةِ، وَجَعَلُوا يُضَافِيحُونَ أَبَا بَكْرَ الصَّدِّيقَ وَضِيَّ اللَّهِ عَنْهُ، وَجَاءَ أَغْرَابِيٌّ مَرَّةً وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ حَالِسًا بَيْنَ أَصْحَابِهِ فَلَمْ يَعْرِفْهُ حَتَّى سَأَلَ مَنْ مِنْكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْكَامِلُونَ يَعِيشُونَ ظَاهِرًا تَحْتَ الْأَسْبَابِ، فَيَعَامِلُونَ مَعَامِلَةَ الْأَسْبَابِ حَسَبَ أَضْلٍ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَيْنِي يَوْمًا».

[أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ؛ جَامِعُ الْأَصُولِ ج ٤ ص ٤٧٦]

فَيَقُولُ صُدُورُ الْكَرَامَاتِ عَنْهُمْ. فَجَمَاعَةُ الْعَصَابِيَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ جَمَاعَةً اخْتَارَهَا اللَّهُ تَعَالَى، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ غُرُوبُهُمْ كَامِلًا كَانَ نُزُولُهُمْ أَيْضًا كَامِلًا، فَكَانَ صُدُورُ الْكَرَامَاتِ مِنْهُمْ قَلِيلًا جَدًّا حَتَّى كَانَتْهَا لَا شَيْءَ بِالنَّشِيئَةِ إِلَى كَرَامَاتِ أَوْلِيَاءِ الْأُمَّةِ، وَهَذَا لَا يَدُلُّ عَلَى التَّقْصِيرِ بَلْ يَدُلُّ عَلَى الْكَمَالِ.

وَهُنَاكَ أَمْرٌ آخَرُ نَجِبٌ مَلَاخِظَتُهُ، وَهُوَ أَنَّ أَيَّ سَالِكٍ مِنْهُمَا تَقْصُرُ

عُرُوجِهِ تَقْصُرُ نُرُوءُهُ، وَلَمَّا تَقْصُرْ نُرُوءُهُ فَقَدْ يَتَوَقَّفُ أَمْرُهُ بِمَا فَوْقَ عَالَمِ
الْأَسْبَابِ، فَيَضْدُرُّ عَنْهُ أُمُورٌ تُخَالِفُ الْأَسْبَابَ، وَتُسَمَّى كَرَامَاتٍ؛ فَهَذَا
يَدُلُّ عَلَى التَّقْصِيرِ. وَفِيمَا يَلِي أَمْثَلُهُ تَوْضِيحُ مَا قُلْنَا.

المثال الأول: كَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ كَامِلِي أَوْلِيَاءِ هَذِهِ
الْأُمَّةِ، وَحَامِلِي الْعِلْمِ الظَّاهِرِيِّ وَالْبَاطِنِيِّ، سَبَقَ أَهْلَ عَصْرِهِ، أَخَذَ الْحُرَّةَ
مِنْ سَيِّدِنَا عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صَوَّجَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ مِنْ أَصْحَابِ بَنْدَرِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، كَانَ عُرُوجُهُ كَامِلًا وَنُرُوءُهُ أَيْضًا كَامِلًا، فَكَانَتْ
حَيَاتُهُ الظَّاهِرَةُ تَحْتَ الْأَسْبَابِ. كَانَ حَبِيبُ الْعَجَمِيِّ مِنْ مُرِيدِي الْحَسَنِ
الْبَصْرِيِّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى، لَمْ يَكُنْ لَهُ عِلْمٌ ظَاهِرِي وَلَمْ يَكُنْ عُرُوجُهُ
كَامِلًا وَلَا نُرُوءُهُ، وَقَصَصُ هَذَيْنِ الشَّيْخَيْنِ مُخْتَلِجَةٌ إِلَى الشَّخْصِيَّةِ.

كَانَتْ الشَّرْطَةُ تَطْلُبُ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى حَتَّى يَكْلَفَ
بِوُضْعِهِ حُكُومِيَّةً، وَلَمْ يَكُنِ الشَّيْخُ يَزْعُمُ فِيهَا، فَهَرَبَ الشَّيْخُ الْحَسَنُ
الْبَصْرِيُّ حَتَّى اخْتَفَى فِي عُرْفَةِ حَبِيبِ الْعَجَمِيِّ وَقَالَ: يَا حَبِيبُ لَا تُخْبِرْ
أَحَدًا أَنِّي اخْتَفَيْتُ هُنَا، بَيْنَمَا كَذَلِكَ إِذْ جَاءَتِ الشَّرْطَةُ فَسَأَلُوا حَبِيبًا
الْعَجَمِيَّ: هَلْ رَأَيْتَ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، اخْتَفَى فِي هَذِهِ
الْحُجْرَةِ، وَكَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ يَسْمَعُ كَلَامَهُمْ، فَخَافَ كَأَنَّهُ الْأَرْضُ
خَرَجَتْ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْهِ. فَخَلَّتِ الشَّرْطَةُ فِي الْحُجْرَةِ فَأَخْفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى
عَنْ أَبْصَارِهِمْ، فَتَشَمُّوا هُنَا وَهَنَا فَلَمْ يَرَوْا الشَّيْخَ فَرَجَعُوا. فَخَرَجَ الْحَسَنُ
الْبَصْرِيُّ وَقَالَ: يَا حَبِيبُ! لِمَ أَخْبَرْتَ الشَّرْطَةَ أَنِّي فِي الْحُجْرَةِ؟ فَقَالَ: يَا
شَيْخُ هَلْ اسْتَطَاعُوا أَنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ؟ يَبْدُو ظَاهِرًا أَنَّ رُتْبَةَ حَبِيبِ الْعَجَمِيِّ
عَالِيَةٌ، وَلَكِنْ كَانَ تَفَكَّرَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ تَابِعًا لِمَا تَحْتَ الْأَسْبَابِ، وَكَانَ
تَفَكَّرَ حَبِيبُ الْعَجَمِيِّ تَابِعًا لِمَا فَوْقَ الْأَسْبَابِ.

كَانَ الشَّيْخُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ يَمُرُّ فِي الشَّارِعِ فَرَأَى قَبَاءَ حَبِيبِ
الْعَجَمِيِّ مَوْضُوعًا فَتَحَبَّرَ أَلَيْسَ ذَهَبَ حَبِيبٌ وَلِمَ تَرَكَ الْقَبَاءَ هَهُنَا؟ فَوَقَّفَ

بنتظره وبعد قليل رجع حبيب العجمي، فسأله الحسن البصري: يا حبيب في ذمة من تركت هذا القباء؟ فقال الحبيب: يا سيدي تركته في ذمة من أقامك لحفظه، فظهر أن تفكر حبيب العجمي تفكر ما فوق الأسباب، وتفكر الحسن البصري تفكر ما تحت الأسباب.

كان حبيب العجمي يريد مرة أن يغبر البحر، فلما وصل إلى الشاطئ وجد الحسن البصري جالسا فسأله: لماذا تجلس ههنا؟ فقال: أنتظر السفينة لأغبر البحر فأخذ يتكلمان، وبعد لأي قال حبيب: تفضل يا سيدي أريد الذهاب، قال هذا وغبر البحر غائبا على الماء، والحسن البصري جالس ينتظر السفينة فجاءت السفينة فعبر البحر.

يبدو من هذه القصص أن حبيباً شيخاً كامل عالي المرتبة، ولكن الحقيقة خلافه. كان الحسن البصري شيخاً والحبيب العجمي مريداً. كان الحسن البصري كاملاً وكان حبيب العجمي ناقصاً، كانت حياة الحسن البصري موافقة لما تحت الأسباب، وكانت حياة حبيب العجمي موافقة لما فوق الأسباب. كانت حياة الحسن البصري أقرب وأشد بحياة نبي الله ﷺ، ولم يكن لحياة حبيب العجمي كمال مشابهة بحياته ﷺ. فثبت أن صدور الخوارق لا يدل على الكمال.

المثال الثاني: علم شيخ بوفاة ابنه فلم يحزن ولم يبالي وقال: استرة من كان الولد أمانته. بينما توفي ابن رسول الله ﷺ فكان يستغفر ويقول: «القلب يحزن والعين تدمع، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون». كانت حياة سيد الأنبياء الظاهرة موافقة لما تحت الأسباب، ولهذا كان يئس، بينما كان أمر الولي في ذلك الوقت أمر عابر الطريق فلم يحزن بفراق الولد.

المثال الثالث: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾ (يونس: ١٥) بناء عليه أرشد النبي ﷺ أمته ليسألوا الله الجنة ويقولوا: «اللهم إنا

تَسْأَلُكَ الْجَنَّةُ وَتَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ. بينما رَابِعَةُ البَصْرِيَّةُ جَمَلَتْ بِإِحْدَى يَدَيْهَا النَّارَ وَبِالْأُخْرَى الْمَاءَ وَخَرَجَتْ تَقُولُ: أَنَا أَخْرِقُ الْجَنَّةَ وَأُطْفِئُ جَهَنَّمَ حَتَّى يَخْلَصَ النَّاسُ الْعِبَادَةُ لِلَّهِ تَعَالَى، وَلَا يَبْقَى لَهُمْ طَمَعٌ فِي الْجَنَّةِ وَلَا خَوْفٌ مِنْ جَهَنَّمَ. فَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ فِي جَانِبٍ، وَعَمَلُ رَابِعَةَ البَصْرِيَّةِ فِي جَانِبٍ آخَرَ. وَلِذَلِكَ قَالَ الشَّيْخُ الْمَجْدُ فِي مَكْتُوبَاتِهِ: لَمْ يَكُنْ نَزُولُ رَابِعَةَ البَصْرِيَّةِ كَامِلًا فَكَانَ فِكْرُهَا مُوَافِقًا لِمَا قَوْفُ الْأَسْبَابِ. رَابِعَةُ الْمَسْكِينَةِ إِنْ أَطْلَعَتْ عَلَى هَذَا السِّرِّ لَمْ تَخْرُجْ قَابِضَةً بِإِحْدَى يَدَيْهَا النَّارَ وَبِالْأُخْرَى الْمَاءَ.

فَتَبَيَّنَ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ أَنَّ بَعْضَ الْأَوْلِيَاءِ لَمْ يَكُنْ نَزُولُهُ كَامِلًا، فَيَكْثُرُ مِنْهُمْ ضُذُورُ الْخَوَارِقِ، وَنَتِيجَةُ هَذَا التَّقْصِيلِ أَنْ إِظْهَارَ الْكَرَامَاتِ قَدْ يَكُونُ لِيُوضِّحَ قُبُولَ الْكَامِلِينَ فِي الْعَامَّةِ، وَقَدْ يَكُونُ لِلْعُقُوبَةِ وَالْجَزَاءِ، وَقَدْ يَضُدُّ لِنَاقِصِ النُّزُولِ، وَلَمَّا كَانِ الْفَرْقُ صَعْبًا جُعِلَ الْأَصْلُ أَنَّ كَرَامَاتِ وَلِيِّ لَا تَدُلُّ عَلَى فَضْلِهِ.

١٦ - مِلَّةٌ: الْاسْتِقَامَةُ قَوْفُ الْكَرَامَةِ.

فائدة: الْاسْتِقَامَةُ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ كُلَّ عَمَلٍ فِي كُلِّ وَقْتٍ مُوَافِقًا لِلشَّرِيعَةِ وَالسُّنَّةِ. وَالْاسْتِقَامَةُ هِيَ أَكْبَرُ كَرَامَةٍ، مَكَتَ رَجُلٌ فِي صُحْبَةِ جُنَيْدِ الْبَغْدَادِيِّ عِدَّةَ سَنَوَاتٍ، قَالَ يَوْمًا: يَا سَيِّدِي! ائْذَنْ لِي أَرْجِعَ إِلَى شَيْخٍ آخَرَ، فَقَالَ: وَلِمَاذَا؟ قَالَ الرَّجُلُ: مَكَتُ فِي خِدْمَتِكُمْ عِدَّةَ سَنَوَاتٍ وَلَمْ أَشَاهِدْ أَيْ كَرَامَةٍ، فَقَالَ الشَّيْخُ: وَغَلَّ شَاهَدْتُ عَمَلًا يُخَالِفُ السُّنَّةَ النَّبَوِيَّةَ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَالَ: وَأَيُّ كَرَامَةٍ قَوْفُ هَذَا؟

أَخْبَرَ الشَّيْخَ أَبُو يَزِيدَ الْهَسْطَامِيُّ بِشَيْخٍ صَاحِبِ كَرَامَاتٍ فَذَهَبَ لِيَلْقَاهُ، فَرَأَى مِنْ بَعِيدٍ أَنَّهُ اخْتِجَاعٌ إِلَى الْقَاءِ الْبِصَاقِ فَتَقَلَّ إِلَى الْقَبِيلَةِ فَرَجَعَ الشَّيْخُ أَبُو يَزِيدَ مِنْ غَيْرِ تَسْلِيمٍ عَلَيْهِ وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَسْتَقِيمْ عَلَى مُسْتَحَبِّ

كَيْفَ يَكُونُ مِنْ كِبَارِ الْأَوْلِيَاءِ؟ فَعَلَامَةُ كَوْنِ الرَّجُلِ وَلِيًّا أَنْ تَكُونَ جَمِيعُ أَحْوَالِهِ عَوَاقِفَةً لِلْسُّنَّةِ وَالشَّرِيعَةِ.

١٧ - مسألة: رُفِعَ بِنَاءُ قُبُورِ الْأَوْلِيَاءِ فَوْقَ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ وَبِنَاءُ السَّقْفِ عَلَيْهَا لَا يَجُوزُ.

فائدة: لَا يَجُوزُ الْبِنَاءُ عَلَى الْقُبُورِ كَمَا هُوَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ، فَبِنَاءُ السَّقْفِ وَرُفْعُ بِنَائِهِ فَوْقَ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ لَا يَجُوزُ.

١٨ - مسألة: يَظْهَرُ مِنْ بَعْضِ الْأَوْلِيَاءِ التَّصَرُّفَاتُ وَالْحَوَارِقُ بَعْدَ وَفَاتِهِمْ. لَمْ يَنْقَطِعْ قُرْصُ أَهْلِ اللَّهِ بَعْدَ الْإِتِّفَاقِ مِنَ الدُّلْيَا، بَلْ لَا تَزَالُ السَّلْسَلَةُ الرُّوحَانِيَّةُ فَلَا تَنْقُضُ ظُهُورُ التَّصَرُّفَاتِ وَالْحَوَارِقِ مِنْ بَعْضِ الْكَامِلِينَ بَعْدَ وَفَاتِهِمْ.

١٩ - مسألة: إِنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَضِيَ بِأَمْرٍ يَخَالِفُ الشَّرِيعَةَ فَلَا عِبْرَةَ بِهَذَا الْمَنَامِ.

فائدة: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي». قَالَ الْمُجْتَمِدُ وَهُوَ يَشْرَحُ هَذَا الْحَدِيثَ: إِنَّهُ حَدِيثٌ صَحِيحٌ فَلَا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِصُورَتِهِ الَّتِي هُوَ مَوْجُودٌ بِهَا فِي الْعَدِينَةِ الْمَنُورَةِ، وَلَكِنْ يُمَكِّنُ أَنْ يُرَى الشَّيْطَانُ صُورَةً أُخْرَى وَيُؤَسِّسُ فِي الْقَلْبِ أَنَّكَ تَرَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَمَنْ يَحَقِّقْ أَنَّهُ رَأَى تِلْكَ الصُّورَةَ الْحَقِيقِيَّةَ أَوْ غَيْرَهَا؟ فَالْفَارِقُ لَنَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ هُوَ الشَّرِيعَةُ وَالسُّنَّةُ، وَإِنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ وَلِيًّا يَأْمُرُ بِمَا يَخَالِفُ الشَّرْعَ فَلَا حُجَّةَ فِي ذَلِكَ. بَعْضُ النَّاسِ يَزَوُّنَ فِي الْمَنَامِ أَنْ أَحَدًا مِنْ آبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ يَأْمُرُهُ بِشَيْءٍ يَخَالِفُ الشَّرِيعَةَ فَيَقْعُدُونَ فِي أُمُورٍ ضَدَّ الشَّرِيعَةِ. اسْتَغْفِرُ اللَّهَ هَذَا جَهْلٌ كُلُّهُ أَنْ يُجْعَلَ الَّذِينَ الْقَرِيبُ أَذَوْنَ وَأَهْوَنَ مِنَ الرُّوْيَا.

٢٠ - مسألة: اُعْتَمَالَ لَا يَجُوزُ مُبَاشَرَتُهَا بِالْقُوَى الظَّاهِرِيَّةِ لَا يَجُوزُ مُبَاشَرَتُهَا بِالْقُوَى الْبَاطِنِيَّةِ.

فائدة : العمل الذي لم تُبْخه الشريعة لا يجوز بالقوى الظاهرة ولا بالقوى الباطنة . يقال ذلك أن يُدعى شخص توجهاته على شخص ويستخره لأمر مَخْلَقٍ للشريعة ، فهذا لا يجوز ، وكان يكون له عداوة لشخص فلا يجوز أن يحسنه بالتصرف الباطني .

٢١ - مسألة : إن اتفق صدور معصية من ولي لم يخل بولايته وكرامته إذا لم يصير عليها .

فائدة : صدور معصية اتفاقاً مقتضى البشرية ، ولكن الكاملين يتوبون بعد مثل هذه المعصية توبة يتألون أجراً لا يتأله العامة على الأعمال الصالحة ، صدور المعصية من الأولياء ممكن ، ولكن لا يصحرون على الذنوب لأنه دأب الفساق .

٢٢ - مسألة : ولذا الولي بدون الأعمال لا يصير شيخاً .

فائدة : كما لا يصير ولذا الطبيب طبيباً ما لم يتعلم فن الطب ، كذلك لا يصير ولذا الولي ولياً ما لم يحصل على مقامات الولاية بالتقوى ، والتركيب مناط الولاية لدى الجهال الغفلة والشجرة ، فقد أصبح الفساق الفجار ذوو الأعمال السيئة مُزبدي مبات الوف من الناس في الروحانية من أجل آبائهم وأجدادهم ، مع أنهم لم يعرفوا راء الروحانية وهؤلاء يصدق عليهم قوله تعالى : **﴿ قُلْ مَنْ يَمْلِكُ أَنْ يَنْفَعَهُمْ إِنْ هُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾** (مريم : ١٥٩) .

إذما غفلهم إضاءة الثيران في الأعراس السنوية أو جمع الجموع وتوزيع الحلويات لا يتبعون الشريعة ولا يجدون توفيقاً للتبليغ إلى غيره ، فهذا ضلال كله كما قال قائل :

وجدوا في السمرات مئصب الإرشاد
وقعت في يد الغراب أعشاش العقاب

٢٣ - مسألة: الإخداث في الطريقة كالإخداث في الشريعة في الإثم.

فائدة: يدعة الطريقة كبدعة الشريعة إن رمخ هذا القلب نيسر الوفاة من بدعات المشايخ الجهال.

٢٤ - مسألة: يعطى المقربون ثواب العبادات أكثر من الأبرار.

فائدة: قال النبي ﷺ: «لا تستبوا أصحابي فلو أن أحدا أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه».

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي، جامع الأصول ج ٨

ص ٥٥٢]

فثبت أن الولي مهما تقدم في القرب يزاد أجر عبادته، وأيضاً يؤخذون فوق ما يؤخذ الأبرار، ولذلك قيل: خستات الأبرار سيئات المقربين.

الباب التاسع

دروس التصوف

زينة وجمال الشريعة المحمدية :

كَانَ سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، مُحَمَّدٌ الْمُصْطَفَى أَحْمَدُ الْمُجْتَبَى ﷺ
خَاتَمَ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ . وَالْأُمَّةُ الْمَحْمُودَةُ - عَلَى نَبِيِّهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -
أَخْرَجَتْ أُمَّةً ، وَدِينُ الْإِسْلَامِ أَخْرَجَ دِينَ فِي الدُّنْيَا . أَنْزَلَتْ أَحْكَامَ الشَّرِيعَةِ
الْمَحْمُودَةِ - عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - لِيُعْمَلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ،
فَذَكَرَ أَهَمِّيَّةَ بَعْضِ الْأَحْكَامِ وَعَيْنَ وَسَائِلِهَا .

وَيَغْضُ الْأَحْكَامَ ذَكَرَ أَهَمِّيَّتَهَا وَلَمْ يَحْذَرْ وَسَائِلَهَا وَذَرَائِعَهَا .
وَالْحِكْمَةُ فِي تَرْكِ تَحْدِيدِ الذَّرَائِعِ وَالْوَسَائِلِ أَنْ يَتَقَى هَذَا الدِّينُ حَيًّا يُمَكِّنُ
الْعَمَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَأَنْ لَا يَقَالَ : إِنَّ هَذَا الدِّينَ خَائِدٌ غَيْرُ صَالِحٍ
لِمُقْتَضَيَاتِ الْأَوْضَاعِ الْمُبْتَدِلَةِ ، وَأَنْ لَا يُقْبَدَ فِي حُدُودِ الْمَسَاجِدِ وَالْمُعَايِدِ
كَالْمَسِيحِيَّةِ الْغَيْرِ الْمُمَكِّنِ الْعَمَلَ بِهَا ، فَتَعَيَّنَ الْمَقَاصِدُ وَالْتَّوَسُّعُ فِي تَحْقِيرِ
الْوَسَائِلِ يَدُلُّ عَلَى جَمَالِ الشَّرِيعَةِ الْمَحْمُودَةِ .

ذَكَرَ بَعْضَ الْأَمَثِلَةِ :

الْمِثَالُ الْأَوَّلُ : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ رَأَيْدُوا إِلَهُكُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ
رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال : ٦٠] .

أَمَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِإِعْدَادِ مَا يُسْتَطَاعُ مِنْ قُوَّةٍ وَأَشِيرَ بِذِكْرِ رِبَاطِ
الْخَيْلِ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ آلَاتُ الْجِهَادِ ، وَلَمْ يُعَيَّنْ تَفْصِيلاً أُخَرَ ، بَلْ قَدْ صَرَّحَ

بالمقصود بأن تجتمعوا من القوة ما يرهب بها عدو الله وعدوكم - يؤيد العقل السليم أن العدو لا يرهب اليوم باقتناء الحنبل ويجمع السيوف والسنان والرماح، بل لا بد من إعداد الطائرات والبواخر والصناريخ والقتال الذرية، فثبت أن الشرع عين المقصود ههنا، وأزحى العنان لاختيار الوسائل والدرايع حسب متطلبات وقت الحاجة.

المسألة الثاني: قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

[الحجر: ٩]

فحفظ القرآن الكريم وإشاعته فريضة محكمة وهامة، ولكن لم يبين لنا رسول الله ﷺ أن اختاروا طريق كذا وكذا حتى وقعت حرب يمامة في عهد الصديق رضي الله تعالى عنه واستشهد أربعمائة عترة كبير من الصحابة من حفاظ القرآن الكريم، فبدأ لعمر رضي الله عنه أن يكون القرآن الكريم محفوظاً في الصحائف كما هو محفوظ في الصدور، فقدم أمان خليفة رسول الله ﷺ اقتراح إعداد نسخة رسمية للقرآن الكريم، فتأمل الصديق رضي الله عنه في بداية الأمر في قبول هذا الاقتراح، وقال: كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فلم يزل عمر يراجع حتى شرح الله صدر أبي بكر لذلك، فأقام لجنة تحت إشراف زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، فجمع آيات القرآن الكريم التي كانت مكتوبة على الأحجار والجلود والياب والورق الأشجار.

قال ابن كثير: قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل، لا تنهماك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتنبع القرآن فاجمعه إلى أن قال... فتبع القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال.

[فضائل القرآن مع تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٩٣١]

فتم أمر جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق رضي الله

عنه، وتقدم عثمان رضي الله عنه خطوة فاعداً أوبع صوب لذلك المصحف وأرسلها إلى بلاد مختلفة. يوجد منها مخطوطة في ناشقند، وأخرى في مشخف إستانبول إلى اليوم، وأيضاً لم يكن يرسم في المصحف الضمة والفتحة والكسرة والتشديد وأمثالها في عهد الصحابة، وكانت لا تُكتب الإعجام على الياء والياء وهي اليوم لازمة. فعلم أنه عيّن هدف جفّظ القرآن ونشرو. وأبشع رعاية متطلبات العُصير لاختيار الوسائل والذرائع، وفوض هذا الأمر إلى رأي العلماء من هذه الأمة.

المثال الثالث: قال النبي ﷺ: **«طلب العلم فريضة على كل مسلم»**.

شرح السنة ج ١ ص ٢٩٠

ذُكر في الحديث الشريف ضرورة تحصيل العلم الديني، ولكن كيف يحصل ولم يُذكر لها تفصيلات. دون العلماء المحدثون من أسماء الرجال وجمعوا من الأحاديث بأسانيدها. ما كان للصحابة علم بأسماء الصحاح الستة لأنه لم يكن لها وجود في ذلك الوقت ولا يمكن اليوم تعلم الأحاديث بدونها. رتب العلماء اليوم منهجاً خاصاً (وهو المسمى في ديارنا بالدرس النظامي) لتحصيل العلم مراعاة للأوضاع اليومية، فلا بد لكل من يريد تعلم القرآن والحديث من أخذ فنون الصرف والنحو، فتبين أنه قد أُخبر بأهمية تحصيل العلم، ولكن وُضِع عبء اختيار الوسائل والذرائع على أكتاف علماء الأمة، والحمد لله، إن علماء هذه الأمة آدوا هذه الفريضة حتى أدائها.

جئت إلى المقصود:

تبين من هذه الأمثلة كالتها المضي أن الشريعة المطهرة بيّنت أهمية بعض الأحكام بدون تعيين أسبابها ووسائلها، وهو دليل كمال

الشريعة المضطغوية. وننظر الآن إلى طريقة الذكر والسلوك من هذا الجانب. قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ».

[صحيح مسلم ج ٣ ص ١٢٢٠ طبع بيروت]

فَعَلِمَ أَنْ مَبْنَى صَلَاحِ الْإِنْسَانِ عَلَى صَلَاحِ قَلْبِهِ، وَلِهَذَا لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى صُورَةِ الْإِنْسَانِ وَشَكْلِهِ، وَلَا إِلَى مَالِهِ وَثَرَوَتِهِ، بَلْ إِلَى قَلْبِهِ وَأَعْمَالِهِ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ».

[شرح السنة ج ١٤ ص ٣٤١]

وَنَشَأُ هُنَا سُؤَالَ أَنَّهُ كَيْفَ يُمَكِّنُ تَحْصِيلَ صِفَاتِ الْقَلْبِ وَسَلَامَتِهِ؟ فَبَيَّنَ طَرِيقَةَ النَّبِيِّ ﷺ. عَنْ أَبِي عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ صِفَاتٌ وَإِنَّ صِفَاتَ الْقُلُوبِ ذَكَرُ اللَّهِ».

[رواه البيهقي: الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٣٩٦]

فَتَبَيَّنَ مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ شَخْصٍ تَحْصِيلُ قَلْبٍ سَلِيمٍ، فَكَانَهُ حُدُودَ الْمَقْصُودِ وَأَرْشَدَ إِلَى الْوَسَائِلِ وَبِأَنَّهَا تَحْصُلُ بِذِكْرِ اللَّهِ فَقَطْ. وَلَمْ يَذْكُرْ لَهَا تَفْصِيْلَاتٍ. إِنَّ أَيْ ذِكْرٍ يَنْفَعُ لِلخَلَاصِ مِنَ الْأَمْرَاضِ الْقَلْبِيَّةِ مِنَ الْكِبَرِ وَالْجُرْحِ وَالْبُخْلِ وَالْعَجَبِ وَالْحَسَدِ فَذَكَرَ بِالْإِجْمَالِ أَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ شِفَاءُ الْقُلُوبِ وَوَضَعَ عِمَّةَ التَّفْصِيْلَاتِ عَلَى كَوَاهِلِ أَهْلِ الذِّكْرِ مِنَ الْأُمَّةِ حَتَّى يَتَعَلَّمُوا الذِّكْرَ مَرَاعِينَ لَطَائِفِ الطَّالِبِينَ وَمُقْتَضِيَاتِ كَيْفِيَاتِهِمْ، فَالْمُشَافِخُ الْعَظَامُ يَصِفُونَ لِوَاحِدِ صِفَةِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى نَظَرًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ [الاعراب: ٢١٥] وَيُلْقُونَ لِآخَرِ بِإِكْتِسَارِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ نَظَرًا لِقَوْلِهِ ﷺ: «الْفَضْلُ الذِّكْرُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» وَيَعْلَمُونَ شَخْصًا الذِّكْرَ الْقَلْبِيَّ، أَعْنِي الْمَرَاقِبَةَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ وَيَصِفُونَ لِآخَرِ الذِّكْرَ اللَّسَانِي لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَدُّوا أَلْفَهُمْ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الاعراب: ٢١٥] فَتَبَيَّنَتْ

أَنْ أَعْمَالَ أَهْلِ الذِّكْرِ وَأَشْغَالَهُمْ أَيْ دروس التصوف كَمَا هِيَ الدُّرُوسُ
النِّظَامِيَّةُ ذَرِيعَةٌ وَسِيلَةٌ لِنَيْلِ الْمَقْصِدِ . وَفِيمَا بَلَّيْ تَأْيِيدُ مَا قُلْنَا بِذِكْرِ بَعْضِ
نُصُوصِ السَّلَفِ الصَّالِحِينَ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى .

نصوص من كلام السلف الصالحين :

قال الشيخ مولانا رشيد أحمد الجنجوهي رحمه الله تعالى في
مكتوب له إلى سالك : الْمُقْصُودُ مِنْ جَمِيعِ الْأَشْغَالِ وَالْمَطْلُوبُ مِنْ جَمِيعِ
الْمُرَاقِبَاتِ وَمُلْتَمَاسِهَا ، هُوَ حُضُورُ الْقَلْبِ بِلا كُتُفٍ الَّذِي يَسِّرُهُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ
وَتَعَالَى لَكَ . كَانَتْ نِسْبَةُ الصَّخَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هِيَ هَذِهِ الْحُضُورُ .

[مكتيب رشيد ص ٤٥]

وقال الشيخ الشاه اسماعيل الشهيد رحمه الله تعالى في كتابه
إيضاح الحق الصريح : أَشْغَالُ الصُّوفِيَّةِ نَافِعَةٌ كَالدَّوَاءِ وَالْعِلَاجِ فَيَسْتَفِيدُ بِهَا
وَقَدْ الْحَاجَّةُ ثُمَّ يَسْتَغْلُ فِي أَعْمَالِهِ .

[إيضاح الحق الصريح ص ٧٨]

قال الإمام الرباني مجدد الألف الثاني رحمه الله تعالى في
مكتوباته : لَيْسَ الْمَقْدَفُ مِنْ قِطْعِ مَنَازِلِ الطَّرِيقَةِ وَالْحَقِيقَةِ سِوَى نَيْلِ
الْإِخْلَاصِ ، وَبِالْإِخْلَاصِ يَحْضُلُ مَقَامُ الرِّضَا . يَطْلُنُ الْقَاصِرُونَ الْأَحْوَالِ
وَالْمَرَاغِبِينَ مَقْصُودًا وَالْمُشَاهِدَاتِ وَالتَّجَلِّيَاتِ مَطْلُوبًا ، وَهَؤُلَاءِ مَخْرُومُونَ
مِنْ كَمَالَاتِ الشَّرِيعَةِ . لَا شَكَّ أَنَّ حُصُولَ مَقَامِ الْإِخْلَاصِ وَالْوُضُوءِ إِلَى
مَقَامِ الرِّضَا يَكُونُ بَعْدَ قَطْعِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ وَالْمَوَاجِبِ ، فَمَرَاتِبُهَا كَمُسَاعِدِ
الْمَقْصُودِ الْحَقِيقِيِّ .

[المكتوبات ج ١ مكتوب ثالث وسادس]

فَتَبَيَّنَتْ هَذِهِ الْحَقِيقَةُ أَنَّ أَعْمَالَ وَأَشْغَالَ الْمَشَايِخِ وَسِيلَةٌ وَذَرِيعَةٌ لِنَيْلِ
مَقَامِ الْقَلْبِ ، وَلِلذَلِكَ يَعْدِلُهَا الْمَشَايِخُ نَظَرًا لِمُقْتَضِيَّاتِ الْوَقْتِ وَالزَّمَنِ ،

وقال الشَّاهُ إسماعيلُ الشَّهيدُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: تَخْتَلِفُ أَشْغَالُ كُلِّ قَرْيَةٍ وَوَقْتٍ، وَلِهَذَا لَا يَزَالُ مُحَقِّقُونَ كُلَّ طَرِيقٍ يَحَاوِلُونَ لِتَجْدِيدِ الْأَشْغَالِ.

[صراط مستقيم ص ١٧]

فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَدَّعِي أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ نَيْلُ صَفَاءِ الْقَلْبِ بِدُونِ هَذِهِ الْأَوْرَادِ. وَقَالَ الشَّاهُ وَلِيُّ اللهِ الْمُحَدَّثِ الدَّهْلَوِيِّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: يَغْلِبُ عَلَى ظَنِّي أَنَّ الصُّحَابَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ كَانُوا يَنَالُونَ النُّسْبَةَ بِطَرِيقِ أُخْرَى أَيْضاً، كَالْمُوَظَّيَةِ عَلَى الصَّلَاةِ وَالتَّسْبِيحَاتِ بِشُرُوطِهَا وَالْمُذَاوِقَةِ عَلَى الطُّهَارَةِ وَذِكْرِ الْمَوْتِ وَاسْتِحْضَارِ الثَّوَابِ وَالْعَذَابِ، إِذْ يَحْصُلُ بِهِذِهِ الْأُمُورِ الْإِنْفِطَاعُ عَنِ اللَّذَاتِ الْمَادِيَّةِ.

[القول الجميل]

أَقُولُ: وَإِنْ حَصَلَ لِأَحَدٍ صَفَاءُ الْقَلْبِ وَكَثْفِيَّةٌ: «كَأَنَّكَ تَرَاهُ» بِطَرِيقِ آخَرَ يَرَى الْأَعْمَالِ وَالْأَشْغَالِ الْمَعْرُوفَةِ، فَقَدْ حَصَلَ الْمَقْصُودُ. هَؤُلَاءِ مُسْتَحَقُّونَ لِلتَّشْرِيفِ وَالتَّهْنِئَةِ وَإِنْ لَمْ تُوجَدْ هَذِهِ الْكَيْفِيَّةُ الْقَلْبِيَّةُ وَالِاسْتِحْضَارُ، وَيَصْرَفُهُ الْوَسْوَاسُ الدُّنْيَوِيُّ إِلَيْهَا فِي الصَّلَاةِ، وَلَا تَنْتَهِي بِالطَّرْدِ، وَتَرْتَفِعُ الْأَبْصَارُ ثُلُقَاتِيًّا إِلَى غَيْرِ الْمُحَرَّمِ وَهُوَ يَسْتَبِي فِي الطَّرِيقِ وَتَهْجُمُ عَلَى الْقَلْبِ الْوَسْوَاسُ الشَّيْطَانِيُّ الشَّهْوَانِيُّ، وَيَنْشَأُ فِي النَّفْسِ الشَّرُّورُ بِمَذْحِ النَّاسِ وَيُدْلِي بِبَيَانٍ كَذِبٍ لِإِخْفَاءِ مَخَاصِيهِ وَشَرِّ ذُنُوبِهِ مِنَ النَّاسِ؛ فَهَذِهِ كُلُّهَا أَمَاتٌ بَيْنَاتٌ لِلْأَمْرَاضِ الْبَاطِلَةِ الْمُهْلِكَةِ، فَيَجِبُ عَلَيْهِ عِلَاجُ هَذِهِ الْأَمْرَاضِ الْقَلْبِيَّةِ تَحْتَ رِعَايَةِ الْمَشَائِخِ الْعِظَامِ، وَلَا مَقَرَّ مِنْهُ وَيُدْعَى أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الْقَلْبَ السَّلِيمَ هُوَ سَبَبُ النُّجَاةِ يَوْمَ الْحَشْرِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ نَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٨٨، ١٨٩].

اعْلَمْ أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ دُرُوسِ النُّصُوفِ نَيْلُ الْقَلْبِ السَّلِيمِ وَالْقَلْبِ الْمُنِيبِ، حَتَّى تَكُونَ حَالَةُ السَّالِكِ الظَّاهِرِيَّةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ وَبَسِيرَتِهِ وَأَخْلَاقِهِ، أَيْ اسْتِخْدَامُ الْأَعْضَاءِ وَالْجَوَارِحِ مُطَابَقاً تَمَاماً بِ: (تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللهِ).

قال الإمام الغزالي في كتابه المُنْقِذُ مِنَ الضَّلَالِ: (عَلِمْتُ يَقِينًا أَنَّ الصُّوفِيَّةَ هُمْ السَّالِكُونَ لَطَرِيقِ اللَّهِ تَعَالَى خَاصَّةً، وَأَنَّ سِيرَتَهُمْ أَحْسَنُ السَّيْرِ، وَطَرِيقُهُمْ أَضْوَبُ الطَّرِيقِ، وَأَخْلَاقُهُمْ أَزْكَى الْأَخْلَاقِ، بَلْ لَوْ جُمِعَ عَقْلُ الْعُقَلَاءِ وَحِكْمَةُ الْحُكَمَاءِ وَعِلْمُ الْوَاقِفِينَ عَلَى أَسْرَارِ الشَّرْعِ مِنَ الْعُلَمَاءِ لَيُغَيِّرُوا شَيْئًا مِنْ سِيرَتِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ، وَيَبْدُلُوهُ بِمَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ، لَمْ يَجِدُوا إِلَيْهِ سَبِيلًا، فَإِنَّ جَمِيعَ حَرَكَاتِهِمْ وَسُكُنَاتِهِمْ فِي ظَاهِرِهِمْ وَبَاطِنِهِمْ مَفْتَبَسَةٌ مِنْ نُورٍ بِشَكَاةِ النُّبُوَّةِ وَلَيْسَ وَرَاءَ نُورِ النُّبُوَّةِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ نُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ.

[المُنْقِذُ مِنَ الضَّلَالِ ص ٤٩ - ٥٠]

دَلَالَةُ الْأَخْرَابِ وَالْوُظَائِفِ :

رَتَّبَ مُشَاطِخُ الطَّرِيقَةِ الْأَوْرَادَ وَالْوُظَائِفِ فِي صَوْرِ الشَّرَافِ وَالْحَدِيثِ هِيَ لِلْمُبْتَدِئِ كَدَوَاءٌ، وَلِلْمُتَّبِعِي كَغَذَاءٌ، لَوْ دَاوَمَ الْإِنْسَانُ عَلَيْهَا عِنْدَهُ أَيَّامَ نَحْتٍ وَرَعَايَةِ شَيْخٍ كَامِلٍ يَجِدُ فِي حَيَاتِهِ انْقِلَابًا إِسْلَامِيًّا وَثَوْرَةً إِمَامِيَّةً وَفُرَاتِيَّةً. وَتَدْخُلُ الْمَحَبَّةُ الْإِلَهِيَّةُ فِي غُضْبٍ غُضْبٍ، وَيَتَغَيَّرُ رُؤْيَاهُ عَيْنٍ وَنُطْقُ لِسَانٍ وَمَشْيُ قَدَمٍ، وَيَشْعُرُ السَّالِكُ كَأَنَّمَا كَانَ عَلَيْهِ غِلَافٌ يُفَاقِي وَقَدْ زَالَ، وَيَبْرَزُ مِنَ الدَّاخِلِ إِنْسَانٌ صَادِقٌ وَخَالِصٌ. كَمَا أَنَّ النُّبُوَّةَ كَانَتْ كَامِلَةً فِي النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَادِ».

[الجامع الصغير ج ٢ ص ٢٩٦]

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ: إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَأَبِي مُنْجِدٍ فِي طَرِيقِهِ.

[دَلَالَةُ النُّبُوَّةِ ج ١ ص ٣٨٩]

وَلَكِنِ اخْتِصَجَ لِأَهْلِهَاءِ فِي الْعَالَمِ الظَّاهِرِ إِلَى الْمَخْلُوقَةِ وَالذَّخَرِ، (وَحَيَاةِ

غار جزء قليل واضح على ذلك). كذلك الولاية تكون كامنة في الولي ولكن تحتاج للظهور إلى التقوى والطهارة والمواظبة على الأوزاد. وقد كشف عن هذا السر الإمام الرضائي مجدد الألف الثاني بقوله: (كل إنسان ولي بالقوة والحاجة إلى الأغمال ليكون ولياً بالغفل، فكان كل إنسان وضع فيه استعداداً لو استخذه لأصبح ولياً).

أُنشد الشاه بهك خليفة الشاه أبي المعالي آياتاً ومغناها: (ليس أحد جائعاً ساعياً بل في حقيقة كل إنسان جواهر ولآل ولا يعرفون فتح عقده، فيمشون مغلسين فقراء). كالبدن يكون فيه استعداد أن يكون شجرة وإن تيسر لذلك البذر التربة تحت رعاية بستاني في أرض خصبة يصير شجرة مشرة، كذلك السالك لو اشتغل بالأخلاق الحسنة لأوراد تحت ظل شيخ كامل أياماً، تنفتح زهور الأخلاق الحسنة في شخصيته وتصور شجرة زجائه مشرة. وهذه الوصفة جزيها ملايين الناس في الدنيا واستفادوا بها. كما أن صيدلياً يقول: إن تأكلوا السكر تجذوه خلوا، كذلك الشيخ الكامل عندما يلقن بالأوزاد يكون على ثقة من أنه يستفيد السالك يقيناً، ويكون تحت قدمه صخر، نعم لو وقع شخص في يد شيخ نافيص، أو يكون الشيخ كاملاً، ولكن لا يواظب السالك على الأوزاد، فهو خارج عن المنهج، وهو مثل مريض يأخذ الوصفة من طبيب ذائع الصيت، ويمشي والوصفة في جيبه ولا يتناولها ويقول بعد أيام للطبيب: لم أفق، فيسأل الطبيب: قل تناولت الدواء؟ فيجيب المريض: نعم وضعتها في جيب. فيقول الطبيب: يا شقي! لو وضعتها في بطنك لكان مفيداً.

ومن جمال هذه الأوراد أنها سهلة في العمل وبخصل بها التزكية والإحسان، ثم تيسر العمل بالشرع كله، وهذا القول ثابت ككبريات أن مجموع (الاثنين والاثنين أربعة). فمن لم يوقن فليجرب يعرف حقيقة الحال.

وإليك تفصيل هذه الأوزار والأعمال .

١ - الذكر : ويسمى (الوقوف القلبي) ذكرُ الله دواء القلوب وشفاء من الأمراض الباطنية . قال الإمام ابن قيم رحمه الله تعالى :

ذكرُ الله للقلب كالماء للسمك يجد به السالك بشارة . ﴿ **الذكر** ﴾

﴿ **الذكر** ﴾ البقرة : ٢١٥٦ و : « فَإِنْ ذَكَّرْتَنِي فِي نَفْسِي ، ذَكَّرْتَهُ فِي نَفْسِي » ، وسعادة « أنا جليست من ذكركني » . عذ الخافض ابن القيم رحمه الله تعالى في (الوايل الصيب) للذكر مائة فائدة .

الذكر نوعان : لساني وقلبي . قال شاعر :

لساني وقلبي يفرحان بذكرها وما السر إلا قلبه ولسانه

ثبت بالأحاديث النبوية أن الذكر القلبي أفضل على الذكر اللساني

سبعين مرة . وقصّل الذكر القلبي على الذكر اللساني عقلاً بوجوه آية :

يمكن الذكر القلبي كل وقت ، ولا يمكن الذكر اللساني كل وقت ،

فالسالك عندما يأكل الطعام ، أو يلقي محاضرة ، أو يجلس على المشجر

يعقد مع الزبون لا يستطيع أن يفكر بلسانه في وقت واحد عملين ؛ فهو

إما أن يتكلم ، وإما أن يذكّر الله تعالى ، إذ يمكن في وقت واحد عمل

واحد ، بينما يمكن الذكر القلبي كل ساعة وأن يستلقياً وجالساً قائماً

وماشياً .

يتحرك اللسان عند الذكر اللساني ، وتهتز الشفة فيخاف على الذاكر

الزياء . بينما الذكر القلبي يعلمه إما الذاكر وإما المدكّور ، والذكر القلبي

لا يسمعه الملائكة بل يجدون ريحاً طيبة ، وتبين الحقيقة يوم القيامة أن

ذلك الطيب طيب ذكر الله تعالى .

ينفر :

يكون بين العائقي والمعشوق سر كرام كائبون ليس لهم به خبر

ولهذا يسمى الذكر القلبى ذكراً خفياً.

إنَّ مَحَلَّ الذَّكْرِ فِي الْجِسْمِ الْإِنْسَانِي هُوَ الْقَلْبُ، وَأَمَّا اللِّسَانُ فَهُوَ آلَةُ الْإِظْهَارِ فَقَطُّ لَمْ تَقُلْ أَمْ لَوْلَاهَا قَطُّ: (يا بنيَّ إِنَّ لِسَانِي يَذْكُرُكَ كَثِيرًا)، بَلْ تَقُولُ دَائِمًا: (إِنَّ قَلْبِي يَذْكُرُكَ كَثِيرًا) فَعَلِمَ أَنَّ مَحَلَّ الذَّكْرِ هُوَ الْقَلْبُ، فَتَبَيَّنَ بِالذَّلَائِلِ الْعَقْلِيَّةِ أَنَّ الذَّكْرَ الْقَلْبِيَّ أَفْضَلُ مِنَ الذَّكْرِ الْإِنْسَانِي، قَالَ شَاعِرٌ مَا مَعْنَاهُ:

كُنْ خَبِيرًا بِالْبَاطِنِ وَأَجْنِبِيًّا عَنِ الظَّاهِرِ
هَذَا أَحْسَنُ طَرِيقِي وَفِي الدُّنْيَا نَادِرُ

الْمَشَايخُ يَسْمَوْنَ هَذَا الذَّكْرَ الْقَلْبِيَّ بِالْوَقُوفِ الْقَلْبِيَّ. أَمْرٌ بِهِ غَيْرُ مَرَّةٍ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ.

أَدَلَّةٌ مِنَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الاحزاب: ٤١] ﴿أَذْكُرُوا﴾ صِبْغَةٌ أَمْرٌ لِلْمَجْتَمَاعَةِ. فَأَمَرَ الْمُؤْمِنُونَ بِالذَّكْرِ الْكَثِيرِ، وَيَعْنِي ذَلِكَ وَعْدَ الذَّاكِرِينَ كَثِيرًا بِالْمَغْفِرَةِ وَالْجَنَّةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الاحزاب: ٤٥].

وَيَنْشَأُ مِنْهَا سُؤَالٌ وَهُوَ: مَا مَعْنَى الذَّكْرِ الْكَثِيرِ؟ هَلْ يَذْكُرُونَ قَلِيلًا بَعْدَ كُلِّ صَلَاةٍ، أَوْ يَذْكُرُونَ صَبَاحًا وَمَسَاءً أَوْ يَذْكُرُونَ حَتَّى يَتَغَيَّبُوا، فَمَاذَا يَفْعَلُونَ؟ قَالَ مُجَاهِدٌ تَحْتَ هَذِهِ الْآيَةِ: الذَّكْرُ الْكَثِيرُ أَنْ لَا يَنْسَاهُ بِحَالٍ، مَا مَعْنَى أَنْ لَا يَنْسَاهُ بِحَالٍ؟

الْإِنْسَانُ لَهُ أَحْوَالٌ ثَلَاثَةٌ: (مَا أَنْ يَكُونَ قَائِمًا أَوْ قَاعِدًا أَوْ مُضْطَجِعًا. وَالْمُرَادُ بِالذَّكْرِ كُلِّ وَقْتٍ أَنْ يَذْكُرَ اللَّهَ تَعَالَى قَائِمًا وَقَاعِدًا وَمُضْطَجِعًا، وَهَذِهِ عَلَامَةٌ أُولَى الْأَبَابِ قَالَ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَمُسْتَوْدًا وَعَلَى جُثُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١].

ويؤيده ما رَوَى السيوطي عنه قال: لَا يُكْتَسَبُ الرَّجُلُ مِنَ الذَّاكِرِينَ
اللَّهُ كَثِيرًا حَتَّى يَذْكُرَ اللَّهَ فَائِدًا وَفَاعِدًا وَمُضْطَجِعًا.

[الدر المنثور ج ٦ ص ٦٠٩]

قال الصَّاوِي تحت هذه الآية: وَاعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَفْرِضْ
فَرِيضَةً عَلَى عِبَادِهِ إِلَّا جَعَلَ لَهَا حَدًّا مَعْلُومًا، وَعَذَرُ أَهْلِهَا فِي حَالِ الْعَذْرِ
غَيْرِ الذَّكْرِ فَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ حَدًّا مَعْلُومًا وَلَمْ يَعْزُزْ أَحَدًا فِي تَرْكِهِ إِلَّا مَنْ كَانَ
مَعْلُوبًا عَلَى عَقْلِهِ، وَلِذَا أَمَرَهُمْ فِي جَمِيعِ الْأَخْوَالِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَفُجُودًا وَعَلَى جُودِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١] ففِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ
الذَّكْرَ أَمْرُهُ عَظِيمٌ وَفَضْلُهُ جَسِيمٌ.

قال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا
وَفُجُودًا وَعَلَى جُودِهِمْ﴾ أَيُّ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَالسَّفَرِ وَالْحَضَرِ
وَالْعَنَى وَالْفَقْرِ، وَالصَّنْحَةِ وَالْمَرَضِ، وَالسَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ. وَمِثْلُ هَذَا الذَّكْرُ لَا
يَكُونُ إِلَّا قَلْبِيًّا أَوْ خَفِيًّا يُمْكِنُ فِي كُلِّ حَالٍ، فَعَلِمَ أَنَّ الذَّكْرَ الْكَثِيرَ الْمَأْمُورَ
بِهِ فِي الْقُرْآنِ هُوَ الذَّكْرُ الْقَلْبِيُّ، وَالذَّكْرُ الْخَفِيُّ الْمَوْسُومُ فِي اصْطِلَاحِ
الصُّوفِيَّةِ بِالْوُقُوفِ الْقَلْبِيِّ، وَأَمَرَ بِهِ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالذَّكْرَ
رَبَّكَ صَكِيرًا وَسَكِرًا بِالْعَنَى وَالْإِنْكَارِ﴾ [آل عمران: ١٤١].

فَبَيَّنَتْ أَنَّ الْوُقُوفَ الْقَلْبِيَّ شَيْءٌ أَمَرَ بِهِ فِي الْقُرْآنِ، فَالسَّعِيدُ مَنْ يَقْضِي
أَوْقَاتَهُ لِتَعْلِمِهِ تَحْتَ إِشْرَاقِ الْمَشَاطِيخِ.

أَدِلَّةٌ مِنَ الْأَحَادِيثِ:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَيُّ الْعِبَادِ أَفْضَلُ
دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا»، قُلْتُ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ! وَمَنِ الْعَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «لَوْ ضَرَبَ بِسَيْفِهِ الْكُفَّارَ
وَالْمُشْرِكِينَ حَتَّى يَنْكَسِرَ وَيَخْضِبَ دَمًا لَكَانَ الذَّاكِرُونَ أَفْضَلَ مِنْهُ دَرَجَةً».

[رواه الترمذي، الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٣٩٦]

ما أبين هذا الحديث في فضل الذكرين كثيراً. تَعَالَوْا نَلْتَمِسِ الْآنَ دَلِيلَهُ مِنْ السُّنَّةِ الثَّبَوِيَّةِ. عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ).

[أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي؛ جامع الأصول ج ٤ ص ٤٧٨]

فكلمة (كل أحيانه) تشهد أن المُرَادَ الذِّكْرُ الْخَفِيُّ والذِّكْرُ الْقَلْبِيُّ، فكانت عادته المباركة ومسته البيضاء الاشتغال بذكر الله تعالى كل وقت، والمشايخ الكرام يمرنون سالكِي الطَّرِيقَةِ بالوقوف القلبِي لأتباعه حتى يُصْبِحَ خَالِ السَّالِكِ مُطَابِقاً لِمَا قِيلَ:

دست بكار دل بهار

ويعناه:

اليدُ بالعمل والقلبُ في الحبيبِ

الوقوفُ القلبِي أن يَلْفِتَ الإنسانُ نَفْسَهُ إِلَى قَلْبِهِ وَيَلْفِتَ قَلْبَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَيَتَوَكَّرُ فِي نَفْسِهِ مُضْطَجِعاً وَجَالِساً، مَائِياً وَرَاجِحاً، إِنَّ قَلْبَهُ يَقُولُ:

اللَّهُ، اللَّهُ، اللَّهُ

وهذا هُوَ مَنَشَأُ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ الْمَذْكُورَةِ؛ فَتَبَيَّنَ أَنَّ تَعْلِيمَ الْوُقُوفِ الْقَلْبِيِّ مُطَابِقٌ تَمَاماً لِلْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ.

٢ - الْفِكْرُ (المراقبة):

الْمُرَاقَبَةُ: مُسْتَقْفَةٌ مِنَ الرُّقِيبِ وَهُوَ الْمُنْتَظَرُ وَالشَّهِيدُ وَالْحَارِسُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ النساء: ٤١. وهي في اصطلاح التَّصَوُّفِ الْجُلُوسُ فِي حُبِّ اللَّهِ تَعَالَى، فَالسَّالِكُ يَجْلِسُ مُرَاقِباً مُنْعَزِلاً عَنِ الدُّنْيَا رَاجِحاً عَنْهَا مُتَوَضِّعاً مُسْتَقْبِلَ الْقَبِيلَةِ مُغْمِضاً عَيْنَيْهِ نَاجِساً رَأْسَهُ، وَيَتَوَكَّرُ قَلِيلاً أَنْ لَا أَرْضَى وَلَا سِمَاءَ، وَلَا إِنْسَانَ وَلَا حَيَوَانَ وَلَا شَيْعَانًا، وَلَا شَيْءَ،

ويفكر أنه تأتيه رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ وتُسْغَلُ قَلْبِي غِيْزُونَ بِهَا ظَلَامَ قَلْبِي وظلمته
ويقول قَلْبِي :

«اللَّهُ، اللَّهُ، اللَّهُ»

لا يَجِبُ قَلْبُ السَّالِكِ إِلَى الذِّكْرِ فِي الْبِدَايَةِ كُلَّمَا يَنْكَسُ رَأْسَهُ تَهَيُّجُ
وَمَنَاسِقُ الدُّنْيَا كَمَا قِيلَ : كُلُّ إِنَاءٍ يَتَرَشَّعُ بِمَا فِيهِ ، مَا أُبَيِّنَ ذَلِيلًا عَلَى صَلَءِ
الْقَلْبِ بِالدُّنْيَا أَنْ يَنْكَسَ الْإِنْسَانُ رَأْسَهُ لِذِكْرِ اللَّهِ فَيَسْبِطُوهُ وَمَنَاسِقُ الدُّنْيَا
وَيَتَّبِعِي لِلسَّالِكِ أَلَّا يَخْزَنَ مِنْهُ بَلْ يُفَكِّرْ ، لَا يَدُّ أَنْ يُفَكِّرَ أَنَّهُ مُخْتَلَجٌ إِلَى
جَهَنَّمَ جَمِيلٌ ، وَمَا أَحْزَانِي لَوْ انْتَقَلَ بِهِذِهِ الْأَفْكَارِ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ يَوْمَ
تُظْهِرُ مَكْنُونَاتِ الصُّدْرِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَحِصْلُ مَا فِي الْقَدُورِ ﴾ (العاديات : ٢١٠) .

وَقَالَ : ﴿ يَمَّ تَلَى الْفَرَّارِ ﴾ [العارق : ١٩] .

وَنَأْتِي مِنَ اللَّهِ رَحْمَةً وَتَدْخُلُ قَلْبَهُ عِنْدَمَا يَجْلِسُ السَّالِكُ وَيُظَنُّ أَنْ
رَحْمَةَ اللَّهِ تَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ مُوَافِقًا لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ
رَبِّهِ : «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي» .

[رواه البخاري ومسلم والترمذي ؛ جامع الأصول ج ٤ ص ٤٧٦]

فَلَوْ هَجَسَتْ فِي قَلْبِهِ أَفْكَارُ الدُّنْيَا جَمِيعِ الْوَقْتِ ، وَذَكَرُ اللَّهُ لِلْمَحْصَةِ
فَقَطُّ لَتَهَجَسَ أَفْكَارُ الدُّنْيَا فِي الْيَوْمِ الثَّانِي أَقْلَ مِنْهُ ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ أَقْلَ
مِنَ الثَّانِي ، حَتَّى يَأْتِيَ زَمَنٌ كُلَّمَا يَخْفِضُ رَأْسَهُ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى وَتَخْرُجُ
الدُّنْيَا اللَّثِيمَةُ مِنْ قَلْبِهِ . قَالَ شَاعِرٌ مَا مَعْنَاهُ :

مَسْوَاجُودَةٌ فِي الْقَلْبِ صُورَةُ الْحَبِيبِ

كُلَّمَا أَخْفِضَ الرَّؤْيَةَ قَلِيلًا أَرَاهَا

يَغْلِبُ الثَّمَاسُ خِلَالَ الْمُرَاقِبَةِ عَلَى بَغْضِ السَّالِكِينَ وَهَذِهِ عَلَامَةٌ
اَلْحِسَابِ الْفَتْبَاضِ وَقَدَامُ الرِّقَى بِدَلَالَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِذْ يَقْتَسِكُمُ السَّمَاسُ ﴾
فَلَا ضَرُورَةَ إِلَى الْحُزَنِ ، السَّالِكُ كَالدَّجَاجَةِ تَجْلِسُ عَلَى الْبَيْضِ وَتُسْجِنُهَا ،

فَالْبَيْضُ الَّذِي يُرَى جَمَادًا فِي الْبِدَايَةِ يَدْخُلُ فِيهِ الزَّوْجُ حَتَّى تَخْرُجَ الْأَفْرَاحُ
تَشْقِيقًا، كَذَلِكَ السَّالِكُ يَبْذُو لَهُ قَلْبُهُ فِي الْبِدَايَةِ كَالْحَجَرِ، وَلَكِنْ
بِالْجُلُوسِ مُزَاقِيًا وَالتَّشْنِيعِينَ يَأْتِي وَقْتُ يَذْكُرُ قَلْبُهُ:

«اللَّهُ، اللَّهُ، اللَّهُ»

وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا الْعَمَلَ مُفِيدٌ بِقَدْرِ مَا يَبْذُو خَفِيفًا بِالدَّوَامِ عَلَى
الْمُرَاقَبَةِ تُضْبِعُ حَالَهُ السَّالِكِ وَفَقَ مَا قِيلَ:

يَلْتَمِسُ الْقَلْبُ مَرَّةً أُخْرَى أَوْقَاتَ نَلِكِ الْفُرْصَةِ

تُجْلِسُ طَوِيلًا ذَاكِرِينَ صُورَةَ الْحَبِيبِ الْعَشِيقِ

وَطَرِيقَةُ الذِّكْرِ هَذِهِ لَيْسَتْ طَرِيقَةُ الْعُشَاقِ، بَلْ هِيَ دَابُّ الْمُحْبُوبِينَ.

الْعُشَاقُ يَضْرَحُونَ وَيَبْكُونَ. وَالْمُحْبُوبُ يَدِيمُ الذِّكْرَ فِي الْقَلْبِ، قَالَ شَاجِرُ

مَا مَعْنَاهُ:

مَنْ يَضْرَحُ مَنْ كَانَ صَادِقًا فِي الْعِشْقِ

عَلَى شِفَاهِهِمْ حَتَمَ السَّكُوتِ وَيَذْكُرُونَ بِالْقُلُوبِ

وَفِي الْقُرْآنِ وَالتَّحْدِيثِ دَلَائِلُ وَاضِحَةٌ عَلَى هَذَا النُّوعِ مِنَ الذِّكْرِ.

دَلَائِلُ مِنَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ نَضْرِبُكَ نَضْرِبًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنْ

الْقَوْلِ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]. قَالَ عُلَمَاءُ التَّفْسِيرِ: مَعْنَى ﴿فِي نَفْسِكَ﴾ أَيْ فِي

قَلْبِكَ.

[انظر كتاب التسهيل لعلوم التنزيل للشيخ الإمام محمد بن أحمد بن

جزري الكلبي المتوفى ٧٩٢ - ج ٢ ص ٦٠]

وَقَدْ أَمَرَ فِيهَا بِالذِّكْرِ إِذْ قَوْلُهُ: ﴿أَذْكُرْ﴾ صِبْغَةُ أَمْرٍ، فَلَوْ اتَّخَذَ

الْمَشَائِخُ الذِّكْرَ وَالْمُرَاقَبَةَ لِهَذِهِ الْآيَةِ، فَهَلْ هَذَا امْتِنَالٌ بِأَمْرٍ أَوْ هُوَ بِدْعَةٌ؟

فَعَلَى الثَّاقِدِينَ عَلَى الذَّاكِرِينَ أَنْ يُفَكِّرُوا بِجَدِّ وَتَوَدُّةٍ.

وَمَنْ قَطَعَ النَّظَرَ عَنْ هَذَا فَمَعْنَى ﴿فِي نَفْسِكَ﴾ (فِي فِكَرِكَ) أَوْ (فِي هَمِّكَ) أَوْ (فِي تَأَمُّلِكَ) وَلَا يَرَادُ بِهِ بِلِسَانِكَ. وَهَذِهِ الْآيَةُ كَبْرُهُانِ مَبِينٍ عَلَى الثَّاقِدِينَ عَلَى الْمُرَاقِبَةِ. قَالَ الْمُفْتِي مُحَمَّدٌ شَفِيعٌ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي مَعَارِفِ الْقُرْآنِ: الْمَرَادُ بِ: تَضَرُّعاً وَخِيفَةً الذِّكْرِ الْقَلْبِيِّ وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ الذِّكْرِ اللِّسَانِيِّ، فَعُلِمَ بِذَلِكَ ثُبُوتُ الذِّكْرِ الْقَلْبِيِّ، كَمَا عَلِمَ تَقَوُّقُ الذِّكْرِ الْقَلْبِيِّ عَلَى الذِّكْرِ اللِّسَانِيِّ.

سَمِعْنَا بَعْضَ الثَّاقِدِينَ يَقُولُونَ: كَيْفَ يَثْبُتُ الذِّكْرِ الْقَلْبِيُّ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؟ فَتَقُولُ: لَا يَجِبُ ثُبُوتُ كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. وَإِلَّا فَلَا حَاجَةَ إِلَى الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ، وَلَكِنَّ الْقُرْآنَ كَافِياً، بَلْ لَا حَاجَةَ إِذَا إِلَى صَاحِبِ الْقُرْآنِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَكِنْ نُزُولُ جَبْرِيلَ بِالْقُرْآنِ كَافِياً. الَّذِينَ يَأْتُمِسُّونَ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَا تَذَرِي مَا ظَنَّهُم بِالْحَدِيثِ الشَّرِيفِ، لَعَلَّهُمْ وَجَدُوا عَدَدَ زَكَاتٍ الصَّلَوَاتِ وَتَفَاصِيلِ أَحْكَامِ الزُّكَاةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَبَقِيَ التَّمَسُّسُ ذَلِيلٌ الْمُرَاقِبَةِ فَقَطْ. وَهَذَا نَقَصٌ. وَتَعَالَوْا إِلَى الْجَوَابِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنِ ذِكْرِنَا﴾ [الكهف: ٢٨].

هَذِهِ الْآيَةُ دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى أَنَّهُ لَا بَجُورَ لَنَا أَنْ نَطِيعَ مَنْ قَلْبُهُ غَافِلٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى. وَفِيهِمْ مَنْهُ أَنْ عَلَيْنَا إِطَاعَةَ مَنْ فِي قَلْبِهِ ذِكْرُ اللَّهِ، وَلَا يُمْكِنُ الْإِنْيَانُ بِذَلِيلٍ أَوْضَحَ مِنْهُ عَلَى الذِّكْرِ الْقَلْبِيِّ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَقَرَّبْ إِلَيْهِ تَبَتُّلاً﴾ [المزمل: ٤٨] فِي هَذِهِ الْآيَةِ صَدَّقْنَا أَمْرًا.

١ - اذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ. التَّكْنَةُ الْمَهْمَةُ هَهُنَا أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ: اذْكُرْ رَبَّكَ، وَكَانَ يَكْفِي ظَاهِراً وَلَكِنْ قَالَ: ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ إِنَّ الرَّبَّ اسْمٌ صِفَةٌ، فَالْمَقْصُودُ هَهُنَا الْأَمْرُ بِذِكْرِ اسْمِ الذَّاتِ «اللَّهُ» فَذِكْرُ اسْمِ اللَّهِ ذِكْرُ اسْمِ الرَّبِّ، فَالثَّابِتُ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ أَمَرَ بِذِكْرِ اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى.

٢ - وتَبَثَّلَ إِلَيْهِ تَبَثُّلاً، التَّبَثُّلُ: هو اخْتِيَارُ الْأَنْقِطَاعِ لِلْمُحِبُّوبِ عَمَّا سِوَاهُ، فَكَانَ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: انْقَطِعُوا عَنِ الْخَلْقِ وَصَلُّوا بِالْخَالِقِ.

وهذا الانْقِطَاعُ عَنِ الْخَلْقِ لَا يَخْصُلُ جَالِساً فِي الْبَيْتِ، لَا يَدُ أَنْ يَغْمَلَ لَهُ عَمَلٌ وَلَكِنْ مَاذَا يَفْعَلُ لَهُ؟ ذَكَرَ الْفُشَايُخُ طَرِيقاً يَسِيرُ فِيهَا أَنْ نَحْضَ وَقْتُ مَا كُلَّ يَوْمٍ وَنَجْلِسَ مُحَرِّكَةً نَوْبَهَا إِلَى شَيْءٍ مُبْتَدَأٍ تَبَثُّلاً. تَتَذَكَّرُ حِينَئِذٍ أَنَّ الْيَوْمَ أَغْمَضَ عَيْنِي بِاخْتِيَارِي وَسَوْفَ يَأْتِي يَوْمٌ تَغْمِضُ هَذِهِ الْأَعْيُنَ لِلْأَبَدِ، فَتَبَثُّ فِي الْقَلْبِ اعْتِقَادُ ضَعْفِ الدُّنْيَا وَشَوْقُ الانْقِطَاعِ عَنِ الْخَلْقِ وَالْإِتِّصَالِ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَإِنْ شِئْتَ الْقِي عَلَى رَأْسِكَ ثَوْباً وَتَذَكَّرُ أَنِّي أَقْبَى الْيَوْمَ الثَّوْبَ عَلَى رَأْسِي بِاخْتِيَارِي، وَسَوْفَ يَأْتِي وَقْتُ أَكْفَنَ فِيهِ فَتَزِدَادُ بِهِ كَيْفِيَّةُ التَّبَثُّلِ. يَثْبُتُ هَذَا الدَّرْسُ بِالْجُلُوسِ بِهَذِهِ الْهَيْئَةِ سُدَسَ السَّاعَةِ أَوْ زَيْعِهَا أَوْ نِصْفِهَا. قَطْرَاتُ الْمَاءِ نَاعِمَةٌ جَدّاً وَلَكِنْ لَوْ تَوَاضَعَلْ تَقَاطُرُ الْمَاءِ عَلَى الْحَجَرِ مُتَوَاضِعاً يَجْعَلُ فِيهِ فَتْحَةً، كَذَلِكَ الْإِنْسَانُ لَوْ جَلَسَ هَكَذَا كُلَّ يَوْمٍ يَذْكُرُ:

«اللَّهُ، اللَّهُ، اللَّهُ»

لَسَوْفَ يَأْتِي وَقْتُ يَجْعَلُ ذِكْرَ اللَّهِ تَعَالَى فِي قَلْبِهِ سَبِيلاً، وَمَجْمُوعُ هَذِهِ الْكَيْفِيَّةِ يُسَمَّى مِرَافِقَةً، وَهُوَ الْمَقْصُودُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ، وَسَمُّوا هَذَا التَّحَرُّقَ بِالتَّبَثُّلِ أَوْ بِالْمُرَاقِبَةِ أَوْ بِالْمُحَاسِبَةِ، وَلَكِنْ لَا مَقَرَّ مِنْ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ أَنَّهَا مَأْمُورٌ بِهَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَتَبَثُّ أَنْ الْمِرَافِقَةُ مُوَافَقَةٌ لِنُتُوجِيهَاتِ قُرْآنِيَّةٍ.

دَلَالِيلٌ مِنَ الْأَحَادِيثِ:

وَرَدَ فِي بِدَايَةِ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ فِي بَابٍ: كَتَبْتُ كَانَ بَذُّ الْوُحْيِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَخْلُو بِغَارٍ حَرَاءٍ أَيَّاماً عَدِيدَةً مُتَوَاصِلَةً. مَا كَانَتْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ صَلَاةٌ وَلَا قِرَاءَةٌ قُرْآنٍ وَلَا صُومٌ فَمَاذَا كَانَ يَفْعَلُ؟ ذَكَرَ الْمُحَدِّثُونَ أَنَّهُ كَانَ

يَقْضِي وَفْتَهُ فِي ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْمُوجِبِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالْإِنْقِطَاعِ عَنِ الْخَلْقِ وَهِيَ الْمُسَمَّاةُ بِالْمُرَاقِبَةِ . يَحْيِي الْمَشَايِخُ هَذِهِ السُّنَّةَ . وَإِنْ اغْتَرَضَ أَحَدٌ أَنَّهُ كَانَ قَبْلَ إِبْلَاقِ النَّبِيِّ فَسَوْفَ يَرُدُّهُ مَا أَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ إِبْلَاقِ النَّبِيِّ . فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيمَا يَرَوْنِي عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : «اذْكُرْنِي بَعْدَ الْغَضْرِ وَبَعْدَ الْفُجْرِ أَكْفِكَ فِيمَا بَيْنَهُمَا» .

[أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ، كَذَا فِي الدَّرَا]

بِهَذِهِ الْمُنَاسِبَةِ يَأْمُرُ الْمَشَايِخُ بِهَذِهِ الْمُرَاقِبَةِ صَبَاحاً وَمَسَاءً .

وَفِيمَا يَتْلَى أَجْوِبَةٌ عَنْ أَسْئَلَةٍ تَتَوَارَدُ خَوْلَ الذِّكْرِ وَالْمُرَاقِبَةِ .

السُّؤَالُ الْأَوَّلُ : كَلِمَةُ الذِّكْرِ وَزِدَتْ لِلْقُرْآنِ أَيْضاً ، فَكُلُّمَا أَمْرٌ بِالذِّكْرِ أَلَا يَحْسُنُ أَنْ يَرَادَ بِهَا تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ ؟

الْجَوَابُ : كَلِمَةُ الذِّكْرِ وَإِنْ اسْتَعْمِلَتْ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَلَكِنَّ الذِّكْرَ وَتِلَاوَةَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ عِبَادَتَانِ بَرَأْسِيهِمَا . رَوَى الطَّبْرَانِيُّ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ لِأَبِي ذَرٍّ : «أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهُ رَأْسُ الْأَمْرِ كُلِّهِ وَعَلَيْكَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ ذِكْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ وَنُورٌ لَكَ فِي الْأَرْضِ» .

[الْجَامِعُ الصَّغِيرُ عَنِ الطَّبْرَانِيِّ]

أَمَرَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى فَتَبَيَّنَ أَنَّهُمَا عِبَادَتَانِ بَرَأْسِيهِمَا ، فَلَا يَرَادُ تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ عِنْدَمَا أَمَرَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى .

السُّؤَالُ الثَّانِي : يَأْمُرُ الْمَشَايِخُ بِالْأَوْرَادِ صَبَاحاً وَمَسَاءً هَلْ لَهُ أَضَلُّ ؟

الْجَوَابُ : نَعَمْ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَمِيِّ وَالْإِنْكَارِ ﴾ [آل عمران : ٤١] . فِي هَذِهِ الْآيَةِ نَصٌّ بِالْأَمْرِ بِالتَّسْبِيحِ صَبَاحاً وَمَسَاءً .

السُّؤَالُ الثَّلَاثُ : هَلْ تَجُوزُ الْمُرَاقِبَةُ مُسْتَلَفِيَةً ؟

الجواب: نعم، يُحاول أن يُراقب جالساً متأنباً. وإن حَدَثَ عَذْرُ أو مَرَضٌ تَجوزُ المراقبةُ مُضطَّجِعاً. قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١] كلمة ﴿وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ تدلُّ على جوازِ ذِكْرِ اللَّهِ تعالى مُستلقياً.

السؤال الرابع: بعض الناس يفتخرون خلال المراقبة قل هذا جائز؟

الجواب: طرِبانُ الجذبِ ثابتٌ بالقرآن والحديث، ففي بعض الآيات: ﴿يَجْرُونَ لِأَذْقَانِ سُجَّجًا﴾ [الإسراء: ١٠٧] وفي بعضها: ﴿خَرُوجًا مُجْعَدًا وَرُكْبًا﴾ [سورة: ٢٥٨] وكذلك يدلُّ عليه ما جاء في الحديث: «فَخَرَّ لِلَّهِ سَاجِدًا». قالت المشايخ: يجبُ على السَّالِكِ ضبطُ كَيْفِيَّتِهِ. وإن لَمْ يَسْتَطِعِ الضَّبطَ فَلْيَنَهِ المراقبةَ. هذا هو الأولَى ولا يَحْسُنُ الملاحظة.

السؤال الخامس: بماذا يَكُونُ تَقْدِمُ السَّالِكِ أَكْثَرُ، بِالذِّكْرِ أو بِالْفِكْرِ؟

الجواب: أولاً يَكُونُ التَّقْدِمُ بِالذِّكْرِ حَتَّى يَخْضَلَ فَنَاءَ النَّفْسِ، ثُمَّ بِالْفِكْرِ، ثُمَّ يَأْتِي مَقَامٌ لَا يَتَقَدَّمُ فِيهِ السَّالِكُ لَا بِالذِّكْرِ وَلَا بِالْفِكْرِ، بَلْ بِرَحْمَةِ تَعَالَى نَقَطَ.

السؤال السادس: ما مَعْنَى جَزَيَانِ الْقَلْبِ؟

الجواب: جَزَيَانُ الْقَلْبِ لَهُ مَعْنَى عِنْدَ الْعَامَّةِ وَمَعْنَى عِنْدَ الْخَوَاصِّ. فَمَعْنَاهُ عِنْدَ الْعَوَامِّ شُعُورُ حَرَكَةِ نَاعِمَةٍ سَرِيعَةٍ فِي الْقَلْبِ، وَمَعْنَاهُ عِنْدَ الْخَوَاصِّ أَنْ يَجْرِيَ الْقَلْبُ عَلَى الْجَوَارِحِ أَيْ يَسِيطِرُ الْقَلْبُ عَلَى الْأَعْضَاءِ وَالْجَوَارِحِ، فَيَكُونُ اسْتِعْمَالُهَا خَسْبَ الشَّرِيعَةِ وَالسُّنَّةِ.

السؤال السابع: قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ فِي كِتَابِهِ الْعِبَادَةِ:

﴿ذِكْرُ اسْمِ الذَّاتِ - اللَّهُ، اللَّهُ - بِدُونِ تَرْكِيبٍ مَعَ كَلِمَةٍ أُخْرَى بِذَعَةٍ. لَمْ يَأْمُرِ اللَّهُ تَعَالَى أَحَدًا بِذِكْرِ الْاسْمِ مُفْرَدًا، وَلَمْ يَشْرَعْ لِلْمُسْلِمِينَ اسْمًا

مُفْرَداً مَجْرَداً لَا يُقْبَدُ الْأَسْمُ الْمُفْرَدُ الْمُجَرَّدُ لِلْإِيمَانِ، وَالثَّابِتُ بِالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ تَعْلِيمُ الْجُمْلَةِ الْمُرَكَّبَةِ فَقَطْ مِثْلُ: «سُبْحَانَ اللَّهِ»، الْحَمْدُ لِلَّهِ، اللَّهُ أَكْبَرُ أَلَيْسَ بِصَحِيحٍ؟».

الجواب: أولاً: «سُبْحَانَ اللَّهِ» لَيْسَتْ جُمْلَةٌ مُرَكَّبَةٌ، بَلْ هِيَ مُضَافٌ وَمُضَافٌ إِلَيْهِ. قَالَ الْبَيْضَاوِيُّ تَحْتَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا﴾ [الأنعام: ٢٢] «سُبْحَانَ»: مُضَدَّرٌ لَا يَكَادُ يُسْتَعْمَلُ إِلَّا مُضَافاً مُضَوَّراً بِإِضْمَارِ فِعْلِهِ.

[تفسير البيضاوي]

بِنَاءٌ عَلَيْهِ نَقُولُ: إِنْ أَسْمَ الْذَاتِ مُنَادَى حُذِفَ عَنْهُ حَرْفُ الْكِدَاءِ جَوَازاً كَمَا حُذِفَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ [يوسف: ٢٩].
عَرَفَ ابْنُ الْحَاجِبِ الْمُنَادَى بِقَوْلِهِ: هُوَ الْمُتَطَلُّوبُ (قَبْلَهُ بِحَرْفِ نَائِبِ مَنْابِ أَدْعُو).

[الكفاية]

فَ «اللَّهُ» أَضْلُهُ: «أَدْعُو اللَّهَ» وَهُوَ كَلَامٌ نَامٍ.

وثانياً: قَدْ يَذْكُرُ الْمَبْتَدَأُ فِي الْجُمْلَةِ وَيُحَذَفُ الْحَبَرُ، فَاسْمُ اللَّهِ تَعَالَى مَبْتَدَأٌ وَالْحَبَرُ مُحَذَوْفٌ كَالْخَالِقِ وَالزَّازِقِ وَالْقَادِرِ، لَعَلَّ الْإِمَامَ ابْنَ تَيْمِيَّةَ أَشْكَلَ عَلَيْهِ خِلَالِ الْكَلَامِ عَلَى مَوْضُوعٍ وَإِلَّا فَلَا مَسَاعَ لِلِإِشْكَالِ بَعْدَ هَذِهِ الدَّلَائِلِ.

وثالثاً: يَسْتَدِلُّ عَلَى ذِكْرِ اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى بِلَا ضَمِّ ضَمِيمَةٍ مِنْ عَدَّةِ آيَاتٍ مِثْلُ:

١ - ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَجِيلاً﴾ [الإنسان: ٢٥].

٢ - ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَقَدَّلْ لِلَّهِ تَبِيلاً﴾ [المزمل: ٨].

أَمَرَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ بِذِكْرِ اسْمِ الرَّبِّ جَلَّ مَجْدُهُ، فَإِنْ سَأَلَ سَائِلٌ مَا هُوَ اسْمُ الرَّبِّ؟ فَيُقَالُ: هُوَ «اللَّهُ».

ذِكْرٍ فِي كِتَابٍ عَلَّمَ الْكَلَامَ أَنَّ «اللَّهُ» عَلَّمَ لِلذَّاتِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ
الْمُسْتَجْمَعِ لَجَمِيعِ صِفَاتِ الْكَمَالِ الْمُنَزَّوِ عَنِ النُّقْصِ وَالزُّوَالِ فَقَدْ ثَبَتَ
بِهَذِهِ الْآيَاتِ جَوَازُ ذِكْرِ اسْمِ ذَاتِ اللَّهِ جَلَّ مَجْدُهُ، وَيُقَالُ لَهُ ذِكْرُ اسْمِ
الذَّاتِ يَشْتَعِلُ الشَّالِكُونَ فِي الطَّرِيقَةِ فِي هَذَا الذِّكْرِ كُلُّ أَنْ وَكُلُّ سَاعَةٍ قِيَامًا
وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ، وَفَدِ قِيلَ: يُمْكِرُ وَقَفُ الْعُطْبَى وَالْقَطَاعِ السُّلْبِ،
وَلَكِنْ لَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَمْنَعَ الْبَلْبُلَ عَنِ الْعَنَاءِ، كَذَلِكَ لَا يَمْنَعُ الْمُحِبُّ
أَحَدًا عَنْ ذِكْرِ اسْمِ الْمَحْبُوبِ. لَتَتَكَلَّمُ لِإِضْاحِ عِلَاقَةِ الْمَحْبُوبِ وَالْمَحِبِّ
فِي صَوْنِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الْمَحَبَّةُ مَشْبُوقَةً مُدْبِدَةً.

يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

يَزِيدُ الْحُبَّ بِسَمَاعِ الْكَلَامِ عَنْ حُسْنِ الْمَحْبُوبِ وَجَمَالِهِ. يَدُلُّ عَلَيْهِ
قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَتْ لَهُمُ اسْكُنُوا أَرْضَكُمْ فَإِنُّكُمْ تُبْغِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢].

لَا يَكُونُ لِلْمُحِبِّ مَطْلُوبٌ سِوَى الْمَحْبُوبِ، دَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى:
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

يَطْمَئِنُّ الْقَلْبُ بِذِكْرِ الْمَحْبُوبِ، وَالذَّلِيلُ عَلَيْهِ: ﴿أَلَا يُلَاحِظُونَ أَنَّ
نَفْسَهُنَّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٢٨].

يَتِمَلَّلُ الْقَلْبُ بِسَمَاعِ ذِكْرِ الْمَحْبُوبِ دَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ
إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٢].

عِنْدَمَا يُنْهَى الْمُحِبُّ عَنْ ذِكْرِ الْمَحْبُوبِ يَتَبَدَّدُ جَمِيعُ الدُّنْيَا وَيَدْفَعُهَا.
قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلِ اللَّهُ شَهِدَ ذَرْهُمْ فِي حُوزِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ١٦١] دَلِيلٌ وَاضِحٌ
عَلَيْهِ.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تُقِيمُ السَّاعَةَ عَلَى

أحد يقول الله الله ، وفي رواية أخرى : احدى لا يقال في الأرض الله الله .

(الخرجه مسلم والمخرج الترمذي الثانية : جامع الأصول ج ١ ص ٣٩٤)

لو لم يَجْزُ ذِكْرُ الاسْمِ الْمُفْرَدِ الْمُتَجَرِّدِ يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ اسْمُ اللَّهِ مرة واحدة ، تَكَرَّرَ اسْمُ الذَّاتِ اللَّهِ اللَّهُ ذَلِيلٌ قَوِيٌّ عَلَى جَوَائِزِ ذِكْرِ اسْمِ الذَّاتِ وَشُرْعِيَّتِهِ وَإِفَادَتِهِ لِلْإِيمَانِ الدَّلِيلِ الْعَقْلِيِّ . الْمُعْجِبُ بِتَمَلُّصِ بِذِكْرِ الْمُخْتَوِبِ .

قَالَ قَائِلٌ : لَمْ تَخْتَفِ الْمُخْتَبَةُ شَاعَةً مَنِ ذَكَرَ اسْمَكَ أَحَدًا ، وَكَذَلِكَ يَسْكُنُ وَيَطْمَئِنُّ الْقَلْبُ بِذِكْرِ الْمُخْتَوِبِ .

قَالَ قَائِلٌ : مَا أَشَدَّ زَيْطَ الطَّعْمَانِيَّةِ بِاسْمِكَ ، يَأْتِي النَّوْمُ عَلَى الشَّوْكِ بِالرَّاحَةِ . السَّالِكُ إِذَا تَكَرَّرَ ذِكْرُ اسْمِ الذَّاتِ سَيَطْرُقُ عَلَى غَضْوٍ مُضَوٍّ مِنْهُ إِتْرُ الْمُخْتَبَةِ الْإِلَهِيَةِ اللَّهُ اللَّهُ . مَا أَخْلَى هَذَا الْاسْمُ يَصْبُغُ رُوحِي قَلَمَ الْحَلِيبِ الْحَلَوِ .

فَإِنْ قِيلَ : مَا الْفَائِدَةُ بِذِكْرِ اسْمِ اللَّهِ اللَّهُ وَتَكَرُّرِهِ ؟ فَقَوْلٌ : سَتُكْرَرُ اسْمُكَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَائِدَةً . تُحْنُ الْعَاشِقُونَ الشَّائِقُونَ الْمُحِبُّونَ لاسْمِكَ .

٣ - الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ :

مَا أَكْثَرَ مِثْنَ سَيِّدِ السَّادَاتِ وَمُعْذِنِ السُّعَادَاتِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ عَلَى الْأُمَّةِ الْمَرْخُومَةِ . لَا يُسْتَطَاعُ أَدَاءُ حَقِّهَا ، وَلَا يُمْكِنُ إِخْصَاءُ عُدْدِهَا ، فَمِثْمَا دَاوَمَ الْيَسَّالُكَ عَلَى الصَّلَاةِ عَلَيْهِ بِالتَّحَبُّوِّ وَالْإِخْلَاصِ ، فَهُوَ قَلِيلٌ فَضْلًا عَمَّا سَيَهَبُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ مِثَابِ الْأَجُورِ وَالْغُرَابِ عَلَيْهَا بِلُطْفِهِ وَكَرَمِهِ . مَا زَالَتِ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ عَمَلُ الصُّبْحِ وَالْمَسَاءِ يَدُلُّ عَلَى فَضْلِهَا الْآيَاتُ وَالْأَحَادِيثُ الْكَثِيرَةُ تُذَكِّرُ بَعْضُهَا .

أدلة من القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] بدأت الآية بحرف التوكيد «إِنَّ» ثم جاءت بصيغة المضارع الدالة على الاستمرار والدوام فالمعنى أنه لا شك أن الله وملائكته يصلُّون دائماً أبداً على النبي الكريم، فإني عزّ وكريم فوّقه، فإن الله تعالى أضاف الصلاة أولاً إلى نفسه، ثم أضافها إلى الملائكة، ثم أمر بها المؤمنين. جزاء الإحسان بمثله من مكابر الأخلاق، والنبي ﷺ أعظم الناس إحساناً إلينا، فالله سبحانه وتعالى أرشدنا إلى مكافأة إحسانه. وللنبي ﷺ شأنٌ عجيب في الحب فإن الله تعالى ذكر اسمه مع اسمه مع كلمة الشهادة، وذكر طاعته مع طاعته، ومحبته مع محبته، وصلاة المؤمنين مع صلاته عليه، قال الشَّاعِر عبيد القادر رحمه الله تعالى: لعلَّ الرُّحمة من الله تعالى لنبيه وآله قبولية عظيمة تنزل عليه من الرُّحمة ما يليق بشأنهم، وينزل على السائل غشراً رحماً بطلبه رَحمةً، فمن شاء الآن جمع ما يريد.

نقل العلامة السخاوي عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم الله تعالى ورضي الله عنهم قال: علامة أهل السنة كثرة الصلاة على رسول الله ﷺ.

[القول البديع ص ٥٢]

دلائل من الأحاديث النبوية:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا».

[رواه مسلم وأبو داود والنسائي والترمذي وابن حبان في صحيحه]

[الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٤٩٤]

رَوَى الطَّبْرَانِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّى عَلَى صَلَاةٍ وَاحِدَةٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا وَمَنْ صَلَّى عَلَى عَشْرٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ مِائَةً، وَمَنْ صَلَّى عَلَى مِائَةٍ كَتَبَ اللَّهُ بَيْنَ يَدَيْهِ بَرَاءَةً مِنَ الثَّقَابِ وَبَرَاءَةً مِنَ النَّارِ وَأَسْكَنَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الشُّهَدَاءِ».

[القول البديع ص ١٠٣، الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٤٩٥]

وَعَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَى فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةً دُفِئَ اللَّهُ لَهُ مِائَةٌ حَاجَةً، سَبْعِينَ لآخرتهِ وَثَلَاثِينَ مِنْهَا لَدُنْيَاهُ».

[القول البديع ص ١٢٨]

ولهذا يأمر المشايخ النقشبنديون السالكين بالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مِائَةً مَرَّةً كُلَّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ وَقَوْلُهُمْ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَبَارِكْ وَسَلِّمْ، صِيغَةُ صَلَاةٍ مُخْتَصِرَةٍ وَجَامِعَةٍ.

وَمِنْ مُخَرَّجَاتِ الْإِكْتِمَارِ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ تَخْفِيفُ الْخَطَايَا وَتَرْكِيبُ الْأَعْمَالِ، وَرَفْعُ الدَّرَجَاتِ، وَمَغْفِرَةُ الذُّنُوبِ وَاسْتِغْفَارُهَا لِقَابِلِهَا، وَكِتَابَةُ قِيَامَاتٍ بِمَثَلِ مِنَ الْآخِرِ وَالْكَيْلِ بِالْمِكْيَالِ الْأَوْفَى، وَكَفَايَةُ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِمَنْ جَعَلَ صَلَاتَهُ كُلَّهَا صَلَاةً عَلَيْهِ، وَمَحْوُ الْخَطَايَا وَقَضَائِهَا عَلَى مَحَنِ الرِّقَابِ، وَالنَّجَاةُ بِهَا مِنَ الْأَخْوَالِ وَشَهَادَةُ الرُّسُولِ بِهَا، وَوُجُوبُ الشَّفَاعَةِ وَرَضَى اللَّهُ وَرَحْمَتُهُ، وَالْأَمَانُ مِنْ سَخَطِهِ، وَالذَّخْرُ لِمَنْ خَلَّ الْعَرْشِ، وَرَجْعَانِ الْمِيزَانِ وَرُزْدُ الْخَوْضِ، وَالْأَمَانُ مِنَ الْعَطَشِ وَالْحَقُّ مِنَ النَّارِ، وَالْجَوَازُ عَلَى الصَّرَاطِ وَرُؤْيَا الْمُقْعَدِ الْمُقَرَّبِ مِنَ الْجَنَّةِ قَبْلَ النَّوْبِ، وَكَثْرَةُ الْأَزْوَاجِ فِي الْجَنَّةِ وَرَجْعَانُهَا عَلَى أَكْثَرِ مِنْ عِشْرِينَ غُرُوفَةً، وَقِيَامُهَا مَقَامَ الصَّدَقَةِ لِلْمَعْسَرِ، وَأَنْهَا زَكَاةٌ وَطَهَارَةٌ، وَبَزِيدُ النَّالِ بِبَرَكَتِهَا، وَتَنْفُضُ بِهَا مِنَ الْحَوَائِجِ مِائَةٌ بَلْ أَكْثَرُ وَأَنَّهَا عِبَادَةٌ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ، وَتَرْبِيَةُ الْمَجَالِسِ، وَتَغْيِي الْفَقْرِ وَضِيْقُ الْعَيْشِ وَيَلْتَمَسُ بِهَا مِظَانُ

الحخير، وأن فاعلها أولى الناس به، ويستفح هو وولده وولد ولده بها، ومن أهديث في صحيفته بثوابها، وتقرب إلى الله عز وجل وإلى رسوله، وأنها نور وتنصر على الأعداء وتطهر القلب من التفاني والصدأ، ويوجب محبة الناس ورؤية النبي ﷺ في المنام.

[القول البديع ص ١٠١]

فعلى سالكى الطريقة أن يقدموا هدية الصلاة صنيع عشاء بمحبة وأدب إلى النبي ﷺ.

عدة أسئلة تُسأل عموماً عن الصلاة على النبي ﷺ وأجوبتها:

س ١: الله وملائكته يصلون على النبي ﷺ فما الحاجة إلى صلاتنا؟

ج: صلاتنا على النبي ﷺ ليست لأن النبي ﷺ محتاج إليها ولا فلا حاجة إلى صلاة الملائكة بعد صلاة الله عليه، بل صلاتنا لإظهار عظمة النبي ﷺ وصلاتنا سبب لكفارة ذنوبنا وارتفاع درجاتنا.

س ٢: سمعنا أن النبي ﷺ سوف يضع في كفة شخص من أمته بطاقة صغيرة فينقل الميزان كيف ذلك؟

ج: المنزلة عند الله تعالى للإخلاص، كلما ازداد الإخلاص ازداد الوزن، وذليله رجحان بطاقة صغيرة مكتوب عليها كلمته الشهادة على تسعة وتسعين دفترًا للذنوب، كل دفتر ممتد منتهى بصرو.

س ٣: هل يجوز أن نقول: صليت على محمد، أو أصلي على محمد.

ج: إن النبي ﷺ منزلة عن العيوب بينما نحن مجموعة عيوب ونقائص، وكيف يشي من هو مجموعة العيوب لمن هو سالم من كل عيب؟ قال قائل: بما معناه:

إن أغسل فمي بالمسك وماء الورد ألف مرة

فالتفوه باسمك الآن كمال سوء الأدب

إِذْ نَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِي قَوْلِنَا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ أَلَّا تُنْزَلَ الصَّلَاةُ وَالرَّحْمَةُ مِنَ الرَّبِّ الطَّاهِرِ عَلَى النَّبِيِّ الطَّاهِرِ.

س ٤ : هل يجوز للحائض أن تُصلي على النبي ﷺ؟

ج : يتجوز للحائض التفتوه باسم الله تعالى وباسم النبي ﷺ والنطق بالشهادتين، والاستغفار، والصلاة على النبي ﷺ. قَالَ الْفُقَهَاءُ: الْمُعْلَمَةُ الَّتِي تُدْرَسُ وَتَعْلَمُ تَلْمِذَتَهَا فِي هَذِهِ الْحَالَةِ عَلَيْهَا أَنْ تُعَلِّمَهَا كَلِمَةً كَلِمَةً، وَلَا تَمْسُ الْمَصْحَفَ بِيَدِهَا.

س ٥ : هل تجوز الصلاة على النبي ﷺ بدون وضوء؟

ج : يجوز، ولكن الصلاة على النبي ﷺ طاهراً نوراً على نور.

س ٦ : ما الحكمة في الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ يَوْمَ الْجُمُعَةِ؟

ج : وَرَدَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ انْقَلَبَ مِنْ صَلَافِ أَبِيهِ إِلَى بَطْنِ أُمِّهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَأَيْضاً كَمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ كَذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَيِّدُ الْأَيَّامِ، فَتَحَقَّقَ بَيْنَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَكَثْرَةِ الصَّلَاةِ مَنَاسِبَةٌ.

س ٧ : يَبْدُو فِي الصَّلَاةِ بِقَوْلِنَا: كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ بَعْدَ قَوْلِنَا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ. إِنَّ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَفْضَلِيَّةً.

ج : يَعْرِفُ عُلَمَاءُ الْعَرَبِيَّةِ أَنَّ كَلِمَةً كَمَا قَدْ تُذَكَّرُ لِلْأَعْلَى وَقَدْ تُذَكَّرُ لِلْأَدْنَى. قَالَ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ نُورٍ، كَوَيْشَكَوْرٍ فِيهَا صَبَاحٌ﴾ [النور: ٣٥].

وَأَيُّ مَنَاسِبَةٍ بَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَبَيْنَ السَّرَاحِ؟ ذَكَرَ الْخَافِظُ ابْنَ خَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْفَتْحِ الْبَارِي عَشْرَةَ أَجْوِبَةٍ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ، وَذَكَرَ فِي مَكْتُوباتِ الْمَجْدِ تَفَاصِيلَهُ.

٤ - الاستغفار:

الاستغفار مائة مرة كل يوم صباحاً ومساءً. مشايخ السلسلة

التقشبيدية يستغفرون بصيغة جامعة ومختصرة جداً وهي: **أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ** ربي من كل ذنب وأتوب إليه.

أدلة من القرآن الكريم:

دليل ١: قال تعالى: ﴿ **أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ** ﴾ [مروء: ١٥٢] أمر في هذه الآية الكريمة بالاستغفار، فمشايخ نقشبند يستغفرون بغاية تدامة كل يوم عنلاً بهذا الأمر وبرشدون السالكين بهذا التوجه.

دليل ٢: قَالَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ: ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلُ الْمَلَائِكَةَ خَلْفَكُمْ يَنْدَبُوكُمْ يَتُوبُونَ إِلَيْهِ إِنَّهُ بِغَيْبَاتِ قُلُوبِكُمْ غَفِيرٌ** ﴾ [نوح: ١٠ - ١٢].

دليل ٣: قَالَ تَعَالَى: ﴿ **وَمَا كُنَّا اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كُنَّا اللَّهُ مَعَذِبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴾ [الأنفال: ٣٣].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية: كَانَ فِيهِمْ أَصْحَابُ: النَّبِيِّ ﷺ وَالْأَسْتَغْفَارُ، فَذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ وَيَقِي: الْإِسْتِغْفَارُ.

[ابن كثير ج ٢ ص ٣١٢]

دليل ٤: قَالَ تَعَالَى: ﴿ **كَلُوا قَلِيلًا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا كَانَ ثَمَرُهُ خَضِرًا وَلَا تَمْسَسْوهُ إِذْ وَضَعُوا ثَمَرَهُمْ يُصْنَعُونَ** ﴾ [البقرة: ١٧ و ١٨].

دلائل من الحديث النبوي الشريف:

الدليل ١: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **«إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»**.

[صحيح البخاري]

الدليل ٢: قَالَ الْبَيْضاوِيُّ فِي التَّفْسِيرِ: وَرَوَى عَنْهُ ﷺ: «إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ مِائَةَ مَرَّةٍ».

[رواه البخاري والنسائي وابن ماجه؛ تفسير البيضاوي ص ٥٢١]

قَالَ الْمُخَدِّثُونَ: الشَّكْلُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ بِصِبْغَةِ الْإِسْتِغْفَارِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً أَوْ مِائَةَ مَرَّةٍ لِإِظْهَارِ الْعُبُودِيَّةِ، وَتَعْلِيمِ أَمْنِهِ وَإِلَّا فَهُوَ كَأَنَّمُتُّوراً لَهُ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيَقْفِرَنَّ اللَّهُ مَا قَدَّمْتُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٤٢] دَلِيلٌ قَوِيٌّ عَلَيْهِ.

الدليل ٣: عَنْ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَالْإِسْتِغْفَارَ، فَأَكْثَرُوا مِنْهَا فَإِنَّ إِبْلِيسَ قَالَ: أَهْلَكْتُ النَّاسَ بِالذُّنُوبِ وَأَهْلَكُونِي بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَالْإِسْتِغْفَارَ».

[تفسير المظهر ج ١٠ ص ٤٨٤]

الدليل ٤: قَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ عَنِ الْإِسْتِغْفَارِ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ لَزِمَ الْإِسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجاً وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجاً وَمِنْ رُزْقِهِ مَنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ».

[ابن خلدون ج ١ ص ٢٢٠، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤٦٠]

الدليل ٥: عَنْ مُضَالَّةَ بْنِ عُبَيْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْعَبْدُ آمَنُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مَا اسْتَغْفَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ».

[ابن كثير ج ٢ ص ٣١٢]

فَعَلَى السَّالِكِ أَنْ يَسْتَغْفِرَ وَيَتُوبَ مِنْ ذُنُوبِهِ كُلِّ يَوْمٍ، وَيَرَى ذَلِكَ وَاجِباً. وَفِي إِكْمَالِ النِّسْبِ: يَا صَدِيقِي ارْتِكَائِكَ بِالذَّنْبِ بِرَجَاءِ التَّوْبَةِ وَتَأْخِيرِكَ التَّوْبَةَ بِرَجَاءِ التَّوْبَةِ دَلِيلٌ فَقْدَانِ عَقْلِكَ. قَالَ اللَّهُ رَبُّ الْعِزَّةِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ [التحریم: ٨].

وقال في مقام آخر: ﴿وَتَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا إِنَّهُ يَتُوبُ الْعُثُورَ﴾ [التور: ٤٣].

أَجْمَعَ الْأَقَمَّةُ الْمُجْتَهِدُونَ عَلَى وَجُوبِ التَّوْبَةِ، فَتَبَحَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَابُ التَّوْبَةِ حَتَّى تَأْتِيَ سَكْرَةُ الْمَوْتِ أَوْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ مَا لَمْ يُغْرِغْ».

[الترمذي]

وقال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ».

[رواه مسلم]

يَغْفِرُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلتَّائِبِينَ مِنَ الذُّنُوبِ كَأَنَّهُمْ لَمْ يُذْنِبُوا قَطُّ. قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «الثَّابِتُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ». إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ تَعَالَى عَبْدًا فَلَا يَغْفِرُ ذُنُوبَهُ قَطُّ، بَلْ يَبْدَأُ سِبْطَاتِهِ حَسَنَاتٍ. قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِيَكُ يُبْدِلَ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠].

رَوَى عِشْرَانُ بَنِي مُسَيِّنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ عَسَابِيًّا تَابَ تَوْبَةً صَادِقَةً حَتَّى قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ قُيِّمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوُيِّعَتْهُمْ».

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ مَنَعَطٍ عَلَى بَعِيرِهِ، وَقَدْ أَضْلَمَ لِي أَرْضٍ فَلَاةٌ».

[الخرجه البخاري ومسلم]

وَلِمُسْلِمٍ أَيْضًا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَأُفْلِتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشِرَابُهُ فَأَيَسَ مِنْهَا فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ

أَيَسَّرَ مِنْ رَاجِلَتِهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخَطَمِهَا،
ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدْقِ الْفَرْجِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدْقِ
الْفَرْجِ».

[جامع الأصول ج ٢ ص ١٥١٠]

قَالَتِ الْمَنَابِيحُ: لَمَّا طَرِدَ الشَّيْطَانُ اسْتَمْهَلَ وَقَالَ: ﴿رَبِّ أَنْظِرْنِي إِلَى
يَوْمٍ يَبْعَثُونَ﴾ [الحجر: ٣٦]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلْيَكْفِرْ بِالْمُنَظَّرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَعْدِ
الْمُنَظَّرُونَ﴾ [الحجر: ٣٧، ٣٨]، فَانْظُرْ لَوْ أَهْمَلَ الشَّيْطَانُ اللَّعِينُ فَلَمْ لَا يَهْمَلُ
لِمَذْنَبِي الْأَمَةِ الْمُحْتَدِيَةِ؟

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَفِي رَوَايَةٍ قَالَ إِبْلِيسُ: وَعِزَّتِكَ وَجَلَّالَتُكَ لَا
أَزَالُ أَغْوِيهِمْ، مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:
«وَعِزَّتِي وَجَلَّالِي لَا أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُوا لِي».

[تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٧٨]

ثُمَّ سَمِعَ سَيِّحَ تَبِيرٍ يُسَمِّيهِ إِذَا رَأَى شَيْئًا يُسْتَسْمَعُونَ. ثَلَاثًا عَزَّ الشَّيْخُ يَوْمَ
قَالَ شَابٌّ: يَا سَيِّدِي! أَفَبِنَا فِي رَجُلَيْنِ: رَجُلٍ لَمْ يَلْذِيبْ قَطُّ، وَرَجُلٍ أَذْنَبَ
ثُمَّ تَابَ تَوْبَةً نَصُوحًا أَتَاهُمَا أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى؟ وَعَلَى قَلْبِ أَتَاهُمَا نَظَرَةٌ
خَاصَّةٌ لِلَّهِ تَعَالَى؟ فَقَالَ الشَّيْخُ: أَنَا أَنَسُجُ الشَّيْخَ، وَلَهُ خُيُوطٌ طَوِيلَةٌ لَوْ
الْتَحَلَ خَيْطٌ أَعْقَدَهُ ثُمَّ الْأَحْظَةُ حَتَّى لَا يَنْحَلَّ سَرَةً ثَانِيَةً، فَلَعَلَّ الْمَذْنِبَ
الَّذِي رَتَبَ عِلَاقَتَهُ بِرَبِّهِ بَعْدَ أَنْ انْحَلَّتْ عِلَاقَتُهُ بِرَبِّهِ بِتَوْبَةٍ نَصُوحٍ، يَكُونُ لِلَّهِ
عَلَى قَلْبِهِ نَظَرٌ خَاصٌّ حَتَّى لَا يَبْعَدَ ذَلِكَ الْعَبْدَ. مَبْحَثُ اللَّهِ.

قِيلَ: يَا عَبْدِي ذُنُوبُكَ قَلِيلَةٌ وَرَحْمَتِي كَثِيرَةٌ، وَإِنْ كَانَتْ ذُنُوبُكَ
بَعْدَ نُجُومِ السَّمَاءِ، أَوْ كَانَتْ بَعْدَ أَوْزَانِ أَشْجَارِ الدُّنْيَا كُلِّهَا، أَوْ كَانَتْ
بَعْدَ ذُرَاثِ رِمَالِ جَمِيعِ الدُّنْيَا، أَوْ مِثْلَ رَبْدِ الْبَحَارِ كُلِّهَا، فَذُنُوبُكَ قَلِيلَةٌ
وَرَحْمَتِي كَثِيرَةٌ، فَأَبِى وَأَبِى تَوْبَتِكَ حَتَّى قَالَ: يَا عَبْدِي إِنْ أَنْتَ ثَبِتَ
ثُمَّ نَقَضْتَ تَوْبَتَكَ، ثُمَّ نَبَيْتَ ثُمَّ نَقَضْتَ تَوْبَتَكَ، ثُمَّ ثَبِتَ ثُمَّ نَقَضْتَ، إِنْ

تَقَضَّتْ مِائَةَ مَرَّةٍ فَأَنْتَوِ وَتُبْ يَا عَبْدِي، إِنَّ أَمَّتْ ثُبَّتْ مِائَةَ مَرَّةٍ وَتَقَضَّتْ مِائَةَ مَرَّةٍ فَبَايَ الْآنَ مَفْتُوحٌ قَاتٍ وَتُبْ أَقْبَلْ تَوَيْتَكَ، وَقَدْ صَدَّقَ مَنْ قَالَ: (أُمَّةٌ مُذْنِبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ).

٥ - تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ :

تِلَاوَةُ جُزْءٍ أَوْ يَصُفَّ جُزْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كُلِّ يَوْمٍ.

أَدْلَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ :

الدليل الأول : قال تعالى : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾ [المزمل: ١٢٠].
أمر في هذه الآية بتلاوة القرآن الكريم، ولهذا يأمر المشايخ سالكِي الطريق بتلاوة القرآن الكريم.

الدليل الثاني : قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ يُخَوِّفُونَ حَتَّى تَلَاوُوا ﴾ [البقرة: ٢٢١].

أَدْلَةٌ مِنَ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ :

الدليل الأول : رَوَى الطَّبْرَانِيُّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِرَجُلٍ وَهُوَ يُوضِئُ: «أَوْصِيكَ بِشَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهُ رَأْسُ الْأَمْرِ كُلِّهِ، وَعَلَيْكَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ ذِكْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ وَلِنُورٌ لَكَ فِي الْأَرْضِ».

[المعجم الصغير للطبراني]

الدليل الثاني : عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَيْكَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ نُورٌ لَكَ فِي الْأَرْضِ وَذِكْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ».

الدليل الثالث : رَوَى الْإِمَامُ الْبَيْهَقِيُّ فِي شَعَبِ الْإِيمَانِ، عَنْ ابْنِ حُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ

ثُمَّ يَصْدَأُ الْحَدِيدُ إِذَا أَصَابَهُ الْمَاءُ". قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا جَلَّوْهَا؟ قَالَ: «كَثْرَةُ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ».

الدليل الرابع: رَوَى الْإِمَامُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ النَّعَّاسِ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَائِمِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُعْظَمِينَ».

[سنن أبي داود ج ١ ص ٢٠٥]

الدليل الخامس: رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَأَبُو دَاوُدَ فِي رِوَايَةٍ طَوِيلَةٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «اقْرَأُوا الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ».

[صحيح البخاري ج ١ ص ٧٥٥، وأبو داود ج ١ ص ٢٠٥]

٦ - رَابِطَةٌ بِالشَّيْخِ:

أَصْلُ أَصُولِ جَمِيعِ الْأَعْمَالِ رَابِطَةُ الشَّيْخِ، وَهِيَ اتِّصَالُ الشَّيْخِ وَإِشْعَارُهُ بِأَوْفَاقِهِ بِالْمُحَضَّرِ عِنْدَهُ أَوْ بِالرَّسَالَةِ أَوْ بِالْهَاتِفِ أَوْ غَيْرِهَا وَقَضَاءُ الْحَيَاةِ وَفَق تَوْجِيهِهِ.

أدلة من القرآن المجيد: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتَّبِعْ مَكِيلَ مَنْ أُنَابَ إِلَيَّ﴾ [النمل: ١٥] فَاتَّبَاعُ الشَّيْخِ اتِّبَاعُ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّ الشَّيْخَ مَكِيلٌ بِالْإِنَابَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا يَدُ لِلاتِّبَاعِ مِنَ الْإِطْلَاعِ.

أدلة من الأحاديث:

الدليل الأول: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ».

[رواه أبو داود والترمذي]

وَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَعَلَى السَّالِكِ أَنْ يَتَمَسَّكَ بِمُحِبَّةِ

الشَّيْخَ وَيَتَّخِذُهُ خَلِيلَةً وَمُرَاشِدَةً، حَتَّى يَسْهُلَ لَهُ الْأَصْطِلَاغُ بِصِبْغَةِ الدِّينِ .
 قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « لَا تُضَاجِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا » .

[التزمذي]

وهذه هي صُحْبَةُ الشَّيْخِ وَرَابِطَتُهُ .

الدَّلِيلُ الثَّانِي : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » .

[البخاري، ومسلم]

هَذَا الْحَدِيثُ كَافٍ وَاقٍ وَثَابِتٌ لِسَالِكِي الطَّرِيقَةِ، فَالسَّالِكُ إِذَا جَعَلَ
 ارْتِبَاطَهُ بِشَيْخِهِ قُوَّةً يَلُفُّهُ أَقْوَى يَجِدُ حَبَّةَ أَشَدَّ وَهَذَا آيَةُ سَمَاعِ بُشْرَى الْمَرْءِ
 مَعَ مَنْ أَحَبَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَتَيْتُ مَعَ مَنْ
 أَحَبَّيْتُ، فَالْرَّابِطَةُ بِالشَّيْخِ هِيَ مُلَخَّصُ الْأَوْرَادِ وَعِطْرُهَا، وَهُوَ تَفْسِيرُ
 « صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ » .

الدَّلِيلُ الثَّالِثُ : قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « عَلَيْنَاكُمْ بِمَجَالَسَةِ
 الْعُلَمَاءِ وَاسْتِمَاعِ كَلَامِ الْحُكَمَاءِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحْيِي الْقُلُوبَ الْمَيِّتَ بِثَوْرِ
 الْحِكْمَةِ كَمَا تُحْيَا الْأَرْضُ الْمَيِّتَةَ بِمَاءِ الْمَطَرِ » .

[الترغيب والترهيب]

وَقَضَاءُ الرُّشْدِ فِي صُحْبَةِ الشَّيْخِ عَمَلٌ بِهَذَا الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ
 الشَّرِيفِ .

الدَّلِيلُ الرَّابِعُ : رُوِيَ فِي رَوَايَةِ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قِصَّةُ رَجُلٍ
 مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قُتِلَ مِائَةَ قَتِيلٍ ثُمَّ تَدِيمَ فُقِيلَ لَهُ : انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَا
 وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أَنَاسًا يَعْْبُدُونَ اللَّهَ تَعَالَى فَاغْبِرْ إِلَهُ مَعَهُمْ .

[رياض الصالحين]

إِذَا خَضَرَ السَّالِكُ إِلَى زَاوِيَةِ شَيْخِهِ وَجَدَ جَمْعًا مِنَ السَّالِكِينَ يَضُدُّونَ
 عَلَيْهِمْ أَنَاسًا يَعْْبُدُونَ اللَّهَ تَعَالَى، فَيُنَالُ سَعَادَةَ الْعَمَلِ (فَاغْبِرْ إِلَهُ مَعَهُمْ) .

الدليل العقلي: يذهب المريض إلى الدكتور فيفحصه الطبيب ويكتب له وصفةً طبيّةً ويقول: ارجع إلى البيت وتناول هذا الدواء لأيام كذا وكذا، ثم ائت إليّ وأخبرني عن أمرك. هكذا يُعطي المرشد مُريده وصفة الأوزاد الروحانيّة ويقول: التزام بهذه الأوزاد وأخبر عن أوضاعك جيئاً فجيئاً. وهذه هي الرابطة بالشيخ.

شواهد شعرية:

ذُكِرَ أبيات من شعراء الأمة في أهميّة رابطة الشيخ.

قال شاعر ما معناه:

مَنْ كَانَ يَرِيدُ صُحْبَةَ اللَّهِ تَعَالَى فَلْيُجَالِسِ الْأَوْلِيَاءَ.

وقال آخر ما معناه:

صُحْبَةُ الصَّالِحِينَ تَجْعَلُكَ صَالِحاً، وَصُحْبَةُ الْأَشْقِيَاءِ تُصَيِّرُكَ شَقِيّاً.

وقال آخر ما معناه:

إِنْ كُنْتَ صِلَاصِلاً أَوْ رَحِماً فَأَذْهَبْ إِلَى صُحْبَةِ أَهْلِ الْقَلْبِ تَكُنْ لَوْلُؤاً.

وقال آخر ما معناه:

اتركِ النَّهَالَ واتَّخِذِي الْحَالَ. وَاقْنِدِي رَجُلًا كَامِلاً تَكُنِي صَاحِبَ حَالٍ، وَأَتَوِي الْكِتَابَ وَمِائَةَ وَرَقَةٍ فِي النَّارِ وَاجْعَلِي الْقَلْبَ وَالنَّفْسَ إِلَى صَاحِبِ حَالٍ.

وقال آخر ما معناه:

وَجَدْتُ يَوْماً فِي الْحَمَامِ ثَرَاباً مَطْيَباً (خوشبو دار) مِنْ يَدِ الْحَبِيبِ، فَقُلْتُ لَهُ: هَلْ أَنْتَ مِنْكَ أَوْ عَنِّي؟ فَإِنِّي رَاغِبٌ فِي طِبِّكَ؟ فَقَالَ: إِنِّي كُنْتُ ثَرَاباً حَقِيراً، وَلَكِنْ صَجَّهْتُ الْوَرْدَ مَدَّةً فَعَمِلَ جَمَالَ صَاحِبِي عَلَيَّ وَإِلَّا فَاتَا ذَلِكَ الثَّرَابَ الْحَقِيرَ الَّذِي كُنْتُ.

وقال آخر ما معناه :

يعرق الشمع القديم موج أنفسهم ما إذا استتر في صدور أهل
القلب. يا رب! لا تسأل إن أحييت هؤلاء الـ «الأسير» الخرقاء يجلسون
واليد البيضاء في جيوبهم، إن تبع حماس القلب فأخدم الفقراء، فإن هذا
الجوهر لا يوجد في كنوز الملوك.

الباب العاشر

أعمال اليوم والليلا

على السالك أن يقوم في آخر ساعة من الليل للشهجة . قال سيدنا الصديق الأكبر رضي الله تعالى عنه : سبق طيور السحر في قيام الليل من أمسيك ندامتك . رأى شخص في المنام الشيخ جليلاً البغدادي رحمه الله بعد وفاته فقال له جليلاً : غابرت جميع الكشوف والكرامات . ما فتحت إلا ثوابل آخر الليل . للشيخ الخواجه أبي سعيد أبي الخير في الشهجة رباعي مشهور معناه :

فم ليلاً فإن العشاق يتاجرون ليلاً . يطيطرون حول أبواب الحبيب ومثفيه .

يُغلق جميع الأبواب ليلاً إلا باب الحبيب الذي يُفتح ليلاً .

بعد القيام من النوم يدعو بالدعاء المسنون .

يُنظف الجذاء فيلبس الثعل الأيمن أولاً ثم الأيسر ، ثم يذهب إلى الحمام ثم يتوضأ مع قراءة الأدعية المسنونة . (قراءة الأدعية المسنونة في الأوقات المختلفة المناسبة مهمة جداً لا يتكاسل فيها أبداً فإنها تساعد الإنسان للوقوف القلبي) .

روي عن الخواجه غيب اللہ الأحرار أنه كان يقول بعد الوضوء ثلاثاً : اللهم ثبت من كل خطيئة وذنب أذنبته . والهدف من هذا الدعاء الثوبة والاستغفار لينال الطهارة الباطنية مع الطهارة الظاهرة ، وبهذا يسهل

حُصُولَ كَيْفِيَّاتٍ: «أَنْ تَغِيدَ اللَّهُ كَأَنَّكَ تَرَاهُ» وهو أَقْصَى الغَايَاتِ عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ.

يُصَلِّي بَعْدَ كُلِّ وُضُوءٍ رُكْعَتِي تَحِيَّةِ الْوُضُوءِ. كَانَ سَيِّدُنَا بِلَالٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُوَاطِبُ عَلَيْهَا.

عَنْ بَرِيدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَعَا بِلَالًا فَقَالَ: «يَا بِلَالُ، يَمْ سَبَقْتَنِي إِلَى الْجَنَّةِ؟ مَا كَخَلَّتِ الْجَنَّةُ قَطُّ إِلَّا سَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ أَمَامِي»، فَقَالَ بِلَالٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا أَذْنُتُ قَطُّ إِلَّا صَلَّيْتُ رُكْعَتَيْنِ، وَمَا أَصَابَنِي حَدَثٌ قَطُّ إِلَّا تَوَضَّأْتُ عِنْدَهُ، وَرَأَيْتُ أَنَّ لِلَّهِ عَلَيَّ رُكْعَتَيْنِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بِهِمَا».

[جامع الأصول ج ٨ ص ٥٧٦]

يَقْرَأُ فِي الرُّكْعَةِ الْأُولَى مِنْهُمَا سُورَةَ الْكَافِرِينَ وَفِي الثَّانِيَةِ سُورَةَ الْإِخْلَاصِ.

يُصَلِّي صَلَاةَ التَّهَجُّدِ بِكَمَالِ حُسْنٍ وَخُضُوعٍ أَرْبَعَ رُكْعَاتٍ أَوْ ثَمَانٍ رُكْعَاتٍ أَوْ اثْنَيْ عَشَرَ رُكْعَةً.

كَانَ الْحَوَاجَةُ أَبُو يُوْسُفَ الْهَمْدَانِي يَقْرَأُ فِي الرُّكْعَتَيْنِ الْأُولَتَيْنِ رُكُوعًا مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِيهِ آيَةُ الْكُرْسِيِّ وَآخِرَ رُكُوعٍ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَمَانِ رُكْعَاتٍ فِي كُلِّ رُكْعَةٍ عَشْرَ آيَاتٍ يَتَمُّ فِيهَا سُورَةُ يَسَّ، وَيَقْرَأُ فِي الرُّكْعَتَيْنِ الْآخِرَتَيْنِ سُورَةَ الْإِخْلَاصِ ثَلَاثًا. (وَالشَّيْخُ أَبُو يُوْسُفَ الْهَمْدَانِي هَذَا اسْتَفَادَ مِنْ صُحْبَتِهِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْجِيلَانِي، وَالشَّيْخِ الْحَوَاجَةِ مَعِينِ الدِّينِ الْأَجْمِيرِي، وَلِهَذَا يُقَالُ: إِنَّهُ شَيْخُ التَّعْلِيمِ لِهَمَّا).

كَانَ الْحَوَاجَةُ عَزِيزَانِ عَلَيَّ الرَّامِتِي يَقُولُ: تَجْتَمِعُ بِقِرَاءَةِ سُورَةِ يَسَّ فِي التَّهَجُّدِ ثَلَاثَةُ قُلُوبٍ: قَلْبُ اللَّيْلِ أَيْ الْجُزْءُ الْآخِرُ مِنْهُ، وَقَلْبُ الْقُرْآنِ

أي سورة يس، وقلب الإنسان، واجتماع هذه القلوب الثلاثة سبب قبول الدعاء إن شاء الله تعالى.

كان الخواجه غيب الله أحوار يقول: إن فاتك التهجيد أحياناً يرضيه قبل يضرب النهار، والسالك الذي لا يتيقن بالقيام يصلي الثواب قبل النوم.

كان الخواجه بهاء الدين نقشبند البخاري رضى الله تعالى عنه يقرأ في أذعية التهجد آياتاً معناها:

جنتك اللهم مستعبد بك يا إله العالمين، جنتك أحول ثقل ذنوبي جنتك وقد جعلت ذنوبي ظهري يصفين. يا معبد العالمين أتيت إلى بابك عاجزاً متضرعاً. لا أقول إني قضيت سورات في طريقك، أنا ضال جنتك متوجهاً إلى طريقك، جنتك يا مالك الملك بأربعة أشياء ليست في كنزك وهي: العدم والاحتياج والمعصرة. جنتك بقلب فقير وقلب مكسوم والاحتياج والخذلان. جنتك بها كلها شاهدة على دعوى عشيقك. فانظر إلي نظرة راحة وانظر إلى يتامى شعري فإني جنتك بوجه أشود من الندم.

وليدع السالك أحياناً بمناجاة مشوية إلى سيدنا الصديق رضي الله عنه، ويتخذ الفراغ من الدعاء يستغفر الله تعالى مائة مرة، ويصلي على النبي ﷺ مائة مرة. سأل رجل شيخ العرب والعجم مولانا عبد الغفور العباسي رحمه الله ماذا نعمل أولاً الاستغفار أو الصلاة على النبي ﷺ؟ فقال: الاستغفار مثل صابون غسيل الثوب، بينما الصلاة على النبي ﷺ كغيب الثياب، فهل تطيب الثوب أولاً أو تجلسها بالصابون؟ فأجاب السائل: يا سيدي! المناسب أن تغسل بالصابون ثم تطيب بالثياب فقال: كذلك استغفر الله أولاً بكمال ثم حتى يظهر القلب ثم تصلي عليه

بمحبته واحترام حتى تنطيب ويدخل طيب حب الرسول ﷺ في عضو عضو.

ويستغل بعد التسبيحات في الذكر والمزاجية أي في دروس أعضائها شيخه ويراقب بتوجه كامل بعد دفع جميع الوسوس، وقد وصى الحوارج بهاء الدين نقشبند البخاري رحمه الله للشيخ مولانا محمد يعقوب الشرخي رحمه الله أن اشغل في الدرس الباطني قبل طلوع الصباح.

يؤدي ركعتي الفجر في البيت فإنه سنة ثم يخرج إلى المسجد ويؤدي صلاة الفجر بجماعة مع التكبيرة الأولى، ويلتزم محافظة التكبيرة الأولى على نفسه في القرائن، فإنه شعار الصالحاء، وكان مشايخ سبلستان العالية لا تفوت لهم التكبيرة الأولى شهوراً متواصلة.

بدخل المسجد بعد قراءة الأذعية المستثناة ويشوي الاعتكاف ويستفبح جداً الاشتغال بالتكلم عن أمور الدنيا في المسجد ويصلي كل صلاة كأنها آخر صلاة في الحياة حتى يتألى عزلة كاملة.

يسبح بعد كل صلاة بتسبيحات فاطمية ثم يقول: «سبحان الله والخم لله ولا إله إلا الله والله أكبر» مرة واحدة، ويقرأ آية الكرسي مرة ويريد عليها بعد الفجر والمغرب «اللهم أجزني من النار» سبع مرات و: «اللهم اغفر لي وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات» عشر مرات. كان مرشد العالم رحمه الله تعالى يواظب على هذا العمل.

يقرأ بعدها جزءاً من القرآن الكريم ويقرأ الحفاظ حسب احتياجهم ويتخذ قراءة سور يس من أعمال يومية.

ويصلي أربع ركعات للإشراف عندما ترتفع الشمس قدر رُمح أو ركعتين وله ثواب حج وعمره. كان الشيخ مولانا محمد يعقوب شرخي

يَقْرَأُ بَعْدَ الْإِشْرَاقِ عَشْرَ مَرَّاتٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَوَضَاهُ بِهَا الشَّيْخُ سَيِّدُ الدِّينِ الْبَاقُورِي.

[الرسالة السنّة ص ٣٣]

كَانَ مَشَايِخُ بُخَارَى يَتَوَوَّنُ الْاسْتِخَارَةَ فِي تَوَاقِلِ الْاِسْتِشْرَاقِ، ثُمَّ يَتَأَمُّونَ قَلِيلًا لِيَتَيَّنَ اللَّهُ لَهُمْ أَعْمَالُ الْيَوْمِ كُلِّهِ، وَكَانُوا يُدَاوِمُونَ عَلَى قِرَاءَةِ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ، وَسُورَةِ الْكَافُرُونَ، وَسُورَةِ الْإِنْفَالِ، وَسُورَةِ الْفُلُقِ، وَسُورَةِ النَّاسِ بَعْدَ كُلِّ صَلَاةٍ. وَيَهْدُونَ ثَوَابَهَا لِلْمَنِيِّ ﷺ وَجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ.

ثُمَّ مَنْ يَشْتَغِلُ بِالْعَلِيمِ أَوْ الْعَلَمِ فَلْيَشْتَغِلْ فِيهِ، وَإِنْ كَانَ قَاجِرًا أَوْ مُوظَّفًا فَلْيَشْتَغِلْ فِي عَمَلِهِ مُرَاعِيًا الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ، وَيُكْرِمَ اللَّهَ تَعَالَى حَقَّهُ بِقُرْؤِ الْعَمَلِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَعَالَى اللَّهُ لَهُمُ بَحْرَةٌ وَلَا تَعْنُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (التور: ١٢٧) وَهَذَا يُقَالُ لَهُ: الْوُقُوفُ الْقَلْبِي أَيْ تَكُونُ الْيَدُ مُشْتَغِلَةً بِالْعَمَلِ وَالْقَلْبُ مُشْغُولٌ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَيُصَلِّي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ لِصَلَاةِ الضُّحَى عِنْدَمَا يَزْدَادُ ارْتِفَاعُ الشَّمْسِ. كَانَ الشَّيْخُ الْخَوَاجَه عُبَيْدُ اللَّهِ أَخْرَارَ يُصَلِّي فِي الرُّكْعَةِ مِنَ الضُّحَى سُورَةَ وَالشَّمْسِ وَضَحَاها، وَفِي الثَّانِيَةِ: وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، وَفِي الثَّالِثَةِ: وَالضُّحَى، وَالرَّابِعَةِ: أَلَمْ تَشْرَحْ.

[إنفاس نفسية ص ١٧]

مَنْ لَمْ يَقْرَأْ عَلَى صَلَاةِ الضُّحَى لِمَشَاغِلَ دُنْيَوِيَّةٍ أَوْ مُوَاطِئَةٍ مَكْتَبِيَّةٍ فَلْيُصَلِّ فِي وَقْتِ الْإِشْرَاقِ رَكَعَتَيْنِ بِنِيَّةِ الْإِشْرَاقِ وَأَرْبَعَ رَكَعَاتٍ بِنِيَّةِ صَلَاةِ الضُّحَى، وَهَذَا الْعَمَلُ أَحْسَنُ وَأَنْسَبُ لَزَمَانِنَا.

إِنْ أَمَكَنَّ بَعْدَ الْعَدَاءِ أَنْ يَفْقِلَ فَلْيَقِلْ، فَإِنَّ الْقِلِيلَ لَوْ لَوْنُهُ سُنَّةٌ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وبها تتيسر الموافقة على التهجد، وعندما زالت الشمس فليصل أربع ركعات لسنة الظهر، وليصل أربع ركعات لصلاة الظهر في المسجد بجماعة.

كَانَ الْحَوَاجَةُ غَيِّدَ اللَّهِ أَخْرَارَ يَقُولُ: لِيَقْرَأَ بَعْدَ الظُّهْرِ كَلِمَةً (بَارَكْتَ) ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَهِيَ: إِلَهِي مَقْصُودِي أَنْتَ وَرَضَاؤُكَ هَبْ لِي حُبَّكَ وَمَعْرِفَتَكَ وَالرَّغْبَةَ وَالشَّوْقَ إِلَيْكَ.

[أنفاس نفسية ص ٨٤]

تَعْدَ الظُّهْرِ يَسْتَعْلِي فِي أَعْمَالِهِ وَإِنْ كَانَتْ فُرْصَةً، فليقرأ ذَلَّالَ الْخَيْرَاتِ، أَوْ حَزَبَ الْبَحْرِ حَسْبَ مَا أُذِنَ لَهُ مِنْهُ، وَيَقْرَأُ الشَّجَرَةَ الشَّرِيفَةَ مَرَّةً، وَإِنْ كَانَ فِي الْوَقْتِ سَعَةً فَلْيَطْلُغْ كُتُبَ الْحَدِيثِ أَوْ الْفِقْهِ أَوْ التَّصَوُّفِ، وَخَاصَّةً مَكْتُوباتِ الْإِمَامِ الرَّبَّانِيِّ، أَوْ الْمَكْتُوباتِ الْمَغْصُومِيَّةِ أَوْ سِيرُ مَشَايِخِ السَّلْسَلَةِ النَّقشبندية، وَعَمَلُ بَعْضِ الْمَشَايِخِ قِرَاءَةُ سُورَةِ الْفَتْحِ بَعْدَ الظُّهْرِ أَيْضاً.

بَعْدَ صَلَاةِ الْغُضْرِ يَسْتَعْلِي فِي الْأَوْرَادِ وَالْوَطَائِفِ. قَالَ الْحَوَاجَةُ دُوسْتِ مُحَمَّدِ الْقَنْدَهَارِيِّ: لِيَرَاقِبِ السَّائِلُ عَلَى أَطَائِفِهِ بِالترتيب الآتي:

عَلَى لَطِيفَةِ الْقَلْبِ اسْمُ اللَّهِ تَعَالَى ٥٠٠٠ مَرَّةً، وَعَلَى لَطِيفَةِ الرُّوحِ ١٠٠٠ مَرَّةً، وَعَلَى لَطِيفَةِ السَّمْعِ ١٠٠٠ مَرَّةً، وَعَلَى لَطِيفَةِ الْبَصَرِ ١٠٠٠ مَرَّةً، وَعَلَى لَطِيفَةِ الْفَهْمِ ١٠٠٠ مَرَّةً، وَعَلَى لَطِيفَةِ الْفَالِقِ ١٠٠٠ مَرَّةً، يَغْنِي مَجْمُوعُ ذِكْرِ اسْمِ الذَّاتِ ١٢٠٠٠ مَرَّةً.

يَصَلِّي الْمُعَرَّبُ بِجَمَاعَةٍ، ثُمَّ يُؤَدِّي سِتَّ رَكَعَاتٍ إِلَى اثْنَيْ عَشْرَةَ رَكَعَةً بِنِيَّةِ صَلَاةِ الْأَوَائِينَ، ثُمَّ يَشْرَأُ سُورَةَ الْوَاقِعَةِ، وَسُورَةَ أَلَمِ السَّجْدَةِ، وَسُورَةَ الدُّخَانِ.

ثم يأكل ويشرب ويصلي العشاء بجماعة. ويستغفر مائة مرة ويصلي على النبي ﷺ مائة مرة، ثم يقرأ سورة المُلِك.

كَانَ عَمَلُ مُرْشِدِ الْعَالَمِ رَجَمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ يَصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مَرَّةً، وَسُورَةَ الْفَاتِحَةِ مَرَّةً، وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ مَرَّةً، وَسُورَةَ الْكَافُرُونَ وَسُورَةَ الْإِخْلَاصِ وَالْفَلَقِ وَالنَّاسِ مَرَّةً، ثُمَّ يَصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَيَجْعَلُ حَوْلَهُ حَصَاراً ثُمَّ يَنَامُ لَيْلاً، وَهَذَا الْعَمَلُ مُفِيدٌ جَدّاً لِلْحِفْظِ.

عَلَى السَّائِلِكِ أَنْ يَؤَاطِبَ عَلَى قِرَاءَةِ آيَةِ الْكُرْسِيِّ وَالْمَعْوَذَتَيْنِ وَتَسْبِيحَاتِ فَاطِمِيَّةٍ بَعْدَ كُلِّ فَرِيضَةٍ وَيَصَلِّي صَلَاةَ التَّسْبِيحِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَيُحَاوِلُ اغْتِسَاكَ الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنْ رَمَضَانَ. وَيُحَاوِلُ قِيَامَ لَيْلَةِ بَضْفِ شَعْبَانَ وَلَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَلَيْلَةِ عِيدِ الْفِطْرِ، وَلَيْلَةِ عِيدِ الْأَضْحَى.

وَيُحَاوِلُ أَنْ يَصُومَ الْأَيَّامَ الْبَيْضَ أَيْ الثَّلَاثَ عَشَرَ وَالرَّابِعَ عَشَرَ وَالخَامِسَ عَشَرَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ قَمَرِيٍّ، وَسِتّاً مِنْ شَوَّالٍ، وَتِسْعاً مِنْ أَوَّلِ ذِي الْحِجَّةِ إِلَى تَاسِعِهِ وَيَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَالْخَامِسَ عَشَرَ مِنْ شَعْبَانَ، وَثَمَانِيَةً مِنْ أَوَّلِ شَهْرِ رَجَبٍ وَشَعْبَانَ، وَإِنْ كَانَ أَغْرَبَ فَلْيَكْثِرْ مِنْ صِيَامِ الثَّقَلَيْنِ. وَخَيْرُ الصِّيَامِ الصَّوْمُ يَوْماً وَالْإِفْطَارُ يَوْماً. وَصِيَامُ النَّهْرِ مَكْرُوهٌ.

وَإِنْ كَانَ فِي ذِمَّتِهِ صَلَوَاتٌ قَائِمَةٌ أَوْ صِيَامٌ فَلْيَقْضِهَا أَوَّلًا، وَلْيَحْفَظِ الْأَذْيَعِيَّةَ الْمَسْنُونَةَ لِلْمُنَاسِبَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ، فَلْيَدْعُ بِهَا فِي مَوَاقِعِهَا.

لِيَهْتَمَّ لِلصُّحَّةِ الرُّوحَانِيَّةِ مَعَ الصُّحَّةِ الْجِسْمَانِيَّةِ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ». كَانَ مَشَابِهُنَا يَتَجَوَّلُونَ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ صَبَاحاً وَمَسَاءً.

إِنْ أَرَادَ التَّعْدِيلَ فِي الْأَوْرَادِ فَلْيَسْتَأْذِنْ شَيْخَهُ.

الباب الحادي عشر

في المعارف والحقائق

ملحوظة: ذُكرت في هذا الباب لإفادة السائلين معارف وحقائق أُخذت من كتب التصوف المعتبرة.

الدنيا :

ذَكَرَ شَخْصٌ الدُّنْيَا بِسَوْءٍ عِنْدَ رَابِعَةِ الْبَصْرِيِّ فَغَالَتْ : لَا تَأْتِنِي بَعْدَ الْيَوْمِ لِأَنَّكَ تَحِبُّ الدُّنْيَا كَثِيرًا.

عَنْ سَاقِرٍ فِي الدُّنْيَا الْمَادِيَّةِ يُصَابُ قَدَمُهُ بِالْقُرُوحِ، وَمَنْ سَاقَرَ فِي الدُّنْيَا الرُّوحَانِيَّةِ يُصَابُ قَلْبُهُ بِالْغُمُومِ.

اتَّصِلُوا بِالدُّنْيَا يَقْدِرِ الْحَاجَةُ كَالْحَمَامِ.

طَالِبُ الدُّنْيَا كَشَارِبِ مَاءِ الْبَحْرِ كُلَّمَا يَشْرَبُ يَزْدَادُ غَطْشًا.

قَالَ مَلِكٌ لِفَقِيرٍ : اسْأَلْنِي يَا فَقِيرُ مَا تَرِيدُ. فَقَالَ الْفَقِيرُ : مَاذَا أَسْأَلُ

عَبْدَ عَبْدِي ؟ فَقَالَ الْمَلِكُ : مَاذَا تَغْنِي ؟ فَقَالَ الْفَقِيرُ : الدُّنْيَا عَبْدِي وَأَنْتَ عَبْدُ الدُّنْيَا.

قِيلَ لِدَيِّ الثُّونِ الْمِصْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ : الْجَمَاعَةُ الْفُلَانِيَّةُ مُشْتَوِلَةٌ فِي الْفَرْجِ وَالطَّرَبِ وَالْيَعِزِّيَّانِ، فَادْعُ عَلَيْهِمْ. فَقَالَ : اللَّهُمَّ كَمَا مَنَحْتَ لَهُمُ الْأَفْرَاحَ فِي الدُّنْيَا فَامْنَحْ لَهُمُ الْأَفْرَاحَ فِي الْآخِرَةِ.

الدُّنْيَا حَقِيقَتُهَا كَمَائِدٍ رُبَّنَ يُوَزَّقُ الْفَضَّةُ أَوْ كَعُجُوزٍ أَلَيْسَتْ ثِيَابًا جَمِيلَةً.

لَوْ قَامَ النَّاسُ لِتَعْظِيمِ أَهْلِ الدُّنْيَا فَلَا تَعَجَّبَ أَقْلًا يَقُومُ النَّاسُ لِلْحَيَّةِ
وَالْعَقْرَبِ .

إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ مَعْرِفَةَ تَدْبِيرِ أَحَدٍ، فَانْظُرْ إِلَى دُنْيَاهُ . إِنْ كَتَبَتِ الدُّنْيَا
صَحِيحَةً فَالَّذِينَ صَحِيحَ .

إِنْ كَانَ الْقَلْبُ خَالِيًا عَنِ الْمَغِيرِ، وَالبَطْنُ خَالِيًا عَنِ الْحَزَامِ، فَكُلُّ
اسْمٍ اسْمٌ أَكْثَمُ .

قَالَ لِقَمَانُ الْحَكِيمُ: تَرَعْرَعْتُ فِي ضَوْءِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَلَكِنْ لَمْ
أَجِدْ شَيْئًا أَكْثَرَ نَفْعًا مِنْ ضَوْءِ الْقَلْبِ .

إِنْ كَانَ الْقَلْبُ أَسْوَدَ فَلَا يَنْفَعُ الْأَعْيُنَ اللَّامِعَةُ شَيْئًا .

يُفْسَدُ بَيْتٌ لَا زِينَةَ فِيهِ، كَذَلِكَ يَفْسُدُ قَلْبٌ لَا عَمَّ فِيهِ .

قَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ: الْقَلْبُ كَالْقَلْبَرِ وَاللِّسَانُ كَالْمِلْعَقَةِ . وَلَا تُخْرِجُ
الْمِلْعَقَةُ إِلَّا مَا فِي الْقَلْبَرِ .

سُئِلَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: غِنَاءُ الْقَلْبِ .
فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْقَلْبُ غِنِيًّا .

لَا يَكُونُ فِي سَوْرِ الْقِيَامَةِ سِلْعَةٌ أَثَمَتْ مِنْ تَطْيِيبِ قَلْبٍ مُؤْمِنٍ .

عِبَادَاتُ :

شَيْئَانِ: كَمَا أَنَّ عِبَادَةَ فِيمَا مَضَى وَأَضْبَحْنَا الْيَوْمَ عَادَةً: التُّكَاخُ
وَالطُّعَامُ .

سَبَبُ عَدَمِ الْعِلْمَانِيَّةِ فِي الصَّلَاةِ الْمَعَاصِي . كَمَا لَوْ أَنَّ عَامِلًا فِي
مَصْنَعٍ جَلَدِي يَذْهَبُ إِلَى دُكَّانٍ عِطَارٍ بِضَيْقٍ نَفْسِهِ .

أَوَّلُ حُضُورٍ فِي الصَّلَاةِ أَنْ يُصَلِّيَ بِنِيَّةِ التَّغْفِيرَةِ .

أَخْفَى بِقَالَ صِيَامَهُ ثَلَاثًا وَعِشْرِينَ سَنَةً . رُغِمَ أَهْلُهُ أَنَّهُ تَغَدَّى فِي

الدُّكَّانَ، وَزَعَمَ أَهْلُ الدُّكَّانِ أَنَّهُ أَكَلَ فِي الْبَيْتِ قَيْلَ الْإِثْيَانِ. لَمْ يُخَيَّرْ أَحَدًا بِصِيَامِهِ. هَذَا هُوَ الْإِخْلَاصُ.

عِبَادَةُ لَا تُعْطِي لَذَّةً فِي الدُّنْيَا مَاذَا يَكُونُ جَزَاؤُهَا فِي الْآخِرَةِ؟
ذَهَابُكَ إِلَى الْمَسْجِدِ بَعْدَ صَلَاةٍ أُخْرَى عَلَامَةُ قَبُولِ الصَّلَاةِ الْأُولَى.
وَرُودُ الْخَيَالَاتِ الْمَحْمُودَةِ فِي الصَّلَاةِ كَعِظَمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْقَبْرِ
وَالْخَشْرِ وَالْجَنَّةِ لَا يُتَأَنَّى الْخُشُوعُ، كَانَ عَمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقِيْمُ صُفُوفَ
الْجِهَادِ فِي الصَّلَاةِ.

قَالَ الشَّيْخُ النَّائِثُوتِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ بِمِثَالِ
ازْدَادِ الْحَسَنَاتِ بَعْدَ الْحَجِّ فَخَيْرٌ وَإِنْ غَلَبَ الشَّرُّ فَفَسَادٌ وَهَلَاكٌ.

يَضَعُ الْإِنْسَانُ فِي الصَّلَاةِ أَشْرَفَ الْأَعْضَاءِ (الرَّجُلِ) عَلَى أَحْسَنِ
الْأَشْيَاءِ (الْأَرْضِ). وَمِنْ ثَمَّ يُقَالُ: الصَّلَاةُ مِعْرَاجُ الْمُؤْمِنِينَ.

التَّوْبَةُ:

الْإِثْمُ بِدَائِيهِ كَكَيْتِ الْعَتَكُوتِ، وَنَهَائِيهِ كَمَرَسَى السَّفَنِ وَالْبَاحِرَةِ.
مَنْ تَدِمَ عَلَى الْإِثْمِ فَهُوَ وَلِيٌّ، وَمَنْ لَا يُتَالِي بِالْإِثْمِ فَهُوَ إِنْسَانٌ، وَمَنْ
يَفْرَحُ عَلَى الْآثَامِ فَهُوَ الشَّيْطَانُ.

لَا تُنْظَرُوا إِلَى الْإِثْمِ مَا أَصْغَرَهُ، بَلْ انْظُرُوا إِلَى عِظَمَةِ اللَّهِ تَعَالَى
الَّذِي تَعَصَّوْهُ.

لَوْ تَغْلِقُونَ الْأَبْوَابَ لِإِخْفَاءِ الْمَعَاصِي لَيَقَى الصَّدَقُ خَارِجًا.
لِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْعَبْدِ طَرِيقَانِ: الْأُولَى: الْعِصْمَةُ قَبْلَ
الْمَعَاصِيَةِ، وَالْأُخْرَى: تَوْفِيقُ التَّوْبَةِ بَعْدَ الذَّنْبِ.

ذَنْبٌ يُسَبِّحُكُمْ خَيْرٌ مِنْ عَمَلٍ يَفْرَحُكُمْ.

عَلَامَةُ صِدْقِ التَّوْبَةِ أَلَّا يَتَّهَمَ بِتِلْكَ التَّعَصُّبِيَّةِ.

لا يوجد شخص ترك شيئاً مكرهاً ولم ينل شيئاً عزيزاً .
قال إبراهيم التيمي : الإخلاص أن يخفي الإنسان الحسنات كما
يخفي السيئات .

ارتكاب ذنب بنية أن يترك بعد المباشرة مرة أو مرتين خطأ كبيراً .
كما أن الشجر لا يستقل ثمره كذلك الإنسان لا يستقل آثامه .
على الزايع أن يذكر الناس بآلاء الله تعالى حتى يشكروا ، ويذكروهم
بذنوبهم ليثربوا ، ويذكروهم عداوة النفس والشيطان حتى يجتنبوا .
يخفي في النفس جميع الذنوب كما تخفي النار في الكبريت .
تستعمل ناز الآثام بمجرد حكمة .

الشيخ والمريد :

سكوت المرشد أنفع للطالب الصادق من نطقه .

الشيخ : هو الذي يهدي المريد إلى الله ، والمريد : هو الذي يمشي مع الشيخ .

تطبخ - يأتي وقت تستد قوته إن أترلوها فيها وإلا تخف قوته .
يقال تفاوت عدد المریدین لشيخین كشافين : أحدهما صاحب
أولاد والثاني عقيم ، ولكن الرجولية سواء .

ياخذ المرید الفيض من الشيخ كما ياخذ الناس العسل من النحل .
ينبغي للمشيخ أن يوصي بشيئين : الأول : إصلاح الأخلاق ،
والثاني : تحصیل العلم بقدر الحاجة .

يفكر عند نظر السوء أنه لو كان الشيخ ينظر لا يفعل ، فكذلك
يستحي من اللغو .

قال غافل لشيخ : مریدك يذكر مؤثماً فقال : عنده مبراج ضعيف
فيرجى له المغفرة وما عندك مثله أيضاً .

مَنْ حَافِظٌ عَلَى الْأَوْزَادِ تَزَلَّ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ رَحْمَةٌ. طَمَئِينَةُ الْقَلْبِ
أَمَتُهُ تَأْتِيهِ بِدُونِ مَشَقَّةٍ.

عَلَى السَّالِكِ أَنْ يَكْتَفِي عَلَى قَضَاءِ ضُرُورِيَّاتِهِ وَلَا يَتَّبِعَ اللَّذَاتِ.
فَمَنْ وَقَعَ نَظَرُهُ عَلَى امْرَأَةٍ جَمِيلَةٍ بَاتِيَ زَوْجَتَهُ، وَلَيْقُضَ حَاجَتَهُ مِنْهَا، وَاللَّهُ
الْمَوْفِقُ.

الْمُجْدُوبُ وَإِنْ كَانَ مَقْبُولًا لَكِنَّهُ نَاقِصٌ وَلَيْسَ بِكَامِلٍ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ».

[شرح السنة ج ١ ص ٢٥٦]

فَالشَّيْخُ الزُّوْحَانِيُّ كَالْوَالِدِ وَزَوْجَتُهُ كَالْأُمِّ.

قَالَ الشَّيْخُ أَضْدَادُ اللَّهِ الْمَهَاجِرُ الْمَكِّيُّ: أَتَابِعُ كُلَّ شَخْصٍ يَرْغَبُ فِي
الْبَيْعَةِ. لَعَلَّهُ يَرَى شَيْخَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَذْهَبُ بِهِ إِلَى جَهَنَّمَ، فِيرْحَمُهُ الْمُرِيدُ
فَلَعَلِّي يُغْفِرُ لِي بِرَحْمَتِهِ.

قَدَّمَ رَجُلٌ هَدِيَّةً إِلَى الشَّيْخِ وَطَلَّبَ مِنْهُ الدُّعَاءَ، فَضَالَ الشَّيْخُ:
أَرْجِعُوا الْهَدِيَّةَ لَيْسَ هَذَا مَحَلٌّ يَبِيعُ الْأَدْعِيَةَ.

عِنْدَ خِدْمَةِ الشَّيْخِ يَتَوَدَّى الْعَمَلُ بِالسُّنَّةِ إِذْ هِيَ ثَابِتَةٌ بِالْأَخَادِيثِ.
وَلَكِنْ لَمْ يَثْبُتْ دَهْنُ الرَّأْسِ بِالرَّوَايَاتِ فَيَنْبَغِي لُبَّةُ ضَرُورَةُ الْيَدَنِ.

لِيَخْتَصِبَ الشَّيْخُ الْمُرِيدُ الْأَيْمَ كَوَجْهِ جَمِيلَةٍ أَضْيَافِهِ جِئْرَ أَسْوَدَ لَوْ
اُخْتَسَلَتْ ظَهْرُ وَجْهِهِ مُقْبِرٌ.

الْعَارِفُ بِالْحَقِّ يَرَاهِي الشُّوُونَ وَالتَّجَلِّيَاتِ لِمَا وَجَدَ الشَّيْخُ ﷺ خَلْبَةً
تَجَلِّيَاتِ الْمَحْبُوبِيَّةِ رَأَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُرِيدُ أَنْ يَفْخَرَهُ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنْ
تَهَلَّكَ هَذِهِ الْعِصَابَةُ الْيَوْمَ لَا تُعْبَدُ».

[سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٦٧]

رَأَى أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُجِيبُ أَنْ يَرَى مِنْهُ الضُّبْرَ، فَلَمْ

يدعُ للشقاء. ولَمَّا اكْتَشَفَ لَهُ أَنَّ اللَّهَ نَجِبَ إِظْهَارَ الْعَبْدِيَّةِ قَالَ: ﴿أَيُّ مَسْنَى
الْمَسْطَرِّ يُقْسِبُ وَعَدَابٍ﴾ (ص: ١٤١).

ليكن الشيخ لساناً والمريد أذناً، وتنبغي للمشايع ألا يفعلوا عادة
المريدين بأمور يتكبرون فإِنَّهُ مُضِرٌّ وليس بنافع.
القائي لا يرد كالبالغ لا يرجع إلى الصبي، والثمر الثابح لا يعود نيناً.

التقوى:

التقوى: أن لا يأخذ أحد برفقتك يوم القيامة.
التقوى: أن يجسد متمنيات القلب فيوضع في العلق ويعرض في
الأسواق فلا يكون تدامة.
وَلَدُنَا فِي زَمَانٍ اسْتَعَاذَ السَّلَفُ الصَّالِحُونَ مِنْهُ مَعَ اتِّصَافِهِمْ بِالْعِلْمِ
وَالْتَقْوَى.

ورود الوسوس رخصة لا ينافي التقوى. والجحمة فيه أن يتقطع بها
أساس العجب. «ذلك صريح الإيمان».
تتعلق الولاية بالإيمان والتقوى، وهما تتعلقان بقلب الإنسان.
التقدم بدون التقوى كجئت مفوخة لا روح فيها.

الذكر والمراقبة:

السالك يطمئن بالمراقبة كما يطمئن الولد في حجر أمه.
يخفر البئر فيخرج الرمل أولاً ثم الماء. كذلك المبتدئ يرد له
الوسوس أولاً في المراقبة ثم يحصل الاطمئنان والعزلة.
السالك كالثائم يعرف بعد اليقظة أن المحبوب الحقيقي عنده.
سكر الذكر يخفف حيل الوجود.
الأفضل عند سماع الأذان ترك الذكر والرد على المؤذن.

إِنْ لَمْ يَطْمَئِنَّ فِي الْمُرَاقَبَةِ فَلْيُرَاقِبْ يَوْمًا وَلْيَبْرُكْ يَوْمًا.

الدَّعَاءُ :

الدَّعَاءُ الْحَقِيقِيُّ مَا يُخْرَجُ مِنْ جَمِيعِ أَعْضَاءِ الْجِسْمِ .

كَانَ الشَّيْخُ عُثْمَانُ الْخَيْرِ بِلَادِي يُعْطِي الْمَالَ لِلْمَشْتَرِينَ مُقَابِلَ الْعُمَلَةِ الْمَزِيْقَةِ، وَدَعَا عِنْدَ الْمَوْتِ وَقَالَ : (اللَّهُمَّ إِنِّي قَبِلْتُ مِنَ النَّاسِ الْعُمَلَةَ الْمَزِيْقَةَ، اللَّهُمَّ فَتَقَبَّلْ مِنِّي الْأَعْمَالَ الْمَزِيْقَةَ، فَتَقَبَّلَ اللَّهُ دُعَاءَهُ).

كَانَ الشَّيْخُ شَهَابُ الدِّينِ الْخَطِيبُ يَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ لَا يَكُنْ عِنْدِي أَحَدٌ عِنْدَ الْمَوْتِ لَا قَرِيبٌ وَلَا أَجْنَبِي وَلَا مَلَكُ الْمَوْتِ، أَكُونُ أَنَا وَأَنْتَ فَقَطْ .

الدَّعَاءُ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ يَرُدُّ الْبَلَاءَ وَيَغْدُو التَّزْوِيلَ لَا يُزِيلُ الْمُصِيبَةَ وَلَكِنْ يُخَفِّفُهَا .

لَوْ تَدْعُو عِنْدَ شَاطِئِ الْبَحْرِ بِالسُّقُوفِ الْكَامِلِ تَأْتِيكَ الْأَمْوَاجُ بِالْأَضْدَاقِ الْمَلِينَةِ بِاللَّالِئِ .

كَانَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ الثَّوْرِيُّ رَجَمَهُ اللَّهُ يَدْعُو بِهَذَا الدَّعَاءِ :

اللَّهُمَّ إِنْ لَمْ تُغْفِرْ لِي فَأَمْلَأْ مِنِّي جَهَنَّمَ وَاعْفِرْ لِنَسَائِرِ النَّاسِ .

مِنْ قَوَائِدِ الدَّعَاءِ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : اللَّهُمَّ إِنِّي دَعَوْتُكَ أَنْ تَجْعَلَنِي صَالِحًا فَبَعْدُ .

عِلَاجُ الْخَسَدِ أَنْ يَدْعُو لِلْمَحْسُودِ أَنْ تُرْفَعَ دَرَجَتُهُ .

الْعِلْمُ وَالْعَمَلُ :

الْإِخْلَاصُ أَلَّا يَطْلُبَ الْإِنْسَانُ خِزَاءَ أَعْمَالِهِ .

مَثَلُ الْعَالِمِ الَّذِي لَا يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ كَمَثَلِ الْيَاقُوتِ الْأَخْضَرِ بِجَعْلٍ غَيْرِهِ ذَهَبًا وَيَتَنَقَّى هُوَ خَجَرًا .

مَنْ عَالِمٌ لَا يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ مِثْلَ مَرِيضٍ عِنْدَهُ دَوَاءٌ وَلَا يَتَنَاوَلُهُ،
كَمَا أَنَّ السَّرَاحَ لَا يَضِيءُ بِدُونِ إِشْعَالٍ، كَذَلِكَ الْعِلْمُ لَا يَنْفَعُ بِدُونِ
الْعَمَلِ.

عَالِمٌ لَا يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ كَوَلَعَقَةٍ فِي الطَّعِيمَةِ لَا تَعْرِفُ لَذَّتَهُ.
تَعْلَمُ الْعِلْمَ وَازْدِيَادَهُ غَيْرَ مُفِيدٍ مَا لَمْ يَزِدْهُ مَخَافَةُ اللَّهِ تَعَالَى.
الْجِدُّ بِأَيْدِينَا وَالتَّوْفِيقُ بِيَدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعَلَيْنَا أَنْ نُسْتَغْفِرَ مَا فِي
أَيْدِينَا.

الْإِنْسَانُ الْمَبْتَعِظُ شَرٌّ مِنَ الْمَيِّتِ لِأَنَّ الْمَيِّتَ يَشْغُلُ مَكَانًا قَلِيلًا،
قَالَ الشَّيْخُ أَبُو يَزِيدَ الْبِسْطَامِيُّ: إِنِّي جَاءَهُدْتُ نَفْسِي ثَلَاثِينَ عَامًا فَلَمْ
أَوْ شَيْئًا أَشَقَّ مِنَ الْعَمَلِ بِالْعِلْمِ.

اسْتَشْفَعَ الْقَاضِي الْبَيْضَاوِيُّ شَيْخًا لِقَضَاءِ شِيرَازَ، فَكَتَبَ فِي خُطَابِ
الْشُّفَاعَةِ: إِنَّ هَذَا رَجُلٌ صَالِحٌ عَالِمٌ فَاحْضِلْ يَرِيدُ مَكَانَ سَجَادَةٍ فِي جَهَنَّمَ.
كَمَا أَنَّ الْعَمَلَ لِلخَلْقِ رِيَاءٌ كَذَلِكَ تَرَكَ الْعَمَلَ لِلخَلْقِ رِيَاءٌ.

لَا يَجُوزُ النُّقْدُ عَلَى الْعَالِمِ السُّبْحِيِّ الْعَمَلُ لِأَنَّهُ يَدْعِي الْعِلْمَ دُونَ
الْعَمَلِ.

قَالَ هَمَزُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا يَتَّبِعُ فِي أَسْوَاقِنَا إِلَّا مَنْ يَكُونُ فَقِيرًا.
سُبْحَانَ اللَّهِ! تَجْعَلُ كُلَّ الدُّوَلَةِ مَدْرَسَةً.

لِلْعُلَمَاءِ الْكِبَرَامِ:

كَسِرُ تَمَرٍ نَفْسٍ دَاخِلٌ فِي إِمَامَةِ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ.
الْمَرَضُ الرُّوحَانِيُّ الْمُتَشَشِرُ الْيَوْمَ: ﴿يَكُنْ لَنَا يَسْلَ مَا أَوْفَى قَدْرَهُ إِنَّهُ
لَدَوْ حَقِّ عَزِيمَةٍ﴾ (القصص: ٧٩).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ: النَّاسُ يَطْلُقُونَ أَنَّ أَكْبَرَ

كرامة للصحابه رضي الله عنهم أجمعين، أن جُئِدَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنهم غَيْرَ بَخْرٍ وَجَلَّةٍ وَلَكِنْ أَكْبَرَ كَرَامَةٍ لَدَى الْمُحَقِّقِينَ أَنَّ خَزَائِنَ الْقَيْصَرِ وَالْكَسْرَى سَالَتْ قُدَّامَهُمْ فَمَشَوْا فِيهَا مُحَافِظِينَ عَلَى إِيْمَانِهِمْ.

لا خَرَجَ فِي النِّسْبَةِ إِلَى النَفْسِ بَلَدِي وَالْجَشْتِي، قَالَ يَوْسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ مَائِدَةً لِرُوحِهِمْ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [يوسف: ٢٣٨]، وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَتَاعًا لِشَرِيعَةِ أَنْزَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى.

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ [آية، التوبة: ٢٤] بِفَهْمٍ مِنْهُ أَنَّ الصَّبْرَ يَنْصَرِفُ عَنِ الْأَذَى عِنْدَ حُضُورِ الْأَعْلَى.

يُشْرِعُ النَّبِيُّ عِنْدَ ذِكْرِ الْحَبِيبِ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجِئْتُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الأفلاك: ١٢].

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [التكوير: ٢٥] وَهُوَ مُؤَيَّنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَمْعِهِ، وَإِنَّا لَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [الانبيا: ٩٤].

أَشَدُّ كِتَابَةِ الْحَسَنَاتِ إِلَى نَفْسِهِ. نَقْدِي بِأَنْفُسِنَا عَلَى هَذَا الْإِكْرَامِ. لَوْ سَلِمَتْ بَغْعَةٌ بَغِيرَ ذَنْبٍ يُجْزَى بِأَخْسَنِ مِنْهَا. يَدُنْ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا تَنَسَّخَ مِنْ نَافِلَةٍ أَوْ نَسِيَهَا فَوَظَّيْتُهَا بِهَا أَوْ كَلِمَاتٍ﴾ [البقرة: ٢١٠٦].

سَأَلَ مَخْصُصُ الشَّيْخِ أَمَّا يَزِيدُ الْبُسْطَامِيُّ وَقَالَ: لِمَاذَا تُثْنِي عَلَى الْجُوعِ كَثِيرًا فَقَالَ: لَوْ أَصَابَ فِرْعَوْنَ جُوعٌ لَمَا قَالَ: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ أَتَقُولُ﴾ [النازعات: ٢٤].

وَقَدْ مَكَّجَ الدَّرْسَ الْبُسْطَامِيُّ لِلْعُلَمَاءِ ثَمَانِيَةَ أَعْوَامٍ. وَالشَّاهِدُ لَهُ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَهْدَ لَخْدْمَةِ شُعَيْبٍ ثَمَانِي سَنِينَ. وَلَكِنْ لِلتَّخَصُّصِ فِي الْحَدِيثِ أَوْ التَّوَقُّفِ ﴿إِنَّ أَمَمَتَ عَشَرَةٍ مِمَّنْ عَمِلُوا﴾ [الغفر: ٢٧].

بَجُورٍ نِسْبَةٍ الْأَوْلَادِ إِلَى أَبِي الْأُمِّ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ

وَسُلَيْمَانَ وَإِبْرَاهِيمَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِسْهَاقَ كُلٌّ مِّنَ الْمُتَكْوِينِينَ ﴿١٨٤﴾ (الأنعام: ١٨٤، ١٨٥).

ومعلوم أن عيسى ابن مريم لم يكن له والد.

نَفَقَةُ رَيْبٍ سُرُجُ بَغْضِ السَّلَافِ يَكُونُ أَكْثَرُ مِنْ نَفَقَةِ طَعَامِهِمْ.

تَلْبِيَةُ عَظِيمٍ لِلْعُلَمَاءِ غَيْرِ الْعَامِلِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَشِّرْ فِيثْقَلُ مِنَ الَّذِينَ أَوْثَرُوا الزُّكُوفَ وَكَتَبَ اللَّهُ وَرَاءَهُ ظُهُورَهُمْ﴾ (البقرة: ١٧١).

سُئِلَ الْإِمَامُ بِأَقْرَبِ عَنْ تَفْسِيرِ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ (البقرة: ٢٥٦) فَأَجَابَ: كُلُّ مَنْ شَغَلَكَ عَنْ مَطَالَعَةِ الْحَقِّ فَهُوَ طَاغُوتُكَ.

قَالَ الشَّيْخُ حَبِيبُ الْعَجَمِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: رِضَا اللَّهِ تَعَالَى يَكُونُ فِي قَلْبٍ لَيْسَ فِيهِ غُبَارُ النِّفَاقِ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: الشُّكُوفُ حَرَامٌ عَلَى قُلُوبِ الْأَوْلِيَاءِ.

الْعَبْدُ شَانَهُ: ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ (النمل: ٤٤) وَالْمَغْبُودُ مِنْ شَأْنِهِ: ﴿بِعِبَادِهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكَ﴾ (الزخرف: ٦٨).

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو يَزِيدَ الْبَسْطَامِيُّ: مِنَ الْمَحَبَّةِ أَنْ يَسْتَقْبَلَ الْمَحَبُّ مَا يُعْطَى هُوَ، وَأَنْ يَسْتَكْثِرَ الْمُحِبُّ مَا يُعْطِيهِ الْمَحْبُوبُ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ (النساء: ٧٧)، وَقَوْلُهُ: ﴿وَاللَّامِكِينَ اللَّهُ كَثِيرًا﴾ (٧٧) حَزَابٍ: ٣٥ دَلِيلٌ عَلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ لِخَلَائِقِهِ.

الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا مَنَاءُ﴾ (طه: ١٦).

حَسَنُ الصُّوَرِ:

كَانَ الشَّاهُ مِينَا يَدْرُسُ شَرْحَ الرَّقَايَةِ. فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى كِتَابِ الزُّكَاةِ تَرَكَ الدِّرَاسَةَ، فَمَسَّالَ الْأُسْتَاذَ لِمَاذَا تَرَكْتَ الدِّرَاسَةَ؟ فَقَالَ: الْمَقْصُودُ مِنْ

الْعِلْمَ الْخَمَلُ، وَالصُّوْمُ وَالصَّلَاةُ فَرَضَانِ، فَعَلِمَهُمَا فَرَضٌ، وَعِنْدَمَا تُفَرِّضُ الرُّكَاةَ أَتَعْلَمُ مَسَائِلَهَا. سُبْحَانَ اللَّهِ! كَانِ السَّلَفُ يَحْتَمِلُونَ بِكُلِّ مَا يَتَعَلَّمُونَ.

قَالَ شَخْصٌ لَشَيْخِ الْإِسْلَامِ عَزَّ الدِّينُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ: قُبِّلَ يَدَيِ السَّلْطَانِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَرْضَى أَنْ يَقْبَلَ السَّلْطَانُ يَدَيَّ، فَضْلاً عَنِّي أَنْ أَقْبَلَ أَنَا يَدَهُ.

قَدَّمَ إِلَى الْوَيْهَرِ مَظْهَرُ جَانِ جَانَانَ سُلْطَانِ الْوَقْتِ عَقَّاراً كَبِيراً فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ عَن جَمِيعِ الدُّنْيَا: ﴿مَنْعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ (النساء: ٧٧) وَأَعْطَيْتَ شَيْئاً قَلِيلاً مِنْ عِذَا الْقَلِيلِ، ثُمَّ تَعْطِينِي قَلِيلاً جَدّاً مِنْ هَذَا الْقَلِيلِ فَأَنَا أَسْتَحْيِي مِنْ قَبُولِ مِثْلِ هَذَا.

جَلَسَ شَيْخٌ قَدَامَ أَمِيرٍ بَاسِطاً رِجْلَيْهِ. قَالَ الْأَمِيرُ: أَغْطَوْا لَهُ هِمِيَاناً مَلِيشاً بِالْمَدَانِيرِ. فَقَالَ: مَنْ يَسْطُ رِجْلِيهِ يَقْبِضُ يَدَيْهِ.

بُنُوِي عِنْدَ اسْتِخْدَامِ الطَّيِّبِ (رِضَاءُ اللَّهِ تَعَالَى، فَقَدْ قِيلَ: عَنِ تَطْيِيبِ اللَّهِ فُلَّهُ أَجْرُ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ أَكْرَمُ أَكْفَوًا إِذَا سَأَلْتَهُمْ طَلَبْتَ مِنَ الشَّيْطَانِ مَذْكُورًا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأمراء: ١٢٠١]. فِيهِ سِلْوَانٌ عَظِيمٌ لِلْمَسْأَلِكِينَ.

نَازَى بَاتِيعُ الْقِشَاءِ: الْجَبَانُ الْعَشْرَةُ بِدَانِي، فَصَرَخَ الشَّيْخُ الشَّيْلِي وَقَالَ: إِذَا كَانَتْ هَذِهِ قِيَمَةُ عَشْرَةِ خِيَارَاتٍ فَمَا ثَمَنُنَا نَحْنُ الْأَشْرَارُ.

قَالَ الشَّيْخُ جُنَيْدٌ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْأَخْوَالِ وَالْبَوَاحِيْدِ: بَلْكَ خَيَالَاتٍ تَرَبَّى بِهَا أَطْفَالُ الطَّرِيفَةِ.

صَدَرَ عَنِ لِسَانِ صَحَابِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَجْعَلْتَنِي لِلَّهِ نَذَا، بَلَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَخَدَعَا».

﴿بَلَّكَ مَا يَكُنْ الْكَسْبُ وَفَرَمَانِ مَبِينٍ﴾ [الحجر: ٤١].

في الجزء الأول ذِكْرُ جِفْقُ الْكِتَابِ، وفي الجزء الثاني أَمْرُ الْقِرَاءَةِ
بِالْفَهْمِ. فَيَمُنُّ الْخَطَأُ أَنْ يُقَالَ إِنَّ الْقِرَاءَةَ بِدُونِ الْفَهْمِ غَيْرُ مُفِيدٍ.

يُحِبُّ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُسَهِّلَ لِلْعَبْدِ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِصَحَّتِكُمْ

الْيُسْرَ﴾ [البقرة: 185].

تَوْجِيهُ عَجِيبٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَلْعَنُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: 1١٦] أَيْ لَا تَحْسَبُوا عِبَادَتَكُمْ كَامِلَةً حَتَّى تَفْتَحِرُوا وَلَا نَاقِصَةً جَدًّا حَتَّى تَطْنُوها مُهْمَلَةً.

مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ عَدَمُ اِطْلَاعِ الْعَبْدِ بِمَا سَيَأْتِي عَدَا. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ

أَتَمَّ الْحَقُّ أَفْوَاهَهُمْ لَقَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [المؤمنون: ٤٧١].

ابْنُ أَبِي الشَّيْخِ أَبُو الْحَسَنِ الثُّورِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ يُوَجِّدُ بِسَمْعِ بَيْتٍ،
فَسَأَلَ النَّاسَ جَنِيدًا: لِمَاذَا لَا يَحْدُثُ لَكَ أَحْوَالٌ؟ فَقَالَ: ﴿وَقَرَى الْقِبَالَ قَسِيمًا

جَانِدَةً﴾ [النمل: 1٨٨].

﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: 1١٧]. يُوجَدُ فِيهِ مِثَالٌ
لِلسَّلَاسِلِ الْأَرْبَعِ.

يَكْفِي فِي الْمَهْمَاتِ التَّشَاوُرُ بِوَاحِدٍ أَوْ اثْنَيْنِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿أَنْ تَقُومُوا

فِي مَوَاقِفٍ وَفُرُجٍ ثُمَّ تَلْفَحُكُرُوا مَا يَصَاحِبُكُمْ مِنْ جَنَّةٍ﴾ [سبا: 1١٦].

يَزُولُ الْفَخْرُ بِالْعِلْمِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا

إِلَيْكَ﴾ [الاسراء: 1٨٦]. كَيْفَ يَفْخَرُ بِالْعِلْمِ أَوْ الْعَمَلِ مَنْ يُذْرِكُ مَعْنَى هَذِهِ
الْآيَةِ؟

يُسْتَدَلُّ عَلَى جَوَازِ قِرَاءَةِ الْجَرِيدَةِ بِأَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَتَفَقَّدُ
أَصْحَابَهُ.

إِذَا خَضِرَ الْعِشَاءُ وَالْعِشَاءُ فَابْدَأُوا بِالْعِشَاءِ.

بِجَوَازِ كَسْبِ الدُّنْيَا وَالْمُنْهِي خُبِّ الدُّنْيَا. بَلْ مِنْ كَمَالِ الرُّحْمَةِ أَنَّهُ

﴿ قُلْ إِن كَادَ مَا أَنتُمْ بِلِقَائِي عُتْمٌ ﴾
 الآية ٢٤ (التوبة: ٢٤).

يُجَاوِزُ الْمُؤْمِنُونَ الصِّرَاطَ فَتَقُولُ جَهَنَّمُ: يَا مُؤْمِنُ اسْرِعْ فَإِنَّ نُورَكَ
أَعْلَمُ نَارِي.

إِذَا رَأَى أَهْلُ الدُّنْيَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَجْوَرَ الْفُقَرَاءِ يَقُولُونَ: «يَا لَيْتَ
جُلُودَنَا قُرِصَتْ بِالْمَقَارِضِ فَتُعْطَى مِثْلَ مَا أُعْطُوا».

لو يَأْتِي يوماً تَدَاءُ: إِنَّكَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَيَأْتِي غَداً تَدَاءُ: إِنَّكَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، يَجِبُ أَنْ لَا يَفْعَلَ أَيُّ تَفَاوُتٍ فِي الْعِبَادَاتِ.

الصَّبْرُ عَلَى كَلَامِ الْجُهَالِ وَكَأُفِ الْعَقْلِ.

عَدَدٌ مَّنْ يَمْرُضُ بِكَثْرَةِ الْأَكْلِ أَكْثَرُ مِّنْ عَدِيدٍ مَّنْ يَمْرُضُ جُوعًا وَفَاقَهُ.

مَنْ يَعْمَلْ بِالصِّدْقِ يَفْعَلْ كُلَّ قَدَمٍ مِنْهُ عَلَى صَدْرِ الشَّيْطَانِ.

العَجَبُ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَمْسُطُ يَدَهُ أَمَامَ الدُّنْيَا وَيُسْكُو مِنَ اللَّهِ تَعَالَى .

يَقْدِرُ قُوَّةَ الْعَذَابِ السَّيِّئَةِ عِنْدَمَا يُنْهَوِلُ تَرْكُهَا.

ثُمَّ قَالَ الْجَنَّةُ يُبْغَضُ مَا يَشْتَرِي بِهِ النَّاسُ جَهَنَّمَ.

يجب المَعذَرَةُ لِلْأَعْيَزَالِ مِنْ أَحَدٍ. وَلَا تَسْأَلُوا الْقَضَى بَيْنَكُمْ.

فَرَاهُهُ الْمُخَاطَبُ لَيْسَ بِعُذْرٍ لِتَرْكِ التَّبْلِغِ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى :

﴿الْمَنْصُوبُ عَنْكُمْ إِلَى الْخَرِّ صَنِيعًا أَنْ تَعْتَبُرُوا قَوْمًا مَسْرُوفِينَ﴾ [الزحرف: ٥٠].

الإثم ما أخاك في ضورك.

حَقِيقَةُ نَكَّةِ نَجْلِي الْأَوْهِيَّةِ، وَحَقِيقَةُ الْمَدِينَةِ تَجْلِي الْعَبْدِيَّةِ، وَحَقِيقَةُ

المشورات :

تَجْتَمِعُ فِي الْجَنَّةِ بِإِذْنِ اللَّهِ الْخُورُ وَالْخُسُوفُ وَالتَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .

يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ عَمَلٌ وَاحِدٌ مُخْتَرَعاً فِي وَقْتٍ وَمُبَاحاً فِي وَقْتٍ آخَرَ .
فَالنَّظَرُ إِلَى الْقَتَاةِ قَبْلَ النُّكَاحِ حَرَامٌ ، وَيَعَدُّ النُّكَاحُ قُرْبَةً لِأَنَّهَا أَضْبَحَتْ رُوحَةً .

النَّهْيُ عَنْ إِسْبَالِ الْإِزَارِ أَشَدُّ تَأْكِيداً مِنَ الْأَمْرِ بِإِزْخَامِ اللَّحْيَةِ .

مِثَالُ غَدَمِ النَّاتِيَةِ بِاللِّسَانِ كَرُجُلٍ مِنَ الْعَوَامِّ يَأْمُرُ الشَّرْطِيَّ بِالْعَزْلِ لَوْ
أَمَرَهُ مِائَةٌ مَرَّةً لَا يَقْبَلُ ، بَلْ يُعَاقِبُهُ الشَّرْطِيُّ . وَلَوْ أَمَرَهُ الْوَزِيرُ مَرَّةً يَتَعَزَّلُ ،
فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ مَقَاماً ثُمَّ مَا يَخْرُجُ مِنَ اللِّسَانِ كَانَ عَوْتِراً .

ضَرَبَ الشَّاهُ أَبُو سَعِيدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِسْلَاسِيْلَ الْأَزْبَعِ مِثَالاً أَرْبَعَةَ

أَنْهَارٍ هَكَذَا :

وَنَهَرَ الْمَاءَ نِسْبَةً سَهْرُورِيَّةً .

وَنَهَرَ اللَّبَنَ نِسْبَةً نَقْشَبَنْدِيَّةً .

وَنَهَرَ الْحُمْرَ نِسْبَةً جَحْشِيَّةً .

وَنَهَرَ الْغَسْلَ نِسْبَةً قَادِرِيَّةً .

الْعُمْدَةُ فِي الطَّبِّ الْجِسْمَانِيِّ الْمَعْدَةُ وَفِي الطَّبِّ الرُّوحَانِيِّ الدِّمَاغُ .

أَنْ تَذَرَعَ الْإِنْكِلِيزِيَّةَ وَتَتَذَيَّنَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُدْرَسَ الْعَرَبِيَّةُ وَتَلْحَدَ .

حَقِيقَةُ الصَّبْرِ أَنْ تَحْمَلَ الْمَصِيبَةَ الصَّغِيرَةَ لِلرَّاحَةِ الْكَبِيرَةِ بَيِّنٌ .

الشَّرِيعَةُ تَحْرِيطُ الْإِنْسَانَ لِلْأَغْضَاءِ وَالْجَوَارِحِ ، وَالطَّرِيقَةُ تَحْرِيطُ

الْأَغْضَاءَ وَالْجَوَارِحَ لِلْإِنْسَانِ .

مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فِي حَيَاتِهِ يَكُونُ حَامِلَ الذِّكْرِ بَعْدَ مَوْتِهِ ، وَمَنْ خَافَ

إِحْقَاقَ نَفْسِهِ يَكُونُ مَعْرُوفاً بَعْدَ وَفَاتِهِ .

الظُّهْرُ الْمُتَخَفِّلُ فِي مُدَّةِ الْحَيْضِ خَيْضٌ، كَذَلِكَ صِدْقُ الْكَذَّابِ يُعْتَبَرُ كَذِباً.

مَنْ الْمَجْزُوبُ أَنَّ الطِّفْلَ الَّذِي يَحْفَظُ سُورَةَ يُوسُفَ أَوَّلًا يَحْفَظُ الْقُرْآنَ سَرِيعاً.

أَثَرُ دُعَاءِ الْمُزْشِدِ قَوِيٌّ جَدًّا. آمَنَ أَبُو هُرَيْرَةَ قَبْلَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ بِثَلَاثِ سِنِينَ، وَلَكِنَّهُ أَكْثَرَ الصُّحَابَةِ رَوَايَةً لِقُوَّةِ جَهْدِهِ بِدُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ. فِضَاءُ الشُّهُورِ فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ حَرَامٌ، كَذَلِكَ الْغَضَبُ فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ حَرَامٌ.

لَطَمَ الشَّيْخُ أَبَا سَعِيدٍ أَبَا الْخَيْرِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَذُّوْهُ لَهُ، فَتَنَظَرَ إِلَيْهِ الشَّيْخُ، فَقَالَ الْعَدُوُّ: وَالْقُدْرُ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَقَالَ الشَّيْخُ: أَجِبْ أَنْ أَنْظُرَ أَنْ إِنِّي وَجِهَ أَصَابَةُ سَوَادٍ؟

مَاذَا يَكُونُ بِرَوَايَةِ كَلَامِ الْأَكَابِرِ فَقَط؟ انْظُرْ كَيْفَ يَنْطَلِقُ الْبَهِيمَةُ مِثْلَ الْإِنْسَانِ تَمَاماً هُوَ يَصْبِحُ إِنْسَاناً؟ كَلَّا.

الصَّبْرُ الْحَقِيقِيُّ أَنْ يَعُدَّ إِصَابَةُ الْبَلَاءِ كَانْتِهَائِهِ.

الْعَاقِلُ مَنْ يَقُولُ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ إِصَابَةِ الْبَلَاءِ مَا يَفْعَلُ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ.

لَوْ تَجَعَّلُوا الْعَالَمَ كُلَّهُ مُضْغَةً وَتَضَعُونَهُ فِي فَمِ الْقَتِيلِ لَا يَزْدَى حَقُّ الْقَضِيَّاتِ.

انْتَفِعُوا بِوَضُوحِ الصِّدْقِ مِمَّا رَأَيْتُمُوهُ مُضْغَةً وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى حَامِلِهِ.

وَلَا دَعَا كُلَّ مَوْلُودٍ تَدَلَّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَنَاسَ مِنَ الْعِبَادِ.

إِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَنْفَعُوا مُسْلِمًا فَلَا تَضُرُّوهُ، وَإِنْ لَمْ تُسَبِّزُوهُ فَلَا تُخْزِنُوهُ، وَإِنْ لَمْ تُكَلِّمُوا عَلَيْهِ خَيْرًا فَلَا تُغْلَبُوهُ.

ليس من مُسلمات الهندسة فقط، بل من مُسلمات الأخلاقيات أيضاً. (إن الخط المُستقيم أقل الخطوط مسافةً.

خطاً مُنحاً خلال مدة مائة سنة يحول جهة الإنسان من المشرق إلى المغرب.

لا تُخجّبوا الوجه بعد الخطأ بإزار حيلة لأن ذلك الإزار أكثر وسخاً من الوجه.

لا تُخذوا اللثيم صديفاً. فإن الفخّم الحاز يُحرق الهمد، والمخّم البارد يسود الوجه.

عندما يشيع البطّن تُصاب جميع الأعضاء بجوع الشهوة. الذباب أُخرض للحيوانات والعنكبوت أفنعها، فجعل الله تعالى الذباب غداً للعنكبوت.

لو كان وسام الإنسان حجة شرعية لكان كثير من الزهاد مشاعياً.

انظُر طاهر ما لم يرفع.

وعظ عبد الله بن المبارك رحمه الله: أن اتركوا نظراً سوء توفقوا خُشوعاً واركبوا الفخش تُعطوا حكمة.

قال شيخ لشاب وكان يفخش في كلامه: انظر المني ما نرسل به رسالة إلى الله تعالى؟

لو كان الكبر علماً لكان فيه مُتكرجون.

ريضاك من الله تعالى علامة أن الله تعالى راضٍ عنك.

الذي يستغيب ويشكر فهو يودي أول جزء من الدين.

امشوا متواضعين ولا تزلوا وتسقطوا.

الْمَكْرُ كِبْطَانِيَّةٌ صَغِيرَةٌ إِنْ تَعْلَمُوا بِهَا الرَّأْسَ تَكَثِّفُ الْقَدَمَ.

ذَعَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبَّهُ : رَبِّ كَفِّ عَنِّي لِسَانَ الْخَلْقِ ، فَقَالَ :
إِنْ كُنْتُ فَاعِلَهُ فَعَلْتُهُ لِنَفْسِي .

﴿ **كُلُوا وَاشْرَبُوا** ﴾ [البقرة : ٦٠] حَقٌّ . وَلَكِنْ «كُلُوا تَاكَلُوا» (معناه : كُلُوا
إِلَى الْكُنْجُرَةِ) بَاطِلٌ .

لَوْ لَمْ تَكُنْ حَاجَةً الْبَطْنِ لَمْ يَقَعْ حَيَوَانٌ فِي الشَّيْكَةِ .
شَجَرَةٌ صَدَلٍ تَطْيِبُ نَفْسَ فَاكِسٍ يَقْطَعُهَا .

قَالَ الشَّيْخُ الْمَجْدُذُ : لَمْ تَبْقَ أَمْنِيَّةٌ سِوَى اتِّبَاعِ السُّنَّةِ .
الْبَرَكَةُ فِي هَدِيَّةٍ وَصَلَتْ بِدُونِ إِشْرَافِ النَّفْسِ .

لِبَلْبَاسٍ ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ : الْأُولَى لِبَاسٌ رَاحِيٌّ وَهُوَ وَاجِبٌ ، وَالثَّانِيَّةُ
لِبَاسٌ رَاسِيٌّ وَهُوَ جَائِزٌ ، وَالثَّالِثَةُ لِبَاسٌ رِبَاسٌ وَهُوَ مُشْتَوٍ .

مَعَادَةُ عَظِيمَةٌ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ مَوْحِداً وَمَوْدِياً أَوْ يَكُونَ مَوْدِياً
وَمَوْحِداً .

السَّاءُ شُجَاعُ الدِّينِ الْكُرْمَانِيُّ أَحْمَدُ اللَّيَالِي أَرْبَعِينَ غَامِماً . نَامَ يَوْماً
فَرَأَى اللَّهَ تَعَالَى فِي الْمَنَامِ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَلْتَمَسْتُكَ فِي الْيَقَظَةِ وَلَكِنْ
وَجَدْتُكَ فِي الْمَنَامِ ، فَقَالَ : بِبَرَكَةِ يَقَظَتِكَ وَجَدْتَنِي فِي مَنَامِكَ .

لَوْ وَضَعْتَ بَيْنَ الْإِوَرِ تَحْتَ الدَّجَاجِ يُنْسَبُ الْفَرْخُ إِلَى الدَّجَاجِ
وَإِنْ كَانَ أَكْبَرَ مِنْهُ . كَذَلِكَ الْمُؤَبَّدُ يَتَقَدَّمُ مَا يَتَقَدَّمُ وَلَكِنَّهُ وَلَدُ رُوحَانِي
لَشَبَّخُوهُ .

يَجُوزُ الْعِقَابُ عَلَى الْخَطَا كَمَا أَمَرَ بِالصَّدَقَةِ بِالْجَمَاعِ فِي الْحَيَظِ .
حَقِيقَةُ التَّوَسُّلِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ : اللَّهُمَّ إِنْ قُلْنَا مَقْبُولٌ عِنْدَكَ وَأَنَا
أَجِدُهُ فَأَرْحَمَنِي بِبَرَكَةِ هَذَا الْحَبِيبِ فِي اللَّهِ .

إِنْ لَمْ تَسْتَطِعِ الْعَمَلُ بِالْأَفْضَلِ فَالْأَحْسَنُ الْعَمَلُ بِالسُّبْحِ، فَإِنْ لَمْ
تَسْتَطِعِ أَنْ تَقُومَ لِلتَّهَجُّدِ فَصَلِّ قَبْلَ النَّوْمِ.

يَا صَدِيقِي إِنَّكَ ذَاهِبٌ إِلَى بَيْتِكَ الْحَقِيقِيِّ وَلَكِنْ يَبْطِئُ الْحَيَوَانُ
أَيْضاً يُسْرِعُ إِلَى الْبَيْتِ الْأَصْلِيِّ.

وَسَاوَسَ الشَّيْطَانُ كَسَلِكَ الْكَهْرِبَاءَ خَذَهُ لِلتَّقْرِيبِ أَوْ لِلتَّبْعِيدِ
يَمْسِكُكَ.

حُبُّ الزَّوْجَةِ إِنْ لَمْ يَكُنْ سَبَباً لِلْعُقْلَةِ عَنِ الدِّينِ فَمَحْمُودٌ بَلْ هُوَ
مَقْذُوبٌ.

أَوْصَى الْإِمَامُ أَبُو حَنِيْفَةَ لِأَبِي يُوسُفَ: لَوْ نَأَذَاكَ أَحَدٌ مِنْ وَرَائِكَ فَلَا
تُجِبْهُ. مِنَ الْوَرَاءِ تَأْذَى الْحَيَوَانَاتُ.

اسْتَقَابَ النَّبِيُّ ﷺ امْرَأَةً مِنَ الثُّوَجِ فَقَالَتْ: يَبْقَى عَلَيَّ ذَيْنِ نَوْحَةٍ،
سَأَتُوبُ بَعْدَ أَدَاءِ الدِّينِ. فَقَالَ: نَعَمْ فَذَهَبَتْ ثُمَّ رَجَعَتْ مِنَ الطَّرِيقِ، هَذِهِ
هِيَ الْحِكْمَةُ.

لَا تَتَكَلَّمْ بِكَلَامٍ يُؤْذِي غَيْرَكَ. هَذَا يَضْفُفُ السُّلُوكَ.

سَأَلَ الْمُرِيدُونَ الْمُتَضَوِّرَ الْحَلَّاجَ قِيلَ أَنْ يُصَلِّبَ مَا الْفَرْقُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ
الَّذِينَ يَرْمُونَكَ بِالْحِجَابَةِ؟ فَقَالَ الْمُتَضَوِّرُ: لَكُمْ أَجْرٌ وَلَهُمْ أَجْرَانِ أَنْتُمْ
تُخْبِتُونَ فِي الْقَلْبِ وَهُمْ يُرَاعُونَ الشَّرِيعَةَ، وَحُسْنُ الْقَلْبِ فَرْعٌ وَالشَّرِيعَةُ
أَصْلٌ.

حُبُّ الشَّيْخِ لَيْسَ دَاخِلًا فِي حُبِّ غَيْرِ اللَّهِ.

رَأَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْقَمَرُ فَقَالَ: هَذَا رَبِّي. هَذَا فِي الظَّاهِرِ
شِرْكٌ، وَلَكِنْ فِي الْخَفِيَّةِ إِبْطَالُ الشَّرْكِ.

قَالَ الْإِمَامُ بَاقِرٌ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ: مَوْتُ الْقَلْبِ نَشَأٌ مِنَ الشَّهَوَاتِ
النَّفْسِيَّةِ وَالْأَحْيَاءِ هُمُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ بِتَدْبِيرِ.

مَنْ لَمْ يُقَدِّرِ النُّعْمَةَ تُسَلِّبَ مِنْهُ النُّعْمَةَ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ.

إِنْ وَجَدْتَ الْعَجَبَ بِالْعِظَةِ فَعِظْ وَأَنْتَ تَقْرَأُ مِنَ الْمَكْتُوبِ حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ: هَذَا عَاجِزٌ يَخْطُبُ مِنَ الْمَكْتُوبِ.

الْحَقُّدُ أَنْ يَكْتُمَ الْإِنْسَانُ فِي نَفْسِهِ سُوءاً لغيره بِاخْتِيَارِهِ. وَيَدْبُرُ لِإِيذَائِهِ وَإِنْ أَصَابَكَ عَنْ أَحَدٍ سَيِّئَةٌ حَتَّى لَا تَحِبَّ لِقَاءَهُ فَهَذَا انْقِبَاضٌ. وَعِلَاجُهُ أَنْ يَدْعُوَ لَهُ فِي غَيْبِهِ.

النُّظَرُ عَلَى قَلَةِ مَالِ الدُّنْيَا عِلَامَةٌ حُبِّ الدُّنْيَا.

مِثَالُ الْمُتَبَاهِيينَ فِي الْمَالِ كَحَامِلِي نَجَاسَةٍ يَتَبَاهَوْنَ فِي سَلْبَتِي نَجَاسَةٍ. عِنْدَمَا كَانَ أَحَدٌ يَشْكُرُ الْعَاقَةَ عِنْدَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَدَهْمِ قَالَ: لَا تَغْرِقُونْ قِيَمَةَ الْعَاقَةِ. سَلَوْنَا عَنْهَا. اشْتَرَيْنَاهَا بِدَوْلَةٍ.

طَرِيقُ تَخْفِيفِ حُبِّ الْمَرْأَةِ لِلْجِلْبِيَّةِ وَالْمَلَابِسِ أَنْ تَلْبَسَ فِي الْبَيْتِ عِلَاسَ طِينَةٍ، وَعِنْدَمَا تَذْهَبُ إِلَى بَيْتِ آخَرَ تَلْبَسُ ثِيَاباً بِذَلَّةٍ.

أَلْهَمَ ابْنُ عَطَاءٍ الْإِسْكَندَرِيَّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنِّي رَزَقْتُ حَتَّى لَوْ تَدْعُو أَنْ لَا أَرْزُقَكَ لَأَرْزُقَكَ، فَعِنْدَمَا تَسْأَلُنِي لِلرِّزْقِ بَأَكْبَرٍ فَكَيْفَ لَا أُعْطِيكَ.

ضَافَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ عِنْدَ الْإِمَامِ مَالِكٍ فَعَسَلَ الْإِمَامُ مَالِكَ أَوَّلاً وَبَدَأَ الْأَكْلَ حَتَّى يَأْتِيَ الضَّيْفُ.

الْقَارِقُ بَيْنَ مَاءِ النَّهْرِ وَمَاءِ الْعَيْنِ الْحُبُّ وَالْحَمَاسُ.

يَسَافِرُ الشَّرْقِيَّاتُ عَامَةً عَاشِقَاتُ الْأَزْوَاجِ وَقَاصِرَاتُ الطَّرْفِ، النِّسَاءُ تَحْتَ الرُّجَالِ طَبْعاً، وَالرُّجُلُ تَحْتَ الْمَرْأَةِ حُبّاً.

إِنْ كَانَ الشَّيْخُ سِرَاجَ السَّحَرِ فَالشَّابُّ سِرَاجُ الْمَسَاءِ.

الْهَدَفُ مِنْ تَرْجِيحِ حُقُوقِ الْعِبَادِ عَلَى حُقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى تَعْلِيمُ الْإِثَارِ.

ما خَيْرَ النَّبِيِّ ﷺ بَيْنَ أَهْرَبَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا. وَفِيهِ إِظْهَارُ كَمَالِ الْعَجْزِ وَإِظْهَارُ كَمَالِ الْعِبَادَةِ.

اسْتَأْذَنَ رَجُلٌ الشَّيْخَ الْحَاجَّ أَمْدَادَ اللَّهِ الْمُهَاجِرَ الْمَكِّيَّ لِلْإِقَامَةِ بِمَكَّةَ الْمَكْرُمَةِ فَقَالَ: إِنْ تَسْكُنَ بِالْهِنْدِ وَقَلْبُكَ مَعَلَّقٌ بِمَكَّةَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ مِنْ أَنْ تَسْكُنَ بِمَكَّةَ وَقَلْبُكَ مَعَلَّقٌ بِالْهِنْدِ.

يُذَكِّرُ أَنْ تَجْتَمِعَ السُّنَاعَةُ وَالنَّدِيرُ، الْأَسَدُ مَا أَشْجَعَهُ وَلِكِنَّهُ يَصِيدُ مُخْتَفِئاً.

الْعَوَامُ تَزْعُمُ الشُّرْكَ تَوَسَّلاً وَالْعُلَمَاءُ (الْمُتَشَدِّدُونَ) يَزْعُمُونَ التَّوَسُّلاً مُبْزَكاً.

الْحَرَمُ كَالرَّجْمِ يَكْثُرُ الْوَلَدُ فَيَزِدَادُ الرَّجْمُ كَذَلِكَ يَتَسَبَّحُ الْحَرَمُ عِنْدَ أَزْدِيَادِ الْحَيْجَاجِ.

اللَّهُمَّ إِنِّي وَإِنْ غَضَبْتُكَ لَكِنْ لَا أَفْطُ مِنْ رَحْمَتِكَ. دَفَعَنِي إِلَيْكَ حَيَاتُهُ الدُّنْيَا، وَثَبَّتَنِي عَلَيَّ بِإِعْطَاكَ وَكَرَمِكَ عَلَى بَابِكَ.

اللَّهُمَّ لِمَ تُقِيلُ كَرَمَكَ فَكَيْفَ يُرْجَى غَيْرُكَ؟ وَلِمَ تَغَيِّرُ عَادَتَكَ فَكَيْفَ يُسَالُ غَيْرُكَ؟

اللَّهُمَّ مَنْ وَجَدَكَ فَمَاذَا لَمْ يَجِدْ؟ وَمَنْ لَمْ يَجِدْكَ فَمَاذَا وَجَدَ؟

اللَّهُمَّ وَثَّقْنِي حَبَالُ شَهْوَةِ نَفْسِي الْقَوِيَّةِ، فَكُنْ مُعِينِي وَالْمُضَرِّي وَالْمُضَرُّ مَنْ مَعِيَ.

اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي مِنَ الشُّكِّ وَالشُّفَاكِ قَبْلَ تَزَوُّلِي فِي الْقَبْرِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعِيْظُكَ عَلَى هَوَى النَّفْسِ وَوَسْوَاسِ الشَّيْطَانِ.

اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَدَاوِمَ عَلَى طَاعَتِكَ وَلَكِنْ لَمْ يَخْرُجْ حَبِ الطَّاعَةِ مِنْ قَلْبِي.

اللَّهُمَّ إِنِّي عَمِلْتُ طَاعَاتٍ كَثِيرَةً، وَأَتَقَنْتُ أَمْوَالاً كَثِيرَةً. وَلَكِنْ
عَدَلْتُ قَضَى عَلَى اعْتِمَادِي بِهَا، لَا يُلْ صِرْفِي فَضْلَكَ عَنِ الثَّقَةِ بِهَا.

اللَّهُمَّ مَنْ كَانَتْ حَسَنَاتِهِ سَيِّئَاتٍ، فَكَيْفَ لَا تَكُونُ سَيِّئَاتِهِ سَيِّئَاتٍ.
وَمَنْ كَانَتْ غُلُوبُهُ وَمَعَارِفُهُ دَعَاوِي صِرْفَةٍ، فَكَيْفَ لَا تَكُونُ دَعَاوَاهُ دَعَاوِي
مَحْضَةٍ.

اللَّهُمَّ كُلَّمَا خَرَسَ سَوْنِي لِسَانِي أَنْطَقَنِي كَرَمُكَ، وَكُلَّمَا أَفْنَطَنِي
أَعْمَالِي أَرْجَأَنِي إِحْسَانُكَ.

اللَّهُمَّ كَمْ تَرَأَفَ بِي مَعَ عَدَمِ تَفَكُّرِي لِلْعَاقِبَةِ، وَكَمْ تَرَحَّمَنِي مَعَ قُبْحِ
أَعْمَالِي.

اللَّهُمَّ إِذَا لَمْ يُخَفَّ عَلَيْكَ حَالِي، فَكَيْفَ أَتُكْوِلُكَ؟ اللَّهُمَّ إِذَا كُنْتُ
وَكَيْلِي فَلَا تُكَلِّمَنِي إِلَى النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ، وَإِذَا كُنْتُ نَاصِرِي فَلَا تُخَوِّنِي،
وَإِذَا كُنْتُ بِي رَحِيماً فَقِنِي خُسْرَانَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَكْرَمْتَنِي قَبْلَ وُجُودِ ضَعْفِي، فَهَلْ تَخَوِّنُنِي مِنْ كَرَمِكَ
بَعْدَ ظُهُورِ ضَعْفِي؟

اللَّهُمَّ مَنِي مَا يَلِيقُ لَوْحِي، وَمَنْكَ مَا يَلِيقُ كَرَمِكَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي مُخْتَارٌ فَخِيرٌ إِلَيْكَ عِنْدَ غِيَايَ، فَكَيْفَ لَا أَكُونُ مُخْتَاراً
عِنْدَ فَقْرِي؟

مَنْ لَمْ يُقَدِّرِ النِّعَمَ حِينَ وُجُودِهَا فَسَيَقْدِرُهَا بَعْدَ فَقْدِهَا.

مَنْ لَمْ يُقْبَلْ إِلَى اللَّهِ بِإِحْسَانِهِ فَسَيُوتَى بِهِ إِلَيْهِ مُوتَقاً بِسَلْسِلِ
الْبَلَاءِ.

كُلُّ كَلَامٍ يَصْدُرُ مِنْ أَيِّ مُتَكَلِّمٍ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ لِبَاسٌ بُورَانِي
أَوْ مُظْلِمٌ مِنْ جَانِبٍ مَنْ صَدَرَ مِنْهُ.

عَدَمُ التَّائِبِ عَلَى فَقْدَانِ الطَّاعَةِ مَعَ عَدَمِ التَّبَقُّدِ إِلَى الطَّاعَةِ عَلَامَةٌ
الْوُفُوحِ فِي الْخَبِيْعَةِ .

إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تُعْرِفَ مَا مِنْكَ عِنْدَهُ، فَانْظُرْ فِي أَيْنَ شَيْءٍ
شَغَلَكَ؟

مَنْ وَجَدَ ثَمَرَةَ عَمَلِهِ لَذَّةً وَحِلَاوَةً فِي الدُّنْيَا فَهُوَ عَلَامَةٌ قَبُولِهِ فِي
الْآخِرَةِ .

مَنْ كَانَ بَدَايَةِ سُلُوكِهِ مَتَوَرِّاً بِالتَّزَامِ الْأَوْرَادِ، فَسَيَكُونُ انْتِهَاءُ سُلُوكِهِ
مُضِيّاً بِالْأَثْوَارِ وَالْمَعَارِفِ .

مَنْ رَأَى رَأْيَهُ مُجِيباً عَلَى كُلِّ سَوَالٍ وَمُبْدِئاً لِكُلِّ شَاهِدٍ وَمُبِيناً لِكُلِّ عِلْمٍ
فَاعْرِفْ أَنَّهُ جَاهِلٌ .

الْعَارِفُ مَنْ لَا يَزَالُ اضْطَرَّائِهِ، وَمَنْ لَا يَطْمَئِنُّ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .
رَفَعَ بَصْرَكَ إِلَى يَفَاءِ الْغَيْرِ وَتَوَخَّشْتَ عِنْدَ فَقْدِهِ مَا يَوَافِقُ، ذَلِيلٌ عَلَى
عَدَمِ وَضُوءِكَ إِلَيْهِ .

أَنْتَ تَابِعٌ لِلْمَخْلُوقَاتِ مَا لَمْ تُشَاهِدِ الْخَالِقَ فِيهِ، وَإِذَا شَاهَدْتَهُ
فَالْمَخْلُوقَاتُ تَابِعَةٌ لَكَ .

عَجَبٌ شَدِيدٌ أَنْكَ تَفْرُجُ مَعْنَى لَا تَغِيْبُ عَنْهُ وَتَطْلُبُ مَا لَا تُصَاحِبُهُ :
﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْلَى إِلَّا لِمَنْزِلِهِ وَلَكِنَّ تَعَالَى الْقُلُوبُ إِلَيْهِ فِي الْغُشُورِ ﴾ (الحج : ١٧١) .

الْبُتُّ فِي رَأْيِهِ وَتَوَخُّشُهُ فِي غَيْرِهِ وَتَوَخُّشُهُ فِي غَيْرِهِ وَتَوَخُّشُهُ فِي غَيْرِهِ
وَالْبُتُّ فِي عَجْزِكَ يَنْصُرُكَ بِقُدْرَتِهِ، وَاقْبُتْ فِي ضَعْفِكَ يُسَاعِدُكَ بِقُوَّتِهِ .
حَرَمَ عَلَيْكَ دَعْوَى شَيْءٍ هُوَ لَغَيْرِكَ وَلَيْسَ لَكَ، فَهَلْ أَبَاحَ لَكَ
دَعْوَى كُنْهَاتِ لَكَ وَاللَّهُ رَبُّ جَمِيعِ الْعَالَمِ .

أَفْرِغْ قَلْبَكَ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى تَمْلَأَهُ ائِلَّةٌ مِنَ الْمَعَارِفِ وَالْأَمْرَارِ .

قَدْ يَغْطِي لَكَ فِي لَيْلَةِ الْفَيْضِ الْمُظْلِمَةِ مِنَ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ مَا لَا تَحْجِدُهُ فِي نَهَارِ الْبَسْطِ الْمُضِيِّ .

بِدَايَةُ السَّالِكِ مَرَاةُ نَهَائِهِ وَمَنْظَرُهُ، فَمَنْ كَانَتْ بَدَايَتُهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى تَكُونُ نَهَائَتُهُ إِلَيْهِ .

مَنْ بُوِيَكَ فِي عُمْرِهِ يَجِدُ فِي زَمَنِ قَلِيلٍ مِنَ الْإِطَافِ لِلَّهِ وَإِحْسَانِهِ مَا لَا يُحِيطُهُ الْعِبَارَةُ وَالْبَيَانُ وَلَا تَبْلُغُهَا الْإِشَارَةُ .

السُّتْرُ نَوْعَانِ: سِتْرٌ مِنْ ضُدُورِ ذَنْبٍ، وَسِتْرٌ لِلذَّنْبِ مِنَ الْخَلْقِ بَعْدَ ضُدُورِهِ .

الْعُلُومُ وَالْحَقَائِقُ مَجْمَعَةٌ وَفَتْ التَّجَلِّيِ وَالتَّفْصِيلِ بَعْدَ الْحِفْظِ وَالْوُضُوعِ . ﴿ لَا تُهْرِكْ يَدَاكَ بِإِسْمِكَ لِتَجْعَلَ يَدَاكَ ﴾ [التهامة : ١٦] .

وَرُودُ النُّصْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ بِقَدْرِ الْكِفَاءَةِ وَالْقَبُولِ، وَخَوْذَةُ الْأَنْوَارِ بِقَدْرِ صَفَاءِ الْأَسْرَارِ الْبَاطِنَةِ .

الْوَرْدُ يُطْلَبُهُ مِنْكَ مَوْلَاكَ، وَالْوَارِدُ أَنْتَ تَطْلُبُهُ مِنْهُ فَأَيُّ نِسْبَةٍ بَيْنَ مَطْلُوبِكَ وَمَطْلُوبِهِ .

أَتَى إِحْسَانَ الْمَوْلَى وَعِضْيَانِكَ لَا تَدْرِي لَعَلَّهُ اسْتِيزَاجٌ لَكَ مِنْهُ، وَأَنْتَ لَا تَشْعُرُ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ سَتَلِدْ لَهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٨٢] .

لَيْسَ الْمُتَوَاضِعُ مَنْ إِذَا عَمِلَ عَمَلٌ تَوَاضَعَ بِظَنِّهِ أَعْلَى وَأَوَّلَى، بَلِ التَّوَاضُعُ مَنْ إِذَا تَوَاضَعَ بِظَنِّهِ أَذْوَنَ وَأَخْسَرَ .

مَا ثَبَّأَسُ مِنْهُ أَنْتَ مِنْهُ حُرٌّ، وَمَا تُطْعِمُهُ أَنْتَ لَهُ عَبْدٌ .

صَاحِبُكَ حَقِيقَةٌ مَنْ يَصْحَبُكَ بَعْدَ مَعْرِفَةِ عُيُوبِكَ وَلَيْسَ إِيَّاهُ سِوَى مَوْلَاكَ الْكَرِيمِ .

قَدْ تَكُونُ غَاصِبِيًّا وَيُرِيكَ صُحْبَةً مَنْ هُوَ أَغْضَى مِنْكَ صَالِحًا .

لَا تُجَالِسُ مَنْ لَا يَحْكُمُ حَالَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَلَا يُهْدِيكَ كَلَامُهُ
إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .

إِذَا عَلِمْتَ أَنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَغْفُلُ عَنْكَ فَلَا تُغْفَلُ عَنْ مَوْلَاكَ الَّذِي
نَاصِيَتُكَ بِيَدِهِ .

لَا يَنْفَعُ طَاعَتُكَ وَلَا يَضُرُّهُ عَصِيَانُكَ ، أَمَرَكَ بِالطَّاعَةِ وَنَهَاكَ عَنِ
الْمَعْصِيَةِ لِيَعُودَ التَّغْيُّثُ إِلَيْكَ .

لَمَّا وَجَدَ عِبَادَهُ مُتَطَلِّعِينَ إِلَى ظُهُورِ الْعَنَاءِ الْخَاصَّةِ وَأَسْرَارِ الْإِقْبَالِ ،
قَالَ : ﴿ يَنْقُصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَكَاةً ﴾ [المنزل : ٧٤] . وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُمْ لَوْ
تَرَكُوا يَهْدُوا أَنَّهُ هُوَ أَضَلُّ الرَّحْمَةِ بِتَرْكُوكِ الْأَعْمَالِ مُعْتَمِدِينَ عَلَى التَّقْدِيرِ
الْأَزَلِيِّ ، قَالَ : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِمَّنْ لَمْ خَيْرِينَ ﴾ [الاعراب : ١٥٦] .

مَنْ عَظَّمَكَ فَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ يُثْنِي عَلَى سَنَنِ رَبِّكَ .

إِذَا أَرَادَ أَنْ يُظْهِرَ فِيكَ فَضْلَهُ وَإِحْسَانَهُ أَوْجَدَ فِيكَ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ
وَأَضَافَهَا إِلَيْكَ وَفَعَلَ الْقَادِحَ .

لَمَّا جَعَلَكَ رَاغِباً مِنْ غَيْرِهِ وَنَاجِراً عَنْهُ ، فَاغْلَمَ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَفْتَحَ بَابَ
الْأَسَى وَالْحَبْ لِلَّهِ .

بَذَلَ لَكَ أَوَّلَ نِعْمَةِ الْإِيحَادِ ، وَثَانِيًا أَقْضَى عَلَيْكَ نِعْمَةَ الْبِقَاءِ
الطَّاهِرِيِّ وَالْبَاطِنِيِّ كُلَّ لَحْظَةٍ مُتَوَاصِلًا .

بَعْدَ ذَلِكَ لَا يَبْقَى لَكَ مِنْ نِعْمَتِهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَكَ حُجْرَةٌ فِي بَيْتِهِ

وَأَنْ يَكُونَ لَكَ مِنْ نِعْمَتِهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَكَ حُجْرَةٌ فِي بَيْتِهِ

وَأَنْ يَكُونَ لَكَ مِنْ نِعْمَتِهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَكَ حُجْرَةٌ فِي بَيْتِهِ

الْعُبُودِيَّةِ .

إِعْطَاءُ الْخَلْقِ لَكَ حِرْمَانٌ وَمَنْعُ اللَّهِ مِنْكَ أَيْضًا إِحْسَانٌ .

لَا يُمْنَعُ مِنْكَ إِلَّا لِأَنَّ الْإِعْطَاءَ يُضَرِّكَ ، وَأَنْتَ لَا تَذَرِي حِكْمَةَ اللَّهِ
وَلُطْفَهُ فِي الْمَنْعِ مِنْكَ .

إِذَا أُعْطَاكَ فَأَرَاكَ جُودَهُ وَكَرَمَهُ، وَإِذَا مَنَعَكَ فَأَرَاكَ قَهْرَهُ وَعَظَمَتَهُ، فَبِهِ
يُحْسِنُ إِلَيْكَ بِمَعْرِفَتِهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَغُفْلَتِكَ بِلَطْفِهِ وَكَرَمِهِ.

جَعَلَ الدَّارَ الْآخِرَةَ مَحَلًّا لِحِزَاءِ أَحْمَالِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ لِأَسْرَنِ:

أولاً: لَأنَّهُ لَا تَسْمَعُ الدُّنْيَا مَا يَرِيدُ أَنْ يُعْطِيكَ، وَثَانِياً: لِأَنَّهُ أَكْثَرُ
قَدَرَهُمْ وَمَنْزِلَتَهُمْ مَنْ أَنْ يُعْطُوا جَزَاءَهُمْ فِي دَارِ الْقَاءِ.

مَنْ ظَنَّنَ أَنَّ رَحْمَتَهُ وَعِزَّتَهُ بَعِيدَةٌ عَنِ الْعَبْدِ حَالَ الْمُصِيبَةِ وَالْأَلَمِ،
فَهَذَا قُصُورُ عَقْلِهِ.

مَا دُمْتَ فِي الدُّنْيَا فَلَا تُعْجَبْ بِأَعْيَاضِ الْمُصَافِي، فَإِنَّ الدُّنْيَا تُظَاهِرُ
مَا هُوَ لَازِمٌ لَهَا.

إِذَا جَاءَ الصَّبِيحُ تَفَكَّرْ الْغَافِلُ مَاذَا سَيَعْمَلُ الْيَوْمَ؟ وَالْعَاقِلُ يَنْتَظِرُ مَاذَا
يَعَابِلُهُ اللَّهُ تَعَالَى؟

جَهْدُكَ فِيمَا هُوَ ضَامِنٌ لَكَ وَتَقْصِيرُكَ فِيمَا هُوَ طَالِبٌ مِنْكَ، ذَلِيلٌ
عَلَى ذَهَابِ نُورِ عَقْلِكَ، الْهَيْمَمُ السُّقُومَةُ لَا تَقْبَلُ عَلَى شَيْءٍ جَدُّ الْقَدْرِ.

لَا تَسْأَلِ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُخْرِجَكَ مِنْ حَالِكَ الْمَوْجُودَةِ مِنَ الْإِسْتِعَالِ
الدُّنْيَوِيِّ أَوِ الدُّنْيَوِيِّ، وَيُسْخِطَكَ فِي حَالَةٍ أُخْرَى لِأَنَّهُ لَوْ شَاءَ لَأَسْخَطَكَ بِغَيْرِ
أَنْ يُخْرِجَكَ.

لَا يَكُنِ الْمُقْصُودُ مِنَ الْعِبَادَةِ وَالْإِحْسَانِ حُصُولُ الْعَطَاءِ وَالْمَغْفِرَةِ، بَلْ
إِظْهَارُ الْعِبُودِيَّةِ وَأَدَاءُ حُقُوقِ الرِّبَوِيَّةِ.

كَثِيراً مَا يَسْتَحْجِي الْعَارِفُ مِنْ عَرَضِ الْحَاجَةِ عَلَى مَوْلَاهُ أَكْثِفَاءً
بِمَشِيتِهِ، فَكَيْفَ لَا يَسْتَحْجِي مَنْ عَرَضِ الْحَاجَةِ عَلَى خَلْقِهِ؟

يَذَكِّرُ بِالسُّؤَالِ مَنْ يَجُوزُ عَلَيْهِ الْغَفْلَةُ وَالسُّهُوُ وَيَنْبَهُ بِالطَّلَبِ مَنْ يَجُوزُ
عَنْ اسْتِغْنَاءِ السَّائِلِ.

ليس الدَّعَاءُ وسؤال المولى خالاً جيداً ومعتبراً، والحال الطيب أن ترفق بحسن أدب.

أيها السالك لا تقدم همك إلى غير مولاك الكريم، فإن الكريم لا يتجاوز الرجاء.

لا تشطك عن قبول الدعاء مع التضرع في الدعاء تأخير وقت العطاء، لأنه تكفل بإجابتك في أمر يحبه لك.

لا يخرج من القلب الشهوة النفسانية إلا الخوف المانع، أو الشوق الجاذب.

إذا أخبت أن يفتح لك باب الرجاء، فشاهد إحسان مولاك إليك، وإن أخبت أن يفتح لك باب الخوف، فشاهد الذنوب والمعاصي التي صدرت منك إلى جنابه.

إن وُحلت إلى نفسك فلا نهاية لعبوبك. وإن أبدى لك الجود والكرم فلا نهاية لمعاسيك.

وقبض قلبه رجاء العفو عند صدور المعصية علامة الثقة بأعمالك الحسنة.

إذا اشتبه عليك أمران أيهما أولى، فانظر أيهما أشق على النفس فاتبعه، فإن ما هو شاق على النفس يكون حقاً.

حفظ النفس في المعصية بين، وفي الطاعة خفي، وعلاج مرضي حفي يكون شافاً.

إذا أطلق مولاك لسان الخلق ليدح لست له بأهل فرحب لسانك في ثناء مولاك بما هو أهل.

أجهل الناس من يتوكل ملاحظة غيوب يعلمها فيه لادعاء الناس في المعاسين.

عندما يُمدَحُ المؤمنُ الحقيقيُّ فهو يستحيي من الله تعالى على أنه
يُمدَحُ على وصفٍ لا يُشاهدُه في نفسه.

النَّاسُ يُثَنُّونَ عَلَيْكَ بِصِفَاتٍ حَسَنَةٍ يَظُنُّونَهَا فِيكَ . فَأَذْنَمْتَ نَفْسَكَ
لِأَجْلِ صِفَاتٍ سَيِّئَةٍ تَجِدُهَا فِي نَفْسِكَ .

ثَبَاتٌ خَلَاوَةٌ وَلَذَّةُ الشَّهَوَاتِ النَّفْسَانِيَّةِ ذَائِعُ عُضَالٍ .

كَيْفَ تَصُدُّرُ مِنْكَ الْخَوَارِقُ وَأَنْتَ لَمْ تَتْرُكْ عَادَاتِكَ النَّفْسَانِيَّةِ .

أَصْلُ كُلِّ مَعْصِيَةٍ وَغَفْلَةٍ وَشَهْوَةٍ نَفْسَانِيَّةٍ مُوَافَقَتُكَ لِنَفْسِكَ .

مُلاحَظَةُ عُيُوبِكَ الْبَاطِنَةِ خَيْرٌ مِنَ النَّظَرِ لِتَحْصِيلِ مَا هُوَ غَائِبٌ
وَعُسُورٌ عَنْكَ .

لَا تَبْسُطْ يَدَكَ لِلْأَخْذِ مِنَ الْخَلْقِ إِلَّا إِذَا شَهِدْتَ فِيهِ أَنَّ مَوْلَاكَ
الْحَقِيقِيَّ هُوَ الْمُنْعَظِي .

خَيْرُ أَوْقَاتِكَ وَأَحْسَنُهَا مَا شَهِدْتَ فِيهِ احتِياجَكَ وَتَرَجَّعْتَ إِلَى ذَلَّتِكَ
وِغْزَلِكَ .

إِنْ أَرَدْتَ نُزُولَ الْمَوَاهِبِ الْإِلَهِيَّةِ إِلَيْكَ فَاحْتَزْ لِنَفْسِكَ الْفَقْرَ وَالْفَاقَةَ ،
فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : ﴿ إِنَّمَا أَفْضَحْتُ لِلسُّقْرَةِ ﴾ [التوبة : ٦٠] .

نُزُولُ الْفَاقَاتِ عِندَ السَّالِكِينَ .

إِنْ أَحْبَبْتَ الْعِزَّةَ الْبَاقِيَةَ فَلَا تَحْتَزِ الْعِزَّةَ الْفَاقِيَةَ .

إِنْ تَحَلَّى لَكَ نُورَ الْبَقِيَّةِ ، شَهِدْتَ خُسُوفَ الْفَنَاءِ عَلَى مَحَاسِنِ
الدُّنْيَا .

عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكَ لَا تَقْبَلُ النَّصِيحَةَ الصَّرْفَةَ فَأَذَاقَكَ لَذَّةَ مَصَائِبِ الدُّنْيَا
الَّتِي سَهَّلَ عَلَيْكَ مُفَارَقَةَ الدُّنْيَا .

إِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تُوقَى هَمُّ الْعِزَالِ فَلَا تَحْتَزِ الْوِلَايَةَ الذَّنْبِيَّةَ الرَّائِلَةَ .

عَمَلٌ يُضَدُّ عَنْ قَلْبِ تَارِكِ الدُّنْيَا غَيْرِ قَلِيلٍ، وَغَمَلٌ يُضَدُّ عَنْ قَلْبِ غَافِلٍ حَرِيصٍ عَلَى الدُّنْيَا غَيْرُ كَثِيرٍ.

الهِمُّ سِرَاجُ الْقَلْبِ إِذَا ذَهَبَ ذَهَبَ ضَوْءُ الْقَلْبِ.

لَا تَشْرِكِ الذِّكْرَ لِأَجْلِ عَدَمِ الْحُضُورِ فِي الذِّكْرِ، لَأَنَّ الْجَفْلَةَ جَلَّالَ الذِّكْرِ خَيْرٌ مِنَ الْغَفْلَةِ عَنْ نَفْسِ الذِّكْرِ.

وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَرْفَعَكَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ ذِكْرِ غَفْلَةٍ إِلَى ذِكْرِ يَقْظَةٍ، وَعَنْ ذِكْرِ يَقْظَةٍ إِلَى ذِكْرِ حُضُورٍ، وَعَنْ ذِكْرِ حُضُورٍ إِلَى ذِكْرِ يَغِيبُ فِيهِ جَمِيعُ مَا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى، ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ (فاطر: ١٧).

لَا يَحْضُرُ عَنِ الْعُمْرِ الْمَاضِي، وَالْعُمْرِ الْحَالِي تَمِينٌ جَدًّا.

تَأْخِيرُكَ الْإِتْيَانَ بِالْأَعْمَالِ إِلَى الْوَقْتِ الْفَارِغِ بَيْنَ حُضُورِ نَفْسِكَ.

لَا تَنْتَظِرْ وَقْتَ الْحُلُوفِ عَنِ الْأَعْيَارِ فَإِنَّهُ يُبْعِدُكَ عَنْ حَالِكَ الَّتِي أَقَامَكَ عَلَيْهَا مِنْ مُرَافِقَتِكَ إِيَّاهُ وَالْمُحَافَظَةَ.

لَا يَمُرُّ عَلَيْكَ وَقْتُ قُدْرِ نَفْسٍ إِلَّا يَظْهَرُ فِيكَ مَا قُدِّرَ اللَّهُ لَكَ.

سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ سَبِيلَ الْوُصُولِ إِلَى أَوْلِيَائِهِ مَا جَعَلَهُ سَبِيلًا لِلْوُصُولِ إِلَى نَفْسِهِ، وَيُلْغِ إِلَى أَوْلِيَائِهِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُلْغِيَ إِلَى ذَاتِهِ.

ادْفِنِ نَفْسَكَ فِي أَرْضِ الْحُضُورِ، فَإِنَّ الْعَبَّ لَمْ يَكْمَلْ ثَمَرُهُ حَتَّى يُدْفَنَ فِي الْأَرْضِ.

لَا شَيْءَ أَنْفَعُ لِلْقَلْبِ مِنْ سَلَامٍ يَدْخُلُ مَعَهُ فِي سَاحَةِ مَعْرِفَةِ الثَّغَمَاءِ وَالصِّفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ.

أَوْجِبْ عَلَيْكَ خِدْمَتَهُ وَطَاعَتَهُ وَجَعَلَهَا فِي الْحَقِيقَةِ سَبَبًا لِدُخُولِكَ النِّجَّةِ.

لَمَّا عَلِمَ اللَّهُ قُصُورَ الْعِبَادِ فِي أَذَاءِ وَطَائِفِ عُبودِيَّتِهِ أَوْجَبَ عَلَيْهِمُ

طَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ، كَأَنَّهُ سَاقِفُهُمْ بِسَلَامٍ إِلَى عِبَادِهِ. يَعَجِبُ رَبُّكَ مِنْ عِبَادٍ يُسَاقِفُونَ إِلَى الْجَنَّةِ مُشْدُودِينَ فِي السَّلَامِ.

عَيْنُ لَكَ الْعِبَادَاتِ بِالْأَوْقَاتِ الْمُعَيَّنَةِ حَتَّى لَا يَمْتَنِعَكَ الْكَسَلُ وَالضَّعْفُ، وَوَسَّعَ فِي الْوَقْتِ حَتَّى يَبْقَى لَكَ وَقْتُ الْاِخْتِيَارِ.

عَلِمَ ضَعْفَكَ وَعَجَزَكَ فَخَفَّفَ عِدَّةَ الصَّلَوَاتِ وَعَلِمَ اِخْتِيَاجَكَ إِلَى قَضَائِهِ فَضَاعَفَ ثَوَابَكَ.

الصَّلَاةُ مَطَهْرَةٌ لِلْقُلُوبِ مِنَ أَذْنَانِ الْأَغْيَارِ، وَقَارِبَةٌ أَبْوَابِ الْأَسْرَارِ الْخَفِيَّةِ. الصَّلَاةُ مَحَلُّ الْمُنَاجَاةِ وَمَوْضِعُ الْمَحَبَّةِ، وَالْإِخْلَاصِ يَفْتَحُ فِيهَا الْقُلُوبَ لِلْأَسْرَارِ وَتَتَلَأَلَأُ نُجُومُ الْأَنْوَارِ.

كَيْفَ تَطْلُبُ مُقَابِلَ أَعْمَالٍ تُضِدُّ بِهَا، أَوْ كَيْفَ تَطْلُبُ جَزَاءَ صِدْقٍ أَخْبَرِي لَكَ مِنْهُ.

لَيْسَ الشَّيْءُ مَنْ يَزْجُو مِنَ الْمُتَحَيُّوبِ مُقَابِلًا أَوْ غَرَضًا.

أَنْتَ عَبْدٌ لِمَا تَحِبُّهُ. وَلَا يَحِبُّ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ تَكُونَ عَبْدًا لغيرِهِ.

كَمَا لَا يُحِبُّ اللَّهُ عَمَلًا مُشْتَرِكًا كَذَلِكَ لَا يُحِبُّ قَلْبًا مُشْتَرِكًا.

حَبْلُكَ أَنْ يَطْلُعَ النَّاسُ خَوَاصِ أَعْمَالِكَ، وَأَخْوَالُ بَاطِنِكَ عَلَاقَةٌ عِنْدَ صِدْقِكَ فِي الْعِبَادَةِ.

أَنْتَ مُخْتَاجٌ إِلَى حُلْمِ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَ عِبَادَتِهِ، وَطَاعَتِهِ فَوْقَ مَا تَخْتَاجُ إِلَى حُلْمِهِ عِنْدَ الْمُتَعَصِّبَةِ وَالنَّفْسِ.

لَا تَطْلُبُ عَوْضًا عَنْ عَمَلٍ أَنْتَ لَهُ فَاعِلٌ حَقِيقَةً، كَذَلِكَ عَوْضًا إِنْ قَبْلَهُ وَلَمْ يُؤَاخِذْ عَلَيْهِ.

إِذَا طَلَبْتَ الْجَزَاءَ عَلَى عَمَلٍ تُطَالِبُ فِيهِ بِالصَّدْقِ وَالْإِخْلَاصِ.

يَكْفِي لِلْعَامِلِينَ حِزَاءَ مُبْتَدِلٍ مَا يَفْتَحُ خِلَالَ الطَّاعَاتِ عَلَى قُلُوبِهِمْ
مِنْ أَبْوَابِ الْإِلَهَاتِ وَلَذَلِكَ الْمُنَاجَاةُ.

رَبَّنَا أَجَلُ مَنْ أَنْ يُعَامِلَهُ عَبْدُهُ بِطَاعَتِهِ تَقْدَامٌ وَيُؤَخَّرُ هُوَ جَزَاءُهُ سَلَفًا
إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

لَيْسَ عَمَلٌ أَشَدَّ قَبُولًا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ عَمَلٍ نَهَيْتَ عَنْ بَصْرِكَ مُشَاهِدَتَهُ
وَحَقِيرٌ فِي نَظْرِكَ وَجُودَهُ.

بِدَايَةُ سِرِّ جَمَارِ الْمَلَكُوتِ وَنِهَائَتُهُ وَاجِدَةٌ، فَلَا تُسَافِرُ مِنَ الْمَخْلُوقِ
إِلَى الْمَخْلُوقِ، بَلْ سِرٌّ مِنَ الْمَخْلُوقِ إِلَى الْخَالِقِ.

عَدَمُ الْحَزَنِ عَلَى قَوَائِمِ الطَّاعَاتِ وَالْعِبَادَاتِ وَعَلَى وَقُوعِ الْمَعَاصِي
وَالسَّيِّئَاتِ، عَلَامَةُ مَوْتِ الْقَلْبِ.

لَا يُسَبِّحُكَ عَنْ حُصُولِ الْاسْتِقَامَةِ مَعَ رَبِّكَ ذَنْبٌ ضَدَّرَ عَنْكَ لَعَلَّهُ آخِرُ
ذَنْبٍ قُدِّرَ لَكَ.

لَوْ قَابَلَكَ عَذْلُهُ وَإِنْصَافُهُ فَلَا ذَنْبَ بِصُغُرٍ، وَلَوْ قَابَلَكَ فَضْلُهُ فَلَا
مَغْصِبَةَ كِبَرٍ.

الْقَلْبُ لَا يَصْلُحُ لِأَنْ يَفْهَمَ الْحَقَائِقَ وَالْأَسْرَارَ مَا لَمْ يَنْتَبِ عَنْ أَغْمَالِ
- لَا تَعْنِيهِ.

الْعِلْمُ النَّاقِصُ هُوَ مَا انْتَشَرَتْ أَشْفَعَتُهُ فِي الصَّدْرِ وَالْقَلْبِ وَكُشِفَتْ عَنِ
الْقَلْبِ سُورَةُ الشُّكُوكِ وَالْأَوْهَامِ.

الباب الثاني عشر

الأخلاق الحميدة

قد شهد ربُّ الكعبة على الأخلاق الحميدة لسيدِّ الأولين والآخرين
 نبينا مُحَمَّدٍ ﷺ بقوله: ﴿وَلِلَّهِ لَعْنٌ عَظِيمٌ﴾ [القدم: ٤٤] وأمر أُمَّته باتباعه
 بقوله: ﴿أَفَلَا كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

فَلَا يَذُ السَّالِكِ مِنَ التَّحَلِّيِ عَنِ الْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ وَالتَّحَلِّيِ بِالْأَخْلَاقِ
 الْجَمِيلَةِ، لهذه الآية فَضِّلَتِ الْأَخْلَاقُ الْحَمِيدَةُ فِي الْإِسْلَامِ عَلَى سَائِرِ
 الْأَعْمَالِ بَعْدَ الْإِيمَانِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ
 خُلُقًا».

[أخرجه أبو داود والترمذي؛ جامع الأصول ج ٤ ص ٢٥]

وَأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ أَخْبَرَ بِأَنْ نُعَلِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ مَقْصُودُ الْبَغْيَةِ
 النَّبَوِيَّةِ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لَأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ».
 وَفِي رِوَايَةٍ: «بُعِثْتُ لَأَتَمِّمَ حُسْنَ الْأَخْلَاقِ».

[أخرجه في الموطأ؛ جامع الأصول ج ٤ ص ٤٤]

وَقَالَ: «الَّذِينَ التَّصَيَّحَتْ».

[أخرجه الترمذي؛ جامع الأصول ج ٦ ص ٥٦٣]

وَالْمُؤْمِنُ لَا يُرِيدُ شَرًّا لِأَحَدٍ، فَعَلَى السَّالِكِ أَنْ يَنْفَعِ الْآخِرِينَ مَهْمَا
 امْكَنَ فِي الدِّينِ أَوْ الدُّنْيَا، فَأَفْضَلُ الْأَعْمَالِ بَعْدَ الْإِيمَانِ إِصْلَاحُ الرَّاغِبِ إِلَى
 الْخَلْقِ، السَّيِّئِ الْخُلُقِ لَا يَرْضَاهُ الْعَالَمُونَ وَلَا الْمَخْلُوقُ، فَبِئْسَ اللَّهُ مُوسَى
 عَلَيْهِ السَّلَامُ سَأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ أَحْسَنُ خَلْقِكَ؟ فَقَالَ: مَنْ إِذَا

أَصَابَتْ الشُّوْكَهَ أَحَدًا يَخْزَنُ. فَالْشُّوْكَهَ الْحَسَنَةُ أَكْثَرُ شِفَاعَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْ خَيْرَاتِهِ.

مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ:

رَوَى عَنْ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ الصَّدِيقَةِ أَنَّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ عَشْرُ خِصَالٍ:
 ١ - الصَّدْقُ فِي الْقَوْلِ. ٢ - الصَّدْقُ فِي الْفِعْلِ. ٣ - إِعْطَاءُ السَّائِلِ. ٤ -
 جَزْلُهُ الْإِحْسَانَ. ٥ - صِلَةُ الرَّجِيمِ. ٦ - حِفْظُ الْأَمَانَةِ. ٧ - إِعْطَاءُ حَقِّ
 الْجَارِ. ٨ - إِعْطَاءُ حَقِّ الصَّاحِبِ. ٩ - إِعْطَاءُ حَقِّ الضَّيْفِ. ١٠ - أَضْلُ
 أَصُولِهَا وَمَنْبَتِي هَذِهِ كُلُّهَا الْحَيَاءُ.

قَالَ شَيْخُ: الْقَلْبِ الْمُتَوَرُّهُ مَا لَيْسَ فِيهِ خَلْقٌ (بِالْفَتْحِ) وَالْقَلْبِ
 الْأَسْوَدُ مَا لَيْسَ فِيهِ خَلْقٌ (بِالضَّمِّ).

جَعَلَتِ الْمَشَائِخُ الْخِصَالَ الْعَشْرَ الْآتِيَةَ عَلَامَاتٍ لِحُسْنِ الْخُلُقِ:

١ - مُقَابَلَةُ النَّاسِ بِطَلَاقَةِ الْوَجْهِ. ٢ - مُوَاسَاةُ النَّاسِ. ٣ - مُسَاعَدَةُ
 الْفُقَرَاءِ. ٤ - عَدَمُ مُخَالَفَةِ النَّاسِ فِي الْأُمُورِ الْحَسَنَةِ. ٥ - الْإِقْنَاءُ مِنَ اتِّبَاعِ
 غُيُوبِ النَّاسِ وَذِكْرُ غُيُوبِهِمْ. ٦ - مَلَا حَظَّهُ غُيُوبَ نَفْسِهِ. ٧ - إِنْ لَمْ أَحَدٌ
 قَطَّلَبِ الثَّأْوِيلَ الْحَسَنَ. ٨ - قَبُولُ مَعْلُومَةِ الْمُذْنِبِ. ٩ - الْاِغْتِدَالُ. ١٠ -
 الْاجْتِنَابُ عَمَّا لَا يَنْبَغِيهِ.

وَعَلَى الْمَسَالِكِ أَلَّا يُوْذِيَ أَحَدًا مِنْهُمَا أَمَّا أَنْ يَكُنْ. أَسْوَأُ الْأَمْرَاضِ دَاءُ
 الْقَلْبِ، وَأَسْوَأُ أَمْرَاضِ الْقَلْبِ إِيدَاءُ الْقُلُوبِ.

أَخْلَاقُ الصَّالِحِينَ:

قَالَ الْخَوَّاجَةُ أَبُو الْحَسَنِ الْحَرَقَانِي: مَنْ قَضَى يَوْمًا وَلَيْلَةً مِنْ
 غَيْرِ إِيدَاءٍ مُؤْمِنٍ، فَكَأَنَّهُ قَضَى ذَلِكَ الْيَوْمَ مَعَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
 وَالسَّلَامُ. يَنْبَغِي لِلْمَسَالِكِ أَنْ يَأْتِيَ بِالْحَسَنَةِ فِي رَدِّ الشُّيْثَةِ مَا أَمَّا أَنْ يَكُنْ.

قال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالْيَمِينِ أَمْسِرْ﴾ [نجم السجدة: ١٣٤].

ألا تَرَى أَنَّ شَجَرَةَ الْعَيْنِدِلِ تَغْلِبُ فَمَ الْغَالِبِ الَّذِي يَقْطِعُهَا، وَأوراقُ الورْدِ تَغْلِبُ الأَيْدِي التي تَمْسَحُهَا. قال الخواجه نظام الدين أولياء رحمة الله تعالى: يا حبيب إن وَضَعَ أَحَدُ الشُّوكِ في طَرِيقِكَ فلا تَضَعْ في طَرِيقِ الشُّوكِ وَلَا يَنْتَشِرْ في الْعَالَمِ كُلِّهِ الشُّوكُ فَفَقَطْ.

فَضَائِلُ حُسْنِ الْخُلُقِ:

قال الخواجه محمّد معصوم رحمة الله تعالى في مَكْتُوباتِهِ عن حُسْنِ الْخُلُقِ: يا مَنْ فِيهِ أَنَارُ الشُّفُقَةِ وَالْحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ قَلِيلَةٌ جَدَاءُ وَالْأُمُورُ الدَّائِمَةُ الْأَبَدِيَّةُ مُرْتَبِطَةٌ بِهَا، فَالْتَمِذْ مَنْ يَسْتَعِزُّ بِهَذِهِ الْفُرْصَةِ وَيَعْمَلُ لِلْآخِرَةِ وَيَتَزَوَّدُ لِلْمَسْغَرِ الطَّوِيلِ، وَاللَّهُ سَيُهَيِّجُهُ وَتَعَالَى بِجَمَلِكَ مُرْجِعاً لِحَوَائِجِ جَمَاعَةٍ، فَعَلَيْكَ بِشُكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْإِجْتِهَادِ لِقَضَائِ حَوَائِجِ الْخُلُقِ، وَاتَّخِذْ خِدْمَةَ عِبَادِ اللَّهِ وَآمَانِهِ وَمَسِيلَةً لِنَيْلِ دَرَجَاتِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْحَسْبُ الْمُعَامَلَةُ الْحَسَنَةُ مَعَ الْخُلُقِ وَالْإِحْسَانُ إِلَيْهِ، وَطَلَاقَةُ الْوَجْهِ لَهُمْ، وَمُقَابَلَتُهُمْ بِحُسْنِ الْخُلُقِ وَاللِّينِ وَالْيُسْرِ مَعَهُمْ مَسِيلاً لِنَيْلِ رِضَا السَّمَوِيِّ الْحَقِيقِيِّ جَلَّ سُلْطَانُهُ، وَذُرْبَةً لِلتَّجَاوُزِ وَتَقْدِمِ الدَّرَجَاتِ. قال عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «الْخُلُقُ عِيَالُ اللَّهِ فَأَحَبُّ الْخُلُقِ إِلَى اللَّهِ مَنْ أَحْسَنَ إِلَى عِيَالِهِ».

[رواه البيهقي، مشكاة المصابيح ص ٤٢٥]

وَيَذَكِّرُ عِدَّةَ أَحَادِيثَ. فَيُحَرِّزُ بَعْضُ الْأَحَادِيثِ فِي فَضِيلَةِ قُضَاءِ حَاجَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَإِرْضَائِهِمْ، وَحُسْنِ الْخُلُقِ وَاللِّينِ وَالْإِنْفِرَادِ أَوْ الْحُلُمِ فَيُنَبِّهُوهَا تَدْبِيراً كَافِئاً. وَإِنْ بَقِيَ إِمْتِحَانٌ فَاسْأَلْ عَنْهُ طَالِبُ الْعِلْمِ الْمُتَدَبِّرَ.

عن ابنِ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُظْلَمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ لِأَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي

حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ*.

[رواه البخاري ومسلم وأبو داود؛ الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٣٨٩]

وفي رواية مُسْلِمٍ: «وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَنِيدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ*».

[أيضاً ص ٣٩٠]

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ خَلْقًا خَلَقَهُمْ لِحَوَائِجِ النَّاسِ يَفْرَعُ النَّاسُ إِلَيْهِمْ فِي حَوَائِجِهِمْ أُولَئِكَ الْأَمْثُونَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ*».

[رواه الطبراني؛ أيضاً ص ٣٩٠]

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ أَقْوَامًا اخْتَصَّاهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ يَفْرَعُهُمْ عَلَيْهَا مَا يَنْدُلُوهَا، فَإِذَا مَكَّوْهَا فَرَّغَهَا مِنْهُمْ فَخَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ*».

[رواه ابن أبي الدنيا والطبراني؛ أيضاً ص ٣٩١]

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ خَرَجَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ خَيْرًا لَهُ مِنْ اعْتِكَافِ عَشْرِ سِنِينَ، وَمَنْ اعْتَكَفَ يَوْمًا ابْتِغَاءً وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ ثَلَاثَةَ خُتَاوَقِ كُلِّ خُتَاوَقٍ أَبْعَدُ مَا بَيْنَ الْخَائِفَيْنِ*».

[رواه الطبراني؛ أيضاً ص ٣٩١]

«مَنْ مَشَى فِي شَيْءٍ مِنْ حَاجَةِ أَخِيهِ حَتَّى يُشْبِثَهَا لَهُ أَظْلَمَ اللَّهُ مَرَّةً وَجَلَّ بِخَمْسَةِ وَسَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ وَيَدْعُونَ لَهُ إِنْ كَانَ صَبَاحًا حَتَّى يُتَسَبَّى وَإِنْ كَانَ مَسَاءً حَتَّى يُضِيحَ، وَلَا يَرْفَعُ قَدَمًا إِلَّا حَطَّ اللَّهُ رِجْلَهُ بِهَا خَطِيئَةً وَرَفَعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةً*».

[رواه أبو الشيخ وابن حبان وغيره؛ أيضاً ص ٣٩٢]

وَقَالَ أَيْضاً: «مَنْ مَشَى فِي حَاجَةِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ سَبْعِينَ خَسَنَةً وَمَحَا عَنْهُ سَبْعِينَ سَيِّئَةً إِلَى أَنْ يَرْجِعَ مِنْ حَيْثُ فَارَقَهُ،

فَإِنْ قُضِيَتْ حَاجَتُهُ عَلَى يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، وَإِنْ هَلَكَ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ دَخَلَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ.»

[رواه ابن أبي الدنيا؛ أيضاً ص ٣٩٢]

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ كَانَ لَهُ وَصْلَةٌ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ فِي مَبْلَغٍ بَرٍّ، أَوْ تَسِيرٍ غَسِيرٍ أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى إِجَازَةِ الصَّرَاطِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ دُخُولِ الْأَقْدَامِ.»

[رواه الطبراني؛ أيضاً ص ٣٩٣]

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ إِدْخَالُ الشُّرُورِ عَلَى الْمُؤْمِنِ، كَسَوَتْ عَوْرَتَهُ أَوْ أَتَمَّتْ جِرْعَتَهُ، أَوْ قُضِيَتْ لَهُ حَاجَتُهُ.»

[رواه الطبراني؛ أيضاً ص ٣٩٤]

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بَعْدَ الْفَرَائِضِ إِدْخَالُ الشُّرُورِ عَلَى الْمُسْلِمِ.»

[رواه الطبراني؛ أيضاً ص ٣٩٤]

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَا أَدْخَلَ زَجَلٌ عَلَى مُؤْمِنٍ شُرُوراً إِلَّا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ ذَلِكَ الشُّرُورِ مَلَكاً يَتَّبِعُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَيُوحِدهُ، فَإِذَا صَارَ الْعَبْدُ فِي قَبْرِهِ أَتَاهُ ذَلِكَ الشُّرُورُ، فَيَقُولُ: أَمَا تَعْرِفُنِي؟ فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا الشُّرُورُ الَّذِي أَدْخَلْتَنِي عَلَى قُلَّانٍ. أَنَا الْيَوْمُ أُلْدَسُ وَجْهَتَكَ وَأَلْفَتَكَ جِجْنَكَ وَأَثْبَتَكَ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ، وَأَشْهَدُكَ مَشَاهِدَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَشْفَعُ لَكَ إِلَى رَبِّكَ وَأُرِيكَ مَنَزِلَكَ مِنَ الْجَنَّةِ.»

[رواه ابن أبي الدنيا وأبو الشيخ؛ أيضاً ص ٣٩٥]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يَدْخُلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ»، وَسَمِعْتُ عَنْ أَكْثَرِ مَا يَدْخُلُ النَّاسَ النَّارَ؟ فَقَالَ: «الْقَمَرُ وَالْفَرْجُ.»

[رواه الترمذي وابن حبان والبيهقي؛ أيضاً ص ٤٠٣]

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيْمَانًا أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا وَالْأَطْفَهُمْ بَأْهْلِيهِ».

[رواه الترمذي والحاكم؛ أيضاً ص ٤٠٣]

وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَبْلُغُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ عَظِيمَ دَرَجَاتٍ الْآخِرَةِ، وَشَرَفَ الْمَنَازِلِ، وَإِنَّ لَضَعِيفِ الْعِبَادَةِ، وَإِنَّهُ لَيَبْلُغُ بِسُوءِ خُلُقِهِ أَسْفَلَ دَرَجَةٍ فِي جَهَنَّمَ».

[رواه الطبراني؛ أيضاً ص ٤٠٤]

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِأَيُّسِرِ الْعِبَادَةِ وَأَهْوَنِهَا عَلَى الْبَدَنِ: الصَّمْتُ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ».

[رواه ابن أبي الدنيا؛ أيضاً ص ٤٠٥]

وَرَوَى أَنَّ رَجُلًا أَنَى النَّبِيَّ ﷺ مِنْ قَبْلِ وَجْهِهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «حُسْنُ الْخُلُقِ». ثُمَّ أَتَاهُ عَنْ يَمِينِهِ، فَقَالَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «حُسْنُ الْخُلُقِ»، ثُمَّ أَتَاهُ عَنْ شِمَالِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «حُسْنُ الْخُلُقِ»، ثُمَّ أَتَاهُ مِنْ بَعْدِهِ، يَعْنِي مِنْ خَلْفِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «مَا لَكَ لَا تَفْقَهُ، حُسْنُ الْخُلُقِ هُوَ أَنْ لَا تَغْضَبَ إِنْ اسْتَطَعْتَ».

[رواه محمد بن نصر المروزي؛ أيضاً ص ٤٠٥، ٤٠٦]

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَنَا رَعِيمٌ بَيْتٍ فِي رَبْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ، وَإِنْ كَانَ شُحِقًا، وَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ، وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ».

[رواه أبو داود واللفظ له وابن ماجه والترمذي أيضاً ص ٤٠٦]

وَرَوَى جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، عَنْ جَبْرِيلَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى قَالَ: «إِنَّ هَذَا دِينُ أَرْنُفِيهِ لِنَفْسِي، وَلَنْ يُصْلَحَ

إِلَّا الْفَحْشَاءَ، وَالْحُلُقُ الْجَائِي، فَأَكْرِمُوهُ بِمَا مَا صَجَّحْتُمُوهُ.

[رواه الطبراني؛ أيضاً ص ٤١٦]

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْحُلُقُ الْحَسَنُ يُذِيبُ الْخَطِيئَاتِ كَمَا يَذِيبُ الْمَاءُ الْجَلِيدَ، وَالْحُلُقُ الشَّرُّ يُفْسِدُ الْعَمَلَ كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ».

[رواه الطبراني؛ أيضاً ص ٤١٦]

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ».

[رواه البخاري ومسلم؛ أيضاً ص ٤١٥]

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيَرْضَاهُ وَيَعِينُ عَلَيْهِ مَا لَا يُعِينُ عَلَى الْعُظْمَى».

[رواه الطبراني؛ أيضاً ص ٤١٦]

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرَمُ عَلَى النَّارِ، أَوْ يَمُرُّ نَحْرُمَ عَلَيْهِ النَّارُ؟ نَحْرُمُ عَلَى كُلِّ هَيْنٍ لَيْنٍ سَهْلٍ».

[رواه الترمذي؛ أيضاً ص ٤١٨]

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «الثَّانِي مِنَ اللَّهِ وَالْعَجَلَةَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَمَا أَحَدٌ أَكْثَرَ مَخَافِيرَ مِنَ اللَّهِ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْحَمْدِ».

[رواه أبو يعلى؛ أيضاً ص ٤١٨]

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيُذْرِكُ بِالْخُلْمِ ذُرَّةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ».

[رواه أبو الشيخ وابن حبان؛ أيضاً ص ٤١٨]

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «وَجِبَتْ مَحَبَّةُ اللَّهِ عَلَى مَنْ أَفْضَيْتَ قَلْبَهُ».

[رواه الأصبهاني؛ أيضاً ص ٤١٩]

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَلَا أَلْبِسُكُمْ بِمَا يَشْرَفُ اللَّهُ بِهِ الْبَيْتَانِ».

وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «تَحْكُمُ عَلَى مَنْ جَهِلَ عَلَيْكَ، وَتَغْفِرُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ، وَتَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ».

[رواه الطبراني والبيهقي أيضاً ص ٤١٩]

وقال عليه الصلاة والسلام: «ليس الشديد بالصرع، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب».

[رواه البخاري ومسلم، أيضاً ص ٤٢٠]

وقال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ الصَّدَقَةُ أَنْ تُسَلَّمَ عَلَى النَّاسِ، وَأَنْتَ حَلِيقُ الْوَجْهِ».

[رواه ابن أبي الدنيا، أيضاً ص ٤٢١]

وقال عليه الصلاة والسلام: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّالِّ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الْأَقْيَ وَالشُّوْكَ وَالْعِظَمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاغُكَ مِنْ ذُلِّكَ فِي ذُلِّ أَخِيكَ صَدَقَةٌ».

[رواه الترمذي، أيضاً ص ٤٢٢]

وقال ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ عُرْفَةً يَرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا»، قال أبو مالك الأشعري: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَبَاتَ قَائِماً وَالنَّاسُ نِيَامَ».

[رواه الطبراني والحاكم، أيضاً ص ٤٢٣]

أَخَذْنَا هَذِهِ الْأَحَادِيثَ مِنْ كِتَابِ الشَّرْعِيِّ وَالتَّوْحِيدِيِّ، وَهُوَ كِتَابُ مِنَ الْكُتُبِ الْمَعْتَبَرَةِ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ وَفَقْنَا اللَّهَ تَعَالَى لِلْعَمَلِ عَلَى مُقْتَضَاهَا، يَجِبُ عَلَيْنَا مُقَارَنَةُ صِفَةِ الْأَوْضَاعِ بِمَقْهُومِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ، وَالشُّكْرُ عَلَى مَا وَافَقَ الْأَحَادِيثَ، وَمَا لَمْ يُوَافِقْ يَجِبُ أَنْ نَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى بِعَجْزٍ وَتَضَرُّعٍ أَنْ يُوفِّقَ لِلْعَمَلِ بِهَا، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ تَوْفِيقَ الْعَمَلِ بِهَا قَوَرُباً فَلَا بُدَّ أَنْ يَمُزَّ

بذنبه لا محالة. وهذا الاعتراف نعمة أيضاً من الله عظيمته. معاذ الله أن لا يكون لأحد توفيق العمل، ولا يراه مدنيّاً، إذ ليس لديه من الإسلام إلا قليل. (ثم ذكر بيتاً معناه).

مَنْ وَجَدَهُ فَقَدْ وَجَدَ كَثْرًا كَبِيرًا مَنْ لَمْ يَجِدْ فَتَحَسَّبْهُ حُزُنُ قَوَالِيهِ

[المكتوبات المعصومة العدد الأول المكتوب رقم ١٤٧]

أمثلة نادرة للنصح:

١ - كان نبي الله صلى الله عليه وآله يذهب بجنوده إذ مرّ بوادي الثملي

ف: «**قَالَ تَلَّةٌ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ادْخُلُوا مَكْرَحَكُمْ**» (العدد: ١٨)، وقد رضي

الله تعالى بفضيحها، فذكر قصتها في القرآن المجيد وسمى سورة

بسورة الثملي، فتدبر لما كان هذا جزاء الله تعالى لثمليّة، فما بال

جزاء مؤمن نصيح لمؤمن. الله أكبر كبيراً.

٢ - يُلْقَى فَرْثُ الْحَيَوَانَاتِ وَعَذَارُ الْإِنْسَانِ فِي الْحَقْلِ، فَيَعْمَلَانِ هُنَاكَ عَمَلِ

السَّمَاءِ وَيُطْبِقُ بِهِ الزَّرْعُ، فَتُدْبِرُ. إِنَّ النَّجَاسَةَ تَقِيدُ زَرْعاً تَصْبِحُهُ، فَإِنْ

لَمْ تَقُدْ نَحْنُ النَّاسُ الَّذِينَ هُمْ أَثَرُفُ الْحَقْلِ، أَوْلَسْنَا أَنْقَضَ وَأَهْوَنَ مِنْ

الْقُدْرِ وَالنَّجَاسَةِ؟

٣ - كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ نَائِمًا فِي ظَهيرةِ الصَّبْرِ، وَكَانَتْ جَارِيَةٌ تُرَوِّحُ

بِمُرُوحَةٍ فَأَخَذَهَا النَّوْمُ فَنَامَتْ جَالِسَةً، فَاسْتَيْقَظَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ

وَحَمِدَ اللَّهَ تَعَالَى فَوَجَدَهَا نَائِمَةً، فَأَخَذَ الْمُرُوحَةَ مِنْ يَدِهَا وَبَدَأَ يَرَوِّحُ.

كَانَتْ الْجَارِيَةُ مُتَعَبَةً فَتَنَامَتْ نَوْمًا طَوِيلًا عَمِيقًا، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَتْ وَرَأَتْ

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوِّحُهَا تَحِيرَتْ، فَقَالَتْ: لَا تُخَزِّنِي إِلَيْكَ إِنْسَانٌ كَمَا أَلَيَّ

إِنْسَانٌ رَأَيْتُكَ نَائِمَةً فَأَخْبَيْتُكَ أَنْ أَرَوْحَ وَأُسْغِي رِضًا أَلَا سُبْحَانَهُ

وَتَعَالَى.

٤ - كَانَ الْإِمَامُ أَبُو حَنِيْفَةَ رَجَمَهُ اللَّهُ نَبِيْعُ الْأَفْوَشَةِ فِي شَبَابِهِ. أَعْلَقَ دُكَّانَهُ

يَوْمًا مُبَكَّرًا وَذَهَبَ إِلَى بَيْتِهِ، فَسَأَلَهُ شَخْصٌ فَقَالَ: السَّمَاءُ الْيَوْمَ مُغْبَرَةٌ
وَيُمْكِنُ أَنْ لَا يَأْتِيَكَ الزُّيُونُ نَوْحَ الْقِمَاشِ وَلَوْ أَنَّ إِدْرَاكَ تَأَمَّنَا، فَأَغْلَقْتُ
الدُّبَابَ حَتَّى لَا يَتَخَدَّعَ زَيْبُونُ فَيَحْسِبَ الثَّوبَ الرَّخِيصَ ثَمِينًا.

٥ - فَاتَّبَعَ وَصَرَ سَيِّدُنَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا فَتَحَ وَصَرَ دَخَلَ
حَيْمَتَهُ فَرَأَى حَمَامَةً بَاضَتْ وَاتَّخَذَتْ عَشَاءً، فَأَذِنَ لِلْمَجْنُونِ بِالرَّجِيلِ
وَتَوَكَّلَ فِئْطَاطَهُ قَائِمًا هُنَاكَ حَتَّى لَا تَتَأَذَّى الْحَمَامَةُ. وَيُقَالُ لِلْحَيْمَةِ فِي
الْعَرَبِيَّةِ: فِئْطَاطٌ. وَهَذَاكَ مَدِينَةٌ قَائِمَةٌ حَتَّى الْآنَ اسْمُهَا فِئْطَاطٌ تُشْهَدُ
بِعَظَمَةِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٦ - رَأَى رَافِعُ بْنُ الرَّسَيْدِ مَعَ خَلِيفَتِهِ فِي سَبْعَةِ أَرْبَعِينَ أَلْفًا
فَرَأَى كَلْبًا يَنَامُ، فَوَقَفَ مَعَ جَمَاعَتِهِ هُنَاكَ حَتَّى قَامَ الْكَلْبُ نَفْسَهُ وَذَهَبَ
إِلَى جَانِبِهِ، فَقَالَ الْمَوْلَى هَذَا حَتَّى لَا يَقَعَ أَيُّ خَلَلٍ فِي نَوْمِ الْكَلْبِ.

٧ - قَامَ الْحَوَاجَةُ بَاتِي بِاللَّهِ مَرَّةً لِلتَّهَجُّدِ وَكَانَ الْبَرْدُ شَدِيدًا، فَصَلَّى التَّهَجُّدَ
وَنَقَّاهُ إِلَى فِرَاشِهِ لِيَجْلِسَ فِيهِ، وَجَدَ هَرَّةً جَاءَتْ وَاقْتَحَمَتِ الْفِرَاشَ،
فَبَاتَ الشَّيْخُ يَتَبَرَّدُ عَلَى السَّجَادَةِ وَلَمْ تَرْضَ نَفْسُهُ بِإِخْرَاجِ الْهَرَّةِ مِنَ
الْفِرَاشِ.

٨ - خَدَّمَ الْحَوَاجَةُ بَهَاءَ الَّذِينَ نَقَشَبِلَدَ الْبُخَارِيَّ كَلْبًا جَرِيحًا سَبْعَةَ عَشَرَ
يَوْمًا، فَلَمَّا أَتَاهُ الْكَلْبُ أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ حَتَّى أَصْبَحَ
إِمَامًا لِلسَّلْسَلَةِ الْعَالِيَةِ النَّقَشَبَلِيَّةِ.

٩ - فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ، أَنَّ عَامِرَةَ سَقَتْ كَلْبًا عَطْشَانًا فَقَفَّرَ لَهَا، فَعَلَى
السَّالِكِ أَنْ يَحْسِبَ نَصِصَ الْآخَرِينَ ذُرْبَةً لِنَجَاتِهِ، وَقَدْ قَعَلَ السَّلَفُ
الصَّالِحُونَ بِالْحَيَوَانَاتِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ مَا نَرَى، أَلَيْسَ لَنَا أَنْ نُعَامِلَ
الْإِنْسَانِيَّ مَعَامِلَةً حَسَنَةً، الْإِسْلَامُ سَلَكٌ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ فِي سَبِيلِ
الْمُؤَافَاةِ.

فضائل الأخوة الإسلامية :

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠] وقال النبي ﷺ :
« من أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا رَزَقَهُ خَلِيلًا صَالِحًا إِنَّ نَسَبِي ذَكَرَهُ وَإِنْ ذَكَرَ أَخَاهُ ».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤ ؛ إحياء العلوم ج ٢ ص ١٧٢]

وفي رواية : « مَثَلُ الْأَخَوَيْنِ إِذَا اتَّقَيَا مَثَلُ التَّيْنَيْنِ تَغْمِيلُ أَحَدَاهُمَا الْأُخْرَى ، وَمَا التَّقَى مُؤْمِنَانِ قَطُّ إِلَّا أَقَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَحَدَهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ خَيْرًا ».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤ ؛ إحياء العلوم ج ٢ ص ١٧٢]

رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ أَحَى أَخًا فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ رَفَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ دَرَجَةً فِي الْجَنَّةِ لَا يَنَالُهَا بِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ ».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤ ؛ إحياء العلوم ج ٢ ص ١٧٢]

وروينا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا غَرِيبًا فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَتَجِبُ إِلَيْهِ الْإِيمَانُ وَتَهْلِكُ الْأَمْوَالُ وَتُهْلِكُ الْأَنْفُسُ ﴾ [الشورى: ٢٦] قَالَ : يَشْفَعُهُمْ فِي إِخْوَتِهِمْ فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ مَعَهُمْ ، وَبَيْنَ بَنِي هَذَا الطَّرِيقِ ابْنُ الْمُسَيَّبِ ، وَالشَّعْبِيُّ ، وَابْنُ أَبِي لَيْلَى ، وَهَشَامُ بْنُ عُرْوَةَ ، وَابْنُ ثَابِتٍ ، وَشَرِيحٌ ، وَشَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَابْنُ عِيَيْنَةَ ، وَابْنُ الْمُبَارَكِ ، وَالشَّافِعِيُّ ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَبَعْضُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ .

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤]

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « الْمُؤْمِنُ مَأْتَفٌ وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْتَفُ وَلَا يُؤْتَفُ ».

[مشكاة المصابيح ص ٤٢٥]

قال عليه الصلاة والسلام : « الْمُؤْمِنُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ ».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤ عوارف المعارف ص ٢٠٧]

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَا أُعْطِيَ عَبْدٌ بَعْدَ الْإِسْلَامِ

يَوْمًا مُبَكَّرًا وَذَهَبَ إِلَى بَيْتِهِ، فَسَأَلَهُ شُعْبَةُ فَقَالَ: السَّمَاءُ الْيَوْمَ مُغْبَرَّةٌ
وَيُمْكِنُ أَنْ لَا يُذْرِكَ الزَّبُونُ نَوْعَ الْقِمَاشِ وَلَوْنُهُ إِدْرَاكًا تَامًا، فَأَعْلَقْتُ
الدَّكَانَ حَتَّى لَا يَنْخَدِعَ زَبُونٌ فَيُخْسِبَ الثَّوبَ الرَّخِيصَ ثَمِينًا.

٥ - فَأَتَيْحَ مِصْرَ سَيِّدُنَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا فَتَحَ مِصْرَ دَخَلَ
حَتِيمَتَهُ فَرَأَى خَمَامَةً بَاضَتْ وَاتَّخَذَتْ غُشَاءً، فَأَذِنَ لِلْمُجُنُودِ بِالرَّجُلِ
وَتَرَكَ فُسْطَاطَهُ قَائِمًا هُنَاكَ حَتَّى لَا تَتَأَذَى الْخَمَامَةُ. وَيُقَالُ لِلْخَمِيمَةِ فِي
الْعَرَبِيَّةِ: فُسْطَاطٌ، وَهُنَاكَ عَدْبَةُ قَائِمَةٌ حَتَّى الْآنَ اسْمُهَا فُسْطَاطٌ تُشْهَدُ
بِعَظَمَةِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٦ - كَانَ مَوْلَانَا الرُّومِي مَعَ تَلَامِيذِهِ يَمْشِي عَلَى طَرِيقِ ضَبَقٍ بِالْمِزْرَعَةِ،
فَرَأَى كَلْبًا يَنَامُ، فَوَقَفَ مَعَ جَمَاعَتِهِ هُنَاكَ حَتَّى قَامَ الْكَلْبُ نَفْسَهُ وَذَهَبَ
إِلَى جَانِبٍ، فَعَلَّ الْمَوْلَى هَذَا حَتَّى لَا يَقَعَ أَيُّ خَلَلٍ فِي نَوْمِ الْكَلْبِ.

٧ - قَامَ الْخَوَاجَةُ بَاقِي بِاللَّهِ مَرَّةً لِلتَّهَجُّدِ وَكَانَ الْبَرْدُ شَدِيدًا، فَصَلَّى التَّهَجُّدَ
وَتَقَدَّمَ إِلَى فِرَاشِهِ لِيَجْلِسَ فِيهِ، وَجَدَ مَرَّةً جَاءَتْ وَافَقَتْ حَتَمَ الْفَرَاشِ،
فَبَاتَ الشَّيْخُ يَتَبَرَّدُ عَلَى الشَّجَاعَةِ وَلَمْ تَرْضَ نَفْسُهُ بِإِخْرَاجِ الْمَرَّةِ مِنَ
الْفَرَاشِ.

٨ - خَدِمَ الْخَوَاجَةُ بِهِاءَ الدِّينِ نَفْسَبَنْدُ الْبُخَارِي كَلْبًا جَرِيحًا سَبْعَةَ عَشَرَ
يَوْمًا، فَلَمَّا أَتَافَ الْكَلْبُ أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ حَتَّى أَصْبَحَ
إِمَامًا لِلنَّاسِلَةِ الْعَالِيَةِ الْقَشْبَانِيَّةِ.

٩ - فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ، أَنَّ عَاهِرَةَ سَقَتَ كَلْبًا عَطْشَانًا فَعَفَّرَ لَهَا، فَعَلَى
السَّالِكِ أَنْ يَحْسِبَ نَصِصَ الْآخِرِينَ فَرِيعَةَ لِنَجَاتِهِ، وَقَدْ فَعَلَ السُّلُفُ
الصَّالِحُونَ بِالْحَيَوَانَاتِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ مَا نَرَى، أَلَيْسَ لَنَا أَنْ نَعَامِلَ
الْإِنْسَانَ مَعَامِلَةً حَسَنَةً، الْإِسْلَامَ سَلَكَ جَمِيعُ الْمُؤْمِنِينَ فِي سَبِيلِ
الْمُوَاخَاةِ.

فضائل الأخوة الإسلامية :

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات : ١٠] وقال النبي ﷺ :
« من أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا رَزَقَهُ خَلِيلًا صَالِحًا إِنْ شِئِيَ ذَكَرَهُ وَإِنْ ذَكَرَ أَغَانَهُ ».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤ : إحياء العلوم ج ٢ ص ١٧٢]

وفي رواية : « مَثَلُ الْأَخَوَيْنِ إِذَا اتَّخَفَا مَثَلُ الْيَدَيْنِ تَغَيَّلَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ، وَمَا اتَّخَفَى مُؤْمِنَانِ قَطُّ إِلَّا أَفَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَحَدَهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ خَيْرًا ».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤ : إحياء العلوم ج ٢ ص ١٧٢]

روى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ آخَى أَخًا فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ رَفَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ دَرَجَةً فِي الْجَنَّةِ لَا يَتَأَلَّهَا بِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ ».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤ : إحياء العلوم ج ٢ ص ١٧٢]

وروي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَلِيلًا غَرِيبًا فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَتَقَرَّبْ إِلَى اللَّهِ وَأَمَلُوا وَتَهَلَّلُوا الصَّالِحِينَ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [النسوري : ٣٦] قال : يشقُّهُمْ فِي إِخْوَانِهِمْ فَيَذَلُّهُمْ الْجَنَّةُ مَعَهُمْ ، وَبَيْنَ مَا لِيَ إِلَى هَذَا الطَّرِيقِ ابْنُ الْمُسَيَّبِ ، وَالثَّعْلَبِيُّ ، وَابْنُ أَبِي لَيْلَى ، وَهَشَامُ بْنُ عُرْوَةَ ، وَابْنُ شَيْبَةَ ، وَشَرِيحٌ ، وَشَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَابْنُ عِيْنَةَ ، وَابْنُ الْمَيْمَرِ ، وَالشَّافِعِيُّ ، وَابْنُ أَحْمَدَ ، وَابْنُ حَنْبَلٍ وَبَنُو وَاقِفِهِمْ .

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤]

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « الْمُؤْمِنُ مَأْلَفٌ ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ ».

[مشكاة المصابيح ص ٤٢٥]

قال عليه الصلاة والسلام : « الْمُؤْمِنُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ ».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤ : عوارف المعارف ص ٢٠٧]

وقال عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَا أُعْطِيَ عَبْدٌ بَعْدَ الْإِسْلَامِ

خَيْراً مِنْ أَخٍ ضَالِحٍ ، وَقَالَ أَيْضاً : إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ وَدّاً مِنْ أَخِيهِ فَلْيَتَمَسَّكَ بِهِ فَقَلَّمَا نَصِيبُ ذَلِكَ .

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٥]

وقد قيل : أول ما يُزْفَعُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْخُشُوعُ ، ثُمَّ الْوَرَعُ ، ثُمَّ الْأَمَانَةُ ، ثُمَّ الْأَلْفَةُ .

[أيضاً ص ٤١٤]

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ فِي مَعْنَاهُ كَلَاماً مَنُظَّوْماً شِعْراً :

مَا نَالَتِ النَّفْسُ عَلَى بَغِيَةٍ الَّذِي مِنْ وَذْ صُلَيْبِي أَمِينٍ
مَنْ فَاتَهُ وَذْ أَخٍ ضَالِحٍ فَذَلِكَ الْمَقْطُوعُ مِنْهُ السُّوْنِينِ

[أيضاً ص ٤١٥]

وَفِي وَصِيَّةِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّتِي رَوَيْنَاهَا ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْأَنْصَارِيِّ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ قَالَ : قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَلَيْكَ بِإِخْوَانِ الصَّدِيقِ تَبِعْ فِي أَكْثَانِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ زِينَةُ فِي الرِّخَاءِ وَعُدَّةٌ فِي الْبَلَاءِ .

[أيضاً ص ٤١٧]

وَرَوَيْنَا فِي حَدِيثِ إِبْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «الْمُتَخَابِرُونَ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عَمُودٍ مِنْ يَأْفُونَةَ حَمْرَاءَ ، وَأَسْرَ الْعَمُودِ يَبْتَغُونَ أَلْفَ حُرُوفَةٍ ، تُشْرَفُونَ عَلَيْهَا أَهْلُ الْجَنَّةِ ، يُقْضَى خَمْسَتُهُمْ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ كَمَا تَقْضَى الشَّمْسُ لِأَهْلِ الدُّنْيَا ، عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُصِرَ مَكْتُوبٌ عَلَى جَبَاهِهِمْ : هَؤُلَاءِ الْمُتَخَابِرُونَ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .»

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٩ واللفظ له ، صوارف المعارف ص

٢٠٨ : وإحياء العلوم ج ٢ ص ١٧٤]

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَعَبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَنَّ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِيمَا يُؤْتَرُ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «خَفْتُ مَخْبِئِي
لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَخَفْتُ مَخْبِئِي لِلْمُتَوَاصِلِينَ فِيَّ، وَخَفْتُ مَخْبِئِي
لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَخَفْتُ مَخْبِئِي لِلْمُعْتَبِذِينَ فِيَّ».

[الترغيب والترهيب ج ٤ ص ١٨، ١٩ واللفظ له؛ وقوت القلوب

ج ٢ ص ٤٢٠]

وَعَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: «الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا التَّقَوُّوا فَكُفِّرُوا
بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ تَنَحَّاتٌ عَنْهُمْ الْخَطَايَا كَمَا تَنَحَّاتُ وَرَقُ الشَّجَرِ فِي
الْشِّتَاءِ إِذَا يَبَسَ».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٢٠؛ إحياء العلوم ج ٢ ص ١٧٥]

وَرَوَيْنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ظِلِّ
عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلُّ إِلَّا ظِلُّهُ مِنْهُمْ كَذَا وَاثْنَانِ تَأَخَّيَا فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،
اجْتَمَعَا عَلَى ذَلِكَ وَتَفَرَّقَا».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٢٠؛ الترغيب والترهيب ج ٤ ص ١٥، ١٦]

وَكَانَ الْمُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَغَيْرُهُ يَقُولُ: «نُظَرُ الْأَخِ
إِلَى وَجْهِ أَخِيهِ عَلَى الْمَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ عِبَادَةً».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٢٠]

وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا فِي اللَّهِ تَعَالَى فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى،
فَارْتَصَدَّ اللَّهُ عَلَى مَذْرَجَتِهِ مَلَكًا فَقَالَ: أَيُّنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أَرَدْتُ أَخًا لِي فِي
هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ رَجِمٌ تَصِلُهَا، أَوْ لَهُ عَلَيْكَ نِعْمَةٌ تُرَبِّهَا،
قَالَ: لَا، إِلَّا أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ تَعَالَى. قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ، إِنَّ
اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٢١]

وَقَدْ رَوَيْنَا عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ اللَّهَ رَضِيَ اللَّهَ

عنهما: لو أن رجلاً صام النهار لا يفطر، وقام الليل، وجاهد ولم يحب في الله عز وجل ولم يتبعض في الله ما نفعه ذلك شيئاً.

[عوارف المعارف ص ٢٠٩]

وَقَدْ رَوَيْنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «أَيُّ عُرَى الْإِيمَانِ أَوْثَقُ؟» فَأَلَوْا: الصَّلَاةُ، قَالَ: «حَسَنَةٌ وَلَيْسَ بِهِ». قَالُوا: الْحَجُّ وَالْجِهَادُ. قَالَ: «حَسَنَةٌ وَلَيْسَ بِهِ». قَالُوا: فَأَخْبِرْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ: الْحُبُّ فِي اللَّهِ تَعَالَى وَالتَّبَعُضُ فِيهِ».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٢٢]

وفي حديث عبادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، وَقَالَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ: كُنْتُ أَلْقَى الْأَخَ مِنْ إِخْوَانِي مَرَّةً فَأَقِيمَ عَاقِلًا بِلِقَائِهِ إِيَّامًا.

[إيضاً ص ٤٢٣]

وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ: كُنْتُ إِذَا وَجَدْتُ فِي نَفْسِي فِتْرَةً، نَظَرْتُ إِلَى مُحَمَّدٍ بْنِ وَاسِعٍ، وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ يَقُولُ: مَا بَقِيَ فِي الدُّنْيَا شَيْءٌ إِلَّاهُ إِلَّا ثَلَاثٌ: الصَّلَاةُ فِي جَمَاعَةٍ، وَالتَّهَجُّدُ مِنَ اللَّيْلِ، وَلِقَاءُ الْإِخْوَانِ. وَكَانَ الْحَسَنُ وَأَبُو قَلَابَةَ يَقُولَانِ: إِخْوَانُنَا أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَهْلِينَا وَأَوْلَادِنَا لِأَنَّ أَهْلِينَا يُذَكِّرُونَنَا الدُّنْيَا وَإِخْوَانُنَا يَذَكِّرُونَنَا الْآخِرَةَ.

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٢٣]

شروط أساسية للأخوة:

يُشْرَطُ لَوُقُوعِ الْمُوَاخَاةِ بَيْنَ شَخْصَيْنِ أَوَّلًا الشَّجَاسَةُ أَيِ التَّمَنُّاتِلِ فِي أَخَوَاتِهِمَا كَانَ يَكُونَا صَالِحَيْنِ أَوْ مُرِيدَيْنِ لِشَيْخٍ وَاجِبٍ، أَوْ يَكُونَا مِنْ حَمَلَةِ الْعِلْمِ الظَّاهِرِ أَوِ الْبَاطِنِ.

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: لَا تُتَحَقَّقُ الْأَلْفَةُ بَيْنَ رَجُلَيْنِ إِلَّا لِسَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ الْأَرْبَعَةِ:

١ - الاتِّخَاذُ فِي الْعَزْمِ (كَأَن يَكُونَا سَالِكَيْنِ).

٢ - الاِشْتِرَاكُ فِي الْحَالِ (كَأَن يَكُونَا دَاخِلَيْنِ فِي مِلْسِلَةٍ وَاحِدَةٍ).

٣ - التَّقَارُبُ فِي الْعِلْمِ (كَأَن يَكُونَا صَاحِبِي نِسْبَةٍ).

٤ - الاتِّصَافُ فِي الْأَخْلَاقِ (كَأَن يَكُونَا مُتَوَاضِعَيْنِ).

وَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمَا اِشْتِرَاكٌ فِي الْأُمُورِ الْأَرْبَعَةِ تَشْتَدُّ مَوَاطِنُهُمَا، وَلِذَا قِيلَ: الْجِسْرُ يَمِيلُ إِلَى الْجِسْرِ.

قال أبو طالب: وقد رُويَنا في حديث: «أَنَّ الْأَرْوَاحَ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ» إِلَى أَنْ قَالَ: وَفِي هَذَا الْخَبَرِ زِيَادَةٌ: وَلَوْ أَنَّ مُؤْمِنًا دَخَلَ إِلَى مَجْلِسٍ فِيهِ مَائَةٌ مُنَافِقٍ، وَفِيهِ مُؤْمِنٌ وَاحِدٌ لَجَاءَ حَتَّى يَجْلِسَ إِلَيْهِ. وَلَوْ أَنَّ مُنَافِقًا دَخَلَ إِلَى مَجْلِسٍ فِيهِ مَائَةٌ مُؤْمِنٍ، وَفِيهِ مُنَافِقٌ وَاحِدٌ لَجَاءَ حَتَّى يَجْلِسَ إِلَيْهِ. وَقَدْ ذَكَرَ لِهَذَا الْحَدِيثِ سَبَبٌ عَلَى مَا ذَكَرْتَاهُ وَهُوَ أَنَّ امْرَأَةً عَطَّارَةً كَانَتْ بِالْمَدِينَةِ مِنْ أَحَدِ قَقْدَسِيَّاتِ امْرَأَةٍ مِنْ مَكَّةَ عَطَّارَةً وَكَانَتْ مَرْأَحَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَى مَنْ نَزَلَتْ؟» قِيلَ: عَلَى فَلَانَةٍ.

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٥٢]

وكذلك رُويَنا في حديثِ الْمَرْأَحَةِ الَّذِي آخَى فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَصْحَابِهِ، فَأَخَى بَيْنَ اثْنَيْنِ شَكْلَيْنِ فِي الْعِلْمِ وَالْحَالِ، آخَى بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَبَيْنَ عُمَرَ وَغُنْدَرِ الرَّحْمَنِ، وَهُمَا نَظِيرَانِ. وَأَخَى بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ وَهُمَا شَكْلَانِ فِي الْعِلْمِ وَالزَّهْدِ، وَأَخَى بَيْنَ عَمَّارٍ وَسَعْدٍ وَكَانَا نَظِيرَيْنِ، وَأَخَى بَيْنَ عَلِيٍّ وَبَيْنَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ أَجْمَعِينَ.

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٥٤]

رُويَ أَنَّ مَعْرُوفًا سَأَلَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا مَخْمُورٍ: هَذَانِ الرَّجُلَانِ

إِمَامًا هَذَا الْبَلَدِ فَأُثِرَ عَلَيَّ أَيُّهُمَا أَضْحَبُ؟ فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَتَذَبَّ بِهِ: أَخْمَدُ ابْنَ خَنْبَلٍ أَوْ بِشْرُ بْنُ الْخَارِثِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؟ فَقَالَ لَهُ مَعْرُوفٌ: لَا تَضْحَبْ أَحَدَهُمَا فَإِنَّ أَحْمَدَ صَاحِبُ حَدِيثٍ، وَفِي الْحَدِيثِ اشْتِغَالُ النَّاسِ، فَإِنْ صَحِبْتَهُ ذَهَبَ مَا تُجِدُ فِي قَلْبِكَ مِنْ خَلَاوَةِ الذِّكْرِ وَحُبِّ الْخَلْوَةِ، وَأَمَّا بِشْرٌ فَلَا يَتَفَرَّغُ لَكَ وَلَا يُقْبِلُ عَلَيْكَ شُغْلًا بِحَالِهِ، وَلَكِنْ أَضْحَبْ أَسْوَدَ بْنَ سَالِمٍ فَإِنَّهُ يُضْلِحُ لَكَ وَيَقْبِلُ عَلَيْكَ، فَفَعَلَ الرَّجُلُ ذَلِكَ فَانْتَفَعَ بِهِ. وَإِنَّمَا ضَمَّمَهُ مَعْرُوفٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْأَسْوَدِ دُونَهُمَا، لِأَنَّهُ كَانَ الْبَقِيَّةَ بِحَالِهِ وَأَشْبَهَ بِوَضْعِهِ.

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٥٤]

قَالَ بَعْضُ عُلَمَاءِ الْعَرَبِ: الصَّاحِبُ كَالرَّقْعَةِ فِي الشُّوبِ إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ جِلْبَبِهِ شَانَقَةً.

[أيضاً ص ٤٥٢]

وَيُقَالُ: إِذَا اضْطَحَبَ الثَّانِ بُرْهَةً مِنَ الزَّمَنِ وَلَمْ يَتَشَاغَلْ فِي الْحَالِ، فَلَا يَدُ أَنْ يَتَفَرَّقَا. وَفَدَّ أَتَيْنَا بَعْضَ الْعَرَبِ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ فِي مَعْنَاهُ:

وَقَائِلِي لِمَ تَفَرَّقْتُمَا قُلْتُ قَوْلًا فِيهِ انْصَافٌ
لَمْ يَكْ مِنْ شَكْلِي قَضَارَقُشُهُ وَالنَّاسُ أَشْكَالٌ وَالْأَفْ

[أيضاً]

الحبيب كيف يكون؟

كَانَ بِشْرُ بْنُ الْخَارِثِ يَقُولُ: لَا تُخَالِطْ مِنَ النَّاسِ إِلَّا حَسَنَ الْخُلُقِ فَإِنَّهُ لَا يَأْنِي إِلَّا بِخَيْرٍ، وَلَا تُخَالِطْ سَيِّئَ الْخُلُقِ فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِشَرٍّ.

[أيضاً ص ٤٣٥]

وَقَالَ الثَّوْرِيُّ: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُؤَاجِجَ رَجُلًا فَأَغْضِبْهُ، ثُمَّ دَسْ عَلَيْهِ مَنْ يَسْأَلُهُ عَنْكَ فَإِنْ قَالَ خَيْرًا فَاضْحَبْهُ، وَقَالَ غَيْرُهُ: لَا تُؤَاجِجْ أَحَدًا حَتَّى

تَبَلَّوْهُ وَتَقَبَّلْنِي إِلَيْهِ سِرًّا ثُمَّ جَافَيْهِ وَاسْتَعْظِيبِهِ، وَانْظُرْ فَإِنَّ أَفْسَى عَلَيْكَ
فَاجْتِنَانِي، وَقِيلَ لِأَبِي يَزِيدَ: مَنْ أَصْحَبُ مِنَ النَّاسِ؟ قَالَ: مَنْ يَعْلَمُ مِنْكَ
مَا يَعْلَمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَسْتُرُ عَلَيْكَ مَا يَسْتُرُ اللَّهُ تَعَالَى.

[أيضاً ص ١٣٥]

كَانَ النُّمُودَجُ فِعْلِي لـ: (تَخَلَّفُوا بِاخْلَاقِ اللَّهِ).

كَانَ بَغْضُ النَّاسِ يَقُولُ: لَا تُؤَاخِ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَنْ لَا يَتَغَيَّرُ عَلَيْكَ
فِي أَرْبَعٍ: عِنْدَ غَضَبِهِ وَرِضَاهُ، وَعِنْدَ طَمَعِهِ وَهَوَاهُ. وَقَالَ بَغْضُ الْأَدْبَاءِ:
لَا تَصْحَبْ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَنْ كَانَ عَلَى هَذَا الْوَضْعِ: يَكْتُمُ سِرَّكَ وَيَسْتُرُ
بِرَّكَ وَيَطْوِي عَيْتَكَ، وَيَكُونُ فِي الثَّوَابِ مَعَكَ وَفِي الرِّغَائِبِ يُؤْتَرُ.

[أيضاً ١٣٦]

قَالَ بَغْضُ الْعُلَمَاءِ: لَا تَصْحَبْ إِلَّا أَحَدَ رَجُلَيْنِ: رَجُلًا تَتَعَلَّمُ مِنْهُ
شَيْئاً مِنْ أَمْرِ دِينِكَ فَيَنْتَفِعُكَ، أَوْ رَجُلًا تَعَلَّمَهُ شَيْئاً مِنْ دِينِهِ فَيَقْبَلُ مِنْكَ.
وَالثَّلَاثُ أَهْرُبُ مِنْهُ. وَقَالَ ابْنُ أَبِي الْحَوَارِي، قَالَ لِي أَسْتَاذِي أَبُو
سُلَيْمَانَ: يَا أَحْمَدُ لَا تَصْحَبْ إِلَّا أَحَدَ رَجُلَيْنِ [رَجُلٍ] تَرْتَفِقُ بِهِ فِي دُنْيَاكَ،
أَوْ رَجُلٍ تَزِيدُ مَعَهُ وَتَنْتَفِعُ بِهِ فِي آخِرَتِكَ.

[أيضاً ص ١٣٧]

كَانَ أَبُو ذَرٍّ يَقُولُ: الْوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ السُّوءِ وَالْجَلِيسُ الصَّالِحِ
خَيْرٌ مِنَ الْوَحْدَةِ.

[أيضاً]

وَأَوْحَى بَغْضُ السَّلَفِ ابْنَهُ فَقَالَ: يَا بَنِي لَا تَصْحَبْ مِنَ النَّاسِ إِلَّا
مَنْ إِنْ افْتَقَرْتَ قُرْبَ مِنْكَ، وَإِذَا اسْتَعْنَيْتَ لَمْ يَطْمَعْ فِيكَ، وَإِنْ عَدَّتْ
مَرَاتِبُهُ لَمْ يَرْتَفِعْ عَلَيْكَ، وَإِنْ قَدَلَّتْ لَهُ صَانِكَ، وَإِنْ اخْتَجَّتْ لَهُ مَائِكَ،
وَإِنْ اجْتَمَعَتْ مَعَهُ زَائِكَ.

[أيضاً ص ١٥٩]

وقال بعض الأئمة: الناس أَرْبَعَةٌ، فاضْحَبُ ثَلَاثَةٌ وَلَا تَضْحَبُ وَاحِدًا: رَجُلٌ يَذَرِي وَيَذَرِي أَنَّهُ يَذَرِي، فِهَذَا عَالِمٌ فَاتَّبِعُوهُ. وَرَجُلٌ يَذَرِي وَلَا يَذَرِي أَنَّهُ يَذَرِي فِهَذَا نَائِمٌ فَتَبْهَوْهُ. وَرَجُلٌ لَا يَذَرِي وَيَذَرِي أَنَّهُ لَا يَذَرِي فِهَذَا جَاهِلٌ فَعَلِّمُوهُ، وَرَجُلٌ لَا يَذَرِي وَلَا يَذَرِي أَنَّهُ لَا يَذَرِي فِهَذَا مُتَأَنِّقٌ فَاجْتَنِبُوهُ.

[أيضاً ص ١٥٤]

وكان أبو مهران يقول: أَخْرُجْ مِنْ مَثَرَلِي فَأَنَا بَيْنَ ثَلَاثَةٍ: إِنْ لَقِيتُ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنِّي، فَهُوَ يَوْمٌ فَأَتَدَبِّرُ أَتَعْلَمُ مِنْهُ، وَإِنْ لَقِيتُ مَنْ هُوَ مِثْلِي فَهُوَ يَوْمٌ مُذَاكِرَتِي، وَإِنْ لَقِيتُ مَنْ هُوَ دُونِي فَهُوَ يَوْمٌ مَثُونَتِي أَعْلِمَنِي فَأُخْتَسِبُ فِيهِ الْأَجْرَ.

وقال أبو جعفر محمد بن علي لأبيه جعفر بن محمد: لَا تَضْحَبَنَّ مِنَ النَّاسِ خَمْسَةً، وَاضْحَبْ مَنْ شِئْتَ: الْكَذَّابُ فَإِنَّكَ مِنْهُ عَلَى غَرَرٍ وَهُوَ مِثْلُ الشَّرَابِ يَقْرُبُ مِنْكَ الْبَعِيدَ وَيَبْعَدُ مِنْكَ الْغَرِيبَ، وَالْأَخْمَقُ فَإِنَّكَ لَسْتَ مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ يَرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيُضِرُّكَ، وَالْبَخِيلُ فَإِنَّهُ يَقْطَعُ بِكَ أَخْرَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ، وَالْحَيَّانُ فَإِنَّهُ يَسْلُمُكَ عِنْدَ الشَّدَّةِ وَالْفَاجِئُ فَإِنَّهُ يَبِيعُكَ بِالْأَمَلِ أَوْ بِأَقْلٍ مِنْهَا. قُلْتَ: وَمَا أَقْلٌ مِنْهَا؟ قَالَ: الْعَطْمُ.

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٥٥]

قال أبو طالب المكي: إِيَّاكَ أَنْ تَضْحَبَ مِنَ النَّاسِ خَمْسَةً: الْمُتَنَدِّعُ، وَالْفَاسِقُ، وَالْجَاهِلُ، وَالْحَرِيصُ عَلَى الدُّنْيَا، وَالْكَثِيرُ الرُّغْبَةِ لِلنَّاسِ.

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٥١]

وقد كان سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَجَمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: الْخَطَرُ إِلَى وَجْهِ الْأَخْمَقِ حَاطِيَةٌ مَكْتُوبَةٌ.

[أيضاً]

وفي الحديث الشريف: خَيْرُ صَاحِبٍ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مَنْ يَرْفُقُ بِأَصْحَابِهِ، وَخَيْرُ جَارٍ مَنْ يَرْفُقُ بِجِيرَانِهِ - إِيَّاكَ وَمُصَاحِبَةَ الْجَاهِلِ، فَإِنَّهُ يُخْرِتُكَ عَنْ مَنَاصِلِ الْخَيْرِ أَوْ يَفْزِقُكَ عَنْ مَنَاصِلِ الْكَرِيمِ - أَمَرَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِالْاجْتِنَابِ عَنِ مُصَاحِبَةِ شَخْصَيْنِ، وَأَمَرَ بِمُصَاحِبَةِ شَخْصٍ.

١ - إِيَّاكُمْ وَمُصَاحِبَةَ الْجَاهِلِ، فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَشِيرُوا النَّاسَ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ وَفَّيْنَاكَ سَبِيلَ الْبَرِّ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٨٩].

٢ - إِيَّاكُمْ وَمُصَاحِبَةَ الْعَاقِلِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَفْلَحْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ [الكهف: ٢٨].

٣ - عَلَيْكُمْ بِمُصَاحِبَةِ الْمُتَنِيبِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [النمل: ١٥]. فَيُلَبِّغِي لِلسَّالِكِ أَلَّا يُصَاحِبَ إِلَّا شَيْخَهُ أَوْ إِخْوَانَهُ فِي الطَّرِيقَةِ، إِذْ تَصَلُّقُ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْآيَةُ.

آداب الأخوة:

يُلَبِّغِي لِلسَّالِكِينَ أَنْ يَضَعُوا أَمَانَتَهُمْ آدَابَ الْأَخْوَةِ كُلِّ وَفِيٍّ وَيُجْعَلُوا حَيَاتَهُمْ مُوَافِقَةً لَهُ وَفِيمَا يَلِي بَعْضُ الْأَدَابِ:

١ - يُحَاوِلُ أَنْ يَسْبِقَ إِخْوَتَهُ فِي الْمَسْجِدِ وَالْمَوْئِدَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِحَبِيبِهِ ﷺ: ﴿وَخُفِّضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجرات: ٨٨]. وَذَكَرَ الصُّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ يَقُولُونَ: ﴿رُحْمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

قَالَ شَاعِرٌ فِي وَصْفِ مُؤْمِنٍ كَامِلٍ مَا مَعْنَاهُ:

إِذَا كَانَ يَجْمَعُ الْأَصْدِقَاءَ فَهُوَ مِثْلُ الْخَرِيرِ

وَإِذَا وَقَعَ خَرْبٌ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْيَاجِلِ فَالْمُؤْمِنُ خَدِيدٌ

وَمِنْ أَوْصَافِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿أُولَئِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَمْرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الفتح: ٢٩]

وَقَالَ فِي مَقَامٍ آخَرَ: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [النسر: ٣]. وَقَالَ عَلَيْهِ

العبادة والسلام: «الرَّحِمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْخِفْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ».

[أخرجه الترمذي؛ جامع الأصول ج ٤ ص ٥١٥]

٢ - يُحَاوِلُ نَقْضًاو حَاجَاتِ أَخُوهِ. وَقَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَمَّنْ لَيْسَ لَهُ

صَدِيقٌ حَمِيمٌ تَنَفَّعَ شَفَاعَتِهِ: ﴿مَا تَأْتِيَن شَفِيعِينَ وَلَا مَرْفُوعِيمَ﴾

[الشعراء: ١٠٠، ١٠١].

ومعنى حميم أي هميم، أبدلت الحاء هاء لتقاربهما، مأخوذ من الاهتمام أي سهتم بأمره، ففيه دليل أن الصديق لك هو المهمتك بك.

[أيضاً ص ٤١٤]

وَكَذَلِكَ كَانَ السَّلَفُ فِيمَا ذَكَرَهُ الْحَسَنُ وَغَيْرِهِ قَالُوا: كُنَّا أَخَذَهُمْ
يُخْلِفُ أَخَاهُ فِي عِيَالِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَا يَفْقِدُونَ إِلَّا وَجْهَةً.

[أيضاً ص ٤٢١]

ومن حق الأخوة في الله عز وجل ما نُقِلَ إلينا من سيرة السلف
قال: كَانَ الرَّجُلُ يَجِيءُ إِلَى مَنَزِلِ أَخِيهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ، فَيَقُولُ
لَأَخِيهِ: هَلْ عِنْدَكُمْ ذَيْقٌ؟ أَلَكُم رَيْتٌ، تَحْتَاجُونَ إِلَى كَذَا، فإِنْ
قَالُوا: لَيْسَ عِنْدَنَا اشْتَرَى لَهُمْ مَصَالِحَهُمْ، وَلَمْ يَكُنِ الْأَخُ يَفْرُقُ بَيْنَ
عِيَالِهِ وَعِيَالِ أَخِيهِ، يُقَامِسُهُمُ الْمَوْتُونة قَالَ: وَيَلْقَى أَخَاهُ فَلَا يَعْلِمُهُ
بشئٍ من ذلك.

[أيضاً ص ٤٢١]

يُقَالُ: إِنَّ مَسْرُوقًا إِذَا دَنَا ثَقِيلاً، وَكَانَ عَلَى أَخِيهِ خَيْشَمَةٌ ذَيْنَ،
قَالَ: فَذَعَبَ مَسْرُوقٌ فَقَضَى ذَيْنَ خَيْشَمَةً وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، وَذَعَبَ خَيْشَمَةً
فَقَضَى ذَيْنَ مَسْرُوقٍ سَرًّا وَهُوَ لَا يَعْلَمُ.

[أيضاً ص ٤٢١]

نَظَرَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى ثَوْرَيْنِ يَخْرَتَانِ فِي قُدَانٍ، فَوَقَفَ
أَخَذَهُمَا يَخُكُ خَيْشَمَهُ فَوَقَفَ الْآخَرُ، فَبَكَى أَبُو الدَّرْدَاءِ فَقَالَ لَهُ: هَكَذَا

الْأَخَوَانِ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، يُعْمَلَانِ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَيَتَعَاوَنَانِ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ.

[أيضاً ص ٤٤٠]

٣ - لا يخزي أخاه بإرتكاب خطأ، بل يُحاول لإصلاحه بطريق مُناسب،
روينا عن أبي الدرداء أَنَّ شَاباً عَلَبَ عَلَى مَجْلِسِهِ حَتَّى أَخْبَهُ أَبُو
الدرداء، فَكَانَ يَقْدِمُهُ عَلَى الْأَشْيَاحِ وَيَقْرِيهِ فَيَحْسَدُوهُ، وَأَنَّ الشَّابَّ وَقَعَ
فِي كَبِيرَةٍ مِنَ الْكِبَائِرِ، فَنَجَّاهُ إِلَى أَبِي الدرداء فَحَدَّثُوهُ وَقَالُوا لَهُ: لَوْ
أَبْعَدْتَهُ فَقَالَ: بَسَّحَانَ اللَّهُ لَا تُشْرِكُ صَاحِبَتَنَا لشيءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ. وَروينا
عَنْ بَعْضِ التَّابِعِينَ، وَعَنِ الصُّحَابَةِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ، وَقَدْ قِيلَ لَهُ فِيهِ،
فَقَالَ: إِنَّمَا أَبْغَضُ عَمَلَهُ وَإِلَّا فَهُوَ أَخِي، وَكَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
لِنَبِيِّهِ فِي حَشِيرَتِهِ: ﴿إِنِّ عَصَاكَ قُلُّ لِي بِرِيٍّ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٦].

وَلَمْ يَقُلْ: قُلْ إِنِّي بَرِيٌّ مِنْكُمْ لِلْحِمَةِ النَّسَبِ.

[أيضاً ص ٤٢٢]

وفي حديث عُمَرَ رضي الله عنه، وَقَدْ سَأَلَ عَنْ أَخٍ كَانَ آخَاهُ،
فَخَرَجَ إِلَى الشَّامِ فَسَأَلَ عَنْهُ بَعْضُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْهِ فَقَالَ: ذَاكَ أَخُو الشَّيْطَانِ.
قَالَ: مَهْ. قَالَ: إِنَّهُ قَارَفَ الْكِبَائِرَ حَتَّى وَقَعَ فِي الْخَمْرِ، فَقَالَ: إِذَا أُرِدْتَ
الْخُرُوجَ فَأَذِّنِي، قَالَ: فَكُنْتُ إِلَيْهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿حَمَّ تَبِيلُ
الْكَذِبِ مِنْ أَثَرِ الْغَيْرِ الْعَلِيمِ عَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْغَيَْابِ ذِي الْقُدْرَةِ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمُهَيْمِنِ﴾ [غافر: ١-٢] ثُمَّ عَاقَبَهُ تَحْتَ ذَلِكَ وَعَذَلَهُ، فَلَمَّا فَرَأَ
الْكِتَابَ قَالَ: صَدَقَ اللَّهُ وَنَصَحَ لِي عُمَرُ. قَالَ: فَتَابَ وَرَجِعَ.

[أيضاً ص ٤٢٢]

عَدَمُ الْإِمْتِنَانِ بِتَصِيحَةِ الْإِخِ عِلَامَةُ فُسُوقِ الْقَلْبِ وَكَذِبِ الْحَالِ. قَالَ
اللَّهُ تَعَالَى فِي الْكَافِرِينَ: ﴿وَلَكِنْ لَا يُحِبُّونَ التَّصْيِيحَ﴾ [الاعراف: ٨٩].

٤ - لَيْسَ شَرُّ عُيُوبٍ أَحَبَّ وَأَخْطَأَ، جَاءَ فِي الْحَبَرِ: أَسْتَعِيدُ بِاللَّهِ مِنْ جَارِ السُّوءِ الَّذِي إِنْ رَأَى خَيْرًا سَتَرَهُ وَإِنْ رَأَى شَرًّا ظَهَرَهُ.

[أيضاً ص ٤٢٨]

وَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي وَصْفِ الْعَدَالَةِ قَوْلًا اسْتَحْسَنَهُ الْعُلَمَاءُ، وَحَدَّثَنَا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ قَالَ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: مَا أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُطِيعُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى لَا يَغِيبَهُ، وَلَا أَحَدٌ يَعِصِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى لَا يَطْلُعَهُ، فَمَنْ كَانَتْ طَاعَتُهُ أَكْثَرَ مِنْ مَعَاصِيهِ فَهُوَ الْعَدْلُ.

[أيضاً]

قَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَصْحَابِهِ: كَيْفَ تَضَعُونَ إِذَا رَأَيْتُمْ أَحَاكِمًا نَائِمًا، فَكَشَفَ الرِّيحُ عَنْهُ ثَوْبَهُ قَالُوا: نَسْرُهُ وَنُعْطِيهِ فَقَالَ: بَلْ تَكْشِفُونُ عَوْرَتَهُ. قَالُوا: سُبْحَانَ اللَّهِ مَنْ يَفْعَلُ هَذَا؟ فَقَالَ: أَحَدُكُمْ يَسْمَعُ فِي أَحَبِّهِ بِالْكَلِمَةِ فَيَزِيدُ عَلَيْهَا وَيُضَاعِفُهَا بِأَعْظَمِهَا.

[أيضاً ص ٤٢٩]

قال **رحمه الله**: «مَنْ سَتَرَ أَخَاهُ سَتَرَ اللَّهُ عُيُوبَهُ».

٥ - لَا تَقْشِيبَنَّ لَهُ سِرًّا. قَالَ الْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَا يُزِيهِ عَبْدُ اللَّهِ: إِنِّي أَرَى هَذَا الرَّجُلَ - يَعْنِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يُقَدِّمُكَ عَلَى الْأَشْيَاخِ وَيُقَرِّبُكَ ذُوْنَهُمْ، فَاخْفِظْ عَنِّي ثَلَاثًا: لَا تَقْشِيبَنَّ لَهُ سِرًّا، وَلَا تُخْتَابَنَّ عِنْدَهُ أَحَدًا، وَلَا يُكْجِرَنَّ عَلَيْكَ كَذِبَةً. وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ: وَلَا تَغْشِيبَنَّ لَهُ أَمْرًا، وَلَا يَطْلُعَنَّ مِنْكَ عَلَى خِيَانَةٍ. قَالَ: فَقُلْتُ لِلشَّعْبِيِّ وَقَدْ رَوَاهُ: كُلُّ كَلِمَةٍ خَيْرٌ مِنَ أَلْفٍ، قَالَ: كُلُّ كَلِمَةٍ خَيْرٌ مِنَ عَشْرَةِ أَلْفٍ.

[أيضاً ص ٤٣٤]

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا سَمِعْتُ فِي حِفْظِ السِّرِّ مَا حَدَّثَنِي بَعْضُ أَشْيَاخِنَا عَنْ

إخوان له، دَخَلُوا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَزِ، فَاسْتَشْدُوهُ شَيْئاً مِنْ شَيْئِهِ فِي حِفْظِ السِّرِّ، فَأَسْتَشْدُوهُمْ عَلَى الْبُدِيَّةِ:

وَمُسْتَشْدُو عِي سِرّاً تَبَوَّاتُ كُتْمَهُ فَأَوْدَعْتُهُ ضَلْزِي فَصَارَ لَهُ قَبْراً

[أيضاً]

وَرَوَيْنَا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ لَا يَغْتَنِمُهُ وَلَا يَخْشِمُهُ.

[أيضاً]

٦ - يَنْبَغِي لِلْمَسْأَلِكِ أَنْ يَدْعُوَ لِأَخِيهِ بِالْعَيْبِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«يُسْتَجَابُ لِلدَّعْوَى فِي أَخِيهِ مَا لَا يُسْتَجَابُ لَهُ فِي نَفْسِهِ»، وَجَاءَ فِي

الْحَدِيثِ: «دُعَاءُ الْأَخِ لِأَخِيهِ بِالْعَيْبِ لَا يُرَدُّ». وَبَقِيَّةُ قَوْلِ الْمَلِكِ:

«وَلَكِ يَثَلُ هَذَا - كَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: إِنِّي لَا دَعُو

لِأَرْبَعِينَ مِنْ إِخْوَانِي فِي سُجُودِي أَسْمِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ».

[أيضاً ص ٤٤٠]

وَكَانَ شَيْخٌ يَقُولُ: نَحْرُسْنَا أَدْعِيَةً أَكْبَرَنَا.

٧ - يَنْبَغِي لِلْمَسْأَلِكِ أَنْ يَدْعُوَ لِأَخِيهِ بَعْدَ وَقَائِهِ، لَا يُذْزِي لَعْلَ دُعَاءِهِ

يُسْتَجَابُ وَيَغْفَرُ لَهُ نَيْبٌ حَسَنٌ نَبِيٌّ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَثَلُ الْمُنِيبِ فِي

قَبْرِهِ مَثَلُ الْغَرِيقِ يَتَعَلَّقُ بِكُلِّ شَيْءٍ، يَنْتَظِرُ دَعْوَةً مِنْ وَلَدٍ أَوْ وَالِدٍ أَوْ أَخٍ

وَإِنَّهُ لَيَدْخُلُ عَلَى قُبُورِ الْأَمْوَاتِ مِنْ دُعَاءِ الْأَخْيَاءِ مِنَ الْأَنْوَارِ أَشْأَلِ

الْجِبَالِ». وَيَقَالُ: الدُّعَاءُ لِلْأَمْوَاتِ بِمَنْزِلَةِ الْهَيَايَا لِلْأَحْيَاءِ فِي الدُّنْيَا،

وَقَدْ كَانَ الْإِخْوَانُ يُوضُونَ إِخْوَانَهُمْ يَغْدَهُمْ بِدَوَامِ الدُّعَاءِ لَهُمْ، وَكَانَ

عَلَيْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: غَرِيبٌ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ.

[أيضاً ص ٤٤١]

وَمَا أَحْسَنَ هَذَا الدُّعَاءَ الَّذِي عَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ: ﴿وَرَبَّنَا

أَغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠].

على السَّالِكِ، أَنْ يَوْسَعَ مَائِدَتَهُ لِأَخِيهِ وَيَعْمَلَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا تَطْبَعُكَ رَبُّكَ لِلنَّاسِ﴾ [الإنسان: ٩].

وَقَدْ كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ بِنِ وَاسِعٍ، وَفَرَّقَ السَّنَجِي يَدْخُلُونَ مَنَزِلَهُ فَيَأْكُلُونَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُؤْذَنَ لَهُمْ وَيَقُولُ: ذَكَرْتُمُونِي أَخْلَاقِي قَوْمَ مَضُوزٍ. فَكَذَا كُنَّا نَدْخُلُ عَلَى أَبِي سَلَيْمَانَ الدَّارَازَانِي، فَيَقْدِمُ إِلَيْنَا الطَّيِّبَاتِ وَلَا يَأْكُلُ مَعَنَا وَيَقُولُ: إِنَّمَا خِيَاتُهُ لَكُمْ، فَقُلْنَا: نَطْعِمُنَا الشَّهَوَاتِ وَلَا تَأْكُلُهَا. فَقَالَ: لَا أَكُلُهَا لِأَنِّي قَدْ تَرَكْتُ أَكْلَهَا، وَأَقْدَمْتُهَا إِلَيْكُمْ لِأَنِّي أَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَشْتَهُونَهَا. وَقَالَ: كُنَّا نَبَايْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ آدَهَمَ فِي الْمَصْبِصَةِ وَفِي قُرَى السَّوْجَلِ، فَكَانَ يَكْسِرُ لَنَا الصَّنَوِيرَ وَالْبِنْدَقَ وَاللُّوزَ لِنَلَهُ أَجْمَعَ وَيَقُولُ: كُلُوا، فَقُلْنَا: لَوْ أَقْبَلْتَ عَلَى صَلَاتِكَ وَتَرَكْتَ هَذَا. فَيَقُولُ: هَذَا أَفْضَلُ.

[أيضاً ص ٤٤٤]

أَبَاحَتِ الشَّرِيعَةُ أَكْلَ الطَّعَامِ مِنْ بَيْتِ الصَّادِقِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ، أَكَلِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ لَحْمِ بَرِيرَةَ تُصَدِّقُ بِهَا عَلَيْهَا وَكَانَتْ غَائِبَةً لَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ يُسِيرُهَا.

[أيضاً]

نَظَرَ فَاشِشُ الْأَوْقَصِ إِلَى الْخَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَهُوَ يَأْكُلُ مِنْ جَوْزٍ لِبْقَالٍ: مِنْ هَذِهِ بُسْرَةً وَمِنْ هَذِهِ تِينَةً. فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا سَعِيدَ، تَأْكُلُ مِنْ مَا لِلرَّجُلِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ، فَقَالَ: يَا لَكُمُ، أَتَلُ عَلَيَّ آيَةَ الْأَكْلِ ثُمَّ فَرَأَ الْحَسَنُ: ﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ [النور: ٦١] إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ سَرْدَبِكُمْ﴾ [النور: ٦١].

[أيضاً]

وَقَدْ كَانَ بَعْضُ النَّاسِ يَفْجِؤُهُ الضَّيْقُ، فَلَمَّ يَكُنْ عِنْدَهُ مَا يَقْدَرُهُ إِلَيْهِ فَيَذِهُبُ إِلَى مَنَزَلِ أَخِيهِ فَيَأْخُذُ خُبْزاً وَقِلَراً قَدْ كَانَ طَبَّخَهَا، فَيَحْمِلُهُ إِلَى

ضيفه فبَلَقَاهُ أَوْهَ بَعْدَ ذَلِكَ فَنُيْسِتْخَسِنُهُ مِنْهُ وَيَأْمُرُهُ بِفَعْلٍ مِثْلٍ هَذَا فِي كُلِّ نَائِيَةٍ.

[أيضاً]

وَرُوِينَا أَنَّ مَالِكَ بْنِ دِينَارٍ وَمُحَمَّدَ بْنَ وَاسِعٍ دَخَلَا مَثْرُونَ الْحَسَنِ وَكَانَ غَائِباً فَأَخْرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ سَلَةً فِيهَا طَعَامٌ مِنْ تَحْتِ السَّرِيرِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ، فَدَخَلَ الْحَسَنُ فَقَالَ: هَكَذَا كُنَّا لَا يَخْتَلِسُ بَعْضُنَا مِنْ بَعْضٍ.

[أيضاً ص ٤٤٦]

كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُونَ يَخْتَلِطُونَ بِأَخْوَانِهِمُ الْمُسْلِمِينَ يَتَاكَلُونَ وَيَتَمَاشَوْنَ فِي الْأَسْوَاقِ، يَشْتَرُونَ الْخَوَاصِ بِأَتْفُسِهِمْ وَيَحْمِلُونَ هُمْ مَتَاعَهُمْ وَكَانَ هَذَا سِيَرَةَ الصَّخَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَالتَّابِعِينَ. كَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَحْمِلُ الْقُرْبَةَ عَلَى ظَهْرِهِ لِأَهْلِيهِ، وَكَانَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَحْمِلُ التَّمَرَ وَالْمُلُخَ فِي ثَوْبِهِ وَيَدُهُ وَيَقُولُ:

لَا يَشْقُصُ الْكَامِلُ مِنْ كَمَالِهِ مَا جَزَّ مِنْ نَفْعٍ إِلَى عِيَالِهِ

وَمِنْهُمْ أَبِي، وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَحَذِيفَةُ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كَانُوا يَحْمِلُونَ حَزْمَ الْخَقْلِ وَجَرَبَ الدَّقِيقِ عَلَى أَكْتَافِهِمْ وَظُهُورِهِمْ، وَسَبْدُ الْمُرْسَلِينَ، وَإِمَامُ الْمُتَّقِينَ، وَرَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، مُحَمَّدٌ ﷺ كَانَ يَشْتَرِي الشَّيْءَ فَيَحْمِلُهُ بِنَفْسِهِ. فَيَقُولُ لَهُ صَاحِبُهُ: أَغْلَيْتِ أَحْمِلِي عَنْكَ، فَيَقُولُ: «صَاحِبُ الشَّيْءِ أَحَقُّ بِحَمْلِهِ».

[أيضاً ص ٤٤٨]

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْلِبُ الشَّاةَ وَيُسَاعِدُ أَهْلَهُ فِي إِعْدَادِ الْخَبْزِ، وَيَكْتَسُ الْبَيْتَ مَعَ أَنَّهُ يَغْلِبُ عَلَيْهِ خَشْيَةُ اللَّهِ وَحُبُّهُ. (بَيِّنُ مِنْ هَذَا التَّفْصِيلِ خَطَأَ سَالِكِينَ يَغْتَمِرُونَ عَنِ الْأُمُورِ الْمَثْرِيَةِ بِالِاسْتِعْجَالِ بِالذِّكْرِ وَالْأَوْرَادِ وَيَتَحَسَّبُونَهُ زُفْداً وَتَقْوَى). قَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَأَنْ

أَصْنَعُ مِنْ طَعَامٍ وَأَجْمَعُ عَلَيْهِ إِخْوَانِي فِي اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَغْنِيَ رَقَبَةً.

[أيضاً ص ٤٤٤]

وَكَانَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا لِي لَجَعَلْتُهَا فِي قَمِ أَخٍ مِنْ إِخْوَانِي لَأَسْتَفْلَتْهَا لَهُ، وَقَالَ: إِنِّي لَأَقُفُّ الْأَخَّ مِنْ إِخْوَانِي اللَّفْظَةَ فَاجِدُ طَعْمَهَا فِي حَلْقِي.

[أيضاً ص ٤٣٣]

٨ - يَنْبَغِي لِلسَّائِلِ أَلَّا يُؤْذِيَ إِخَاهُ أَبَدًا. كَانَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُرَبِّيُّ يَضَعُ مِيزَابَ سَقْفِهِ فِي سَاحَتِهِ حَتَّى لَا يَثْأَذِيَ أَحَدٌ. نَزَلَ عَلَيْهِمْ عِنْدَ الشَّيْخِ حُسَيْنِ أَحْمَدَ الْمَدَنِيِّ ضَيْفًا، فَقَدَّمَ الشَّيْخُ لَهُ الْقَوَاقِةَ، فَرَفَعَ الضَّيْفُ مِنَ الْأَكْلِ فَقَالَ: أَنَا أَرْمِي الْقِشْرَةَ فِي الْخَارِجِ، فَقَالَ: سَوْفَ تَرْمِي الْقِشْرَةَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ، وَسَيَرَى أَطْفَالُ الْحَجَّارِ وَيَرْغَبُونَ فِي أَكْلِ الْقَاقِةِ، فَلَمَّا لَمْ يَجِدُوهُ فِي بَيْتِهِمْ تَعَادَى قُلُوبُهُمْ، فَسَأَلَ الضَّيْفُ: فَكَيْفَ تَرْمِي أَنْتَ؟ فَقَالَ: أَجْعَلُ الْقِشْرَةَ قِطْعًا وَأَرْمِي قِطْعَةً فِي مَكَانٍ، وَقِطْعَةً فِي مَكَانٍ آخَرَ بَعْدَ مَسَافَةٍ فَلَا يَظْهَرُ بِرؤْيَيْهَا أَنَّ أَحَدًا أَكَلَ الْقَوَاقِةَ.

يُجِبُّ الشَّحُورَ عَنْ إِيْدَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَيُجِبُّ ذِكْرَهُمْ بِكَلِمَاتٍ طَيِّبَةٍ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي وَصِيَّتِهِ لِمُجَاهِدٍ: وَلَا تَذْكُرْ أَخَاكَ إِذَا تَغَيَّبَ عَنْكَ إِلَّا بِمَثَلٍ مَا تُجِبُّ أَنْ تَذْكُرَ بِهِ إِذَا غَبَثَ، وَاعْفُوهُ بِمَا تُجِبُّ أَنْ تُعْفَى بِهِ. كَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ: مَا ذُكِرَ أَخِي عِنْدِي فِي غَيْبٍ إِلَّا تَمَنَّاكَ جَالِسًا، فَقُلْتُ فِيهِ مَا يُجِبُّ أَنْ يُسْمَعَ فِي حُضُورِهِ.

[أيضاً ص ٤٢٠]

٩ - وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَحْدِثَ صُورَةُ نِزَاعٍ. وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ الْبَاهِلِيِّ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ نَقْمَارِي فَعُصِيبَ ثُمَّ قَالَ: دَرُوا

المِرْءاء لِقَلْبِهِ خَيْرٌ، فَرَأَوْا الْمِرْءاءَ فَإِنْ نَفَعَهُ قَلِيلٌ وَهُوَ يَهَيِّجُ الْعَدَاوَةَ بَيْنَ
الْإِخْوَانِ.

[أيضاً ص ٤٢٩]

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حُبَيْبٍ بْنِ نُفَيْرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُتِبَ بِالْيَمَنِ وَكَانَ
لِي جَارٌ يَهُودِيٌّ وَيُخْبِرُنِي عَنِ الثَّوْرَةِ، فَقَدِمَ عَلَيْنَا يَهُودِيٌّ مِنْ سَفَرٍ فَقُلْتُ:
إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ بَعَثَ فِيْنَا نَبِيًّا قَدْخَا إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمْنَا، وَقَدْ
نَزَلَ عَلَيْنَا مُصَدِّقًا لِلثَّوْرَةِ فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: صَدَقْتُ، وَلَكِنَّكُمْ لَا تَسْتَطِيعُونَ
أَنْ تَقُومُوا بِمَا جَاءَكُمْ بِهِ، إِنَّا نَجِدُ نَعْنَهُ وَنَعْتُ أُمِّيَّةً أَنَّهُ لَا يَجِلُّ لِأَفْرَى
يَعْلَمُ مِنْهُمْ أَنْ يُخْرِجَ مِنْ غَنِيَّةِ بَابِهِ وَفِي قَلْبِهِ مَخِيبَةٌ عَلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ.

[أيضاً ص ٤٣٠]

قَالَ السَّلَفُ الصَّالِحُونَ: مَا يَحْسُدُ الشَّيْطَانُ الْمُتَعَاوِينَ عَلَى بَرٍّ
حَسَنَهُ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْمُتَحَابِّينَ فِيهِ، فَإِنَّهُ يَجْهَدُ نَفْسَهُ
وِيَحْكُ قَبِيلَهُ عَلَى إِفْسَادِ مَا بَيْنَهُمَا. وَقَدْ قَالَ الصَّادِقُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقُلْ
لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ عَنْهُمْ﴾ [الاسراء: ٥] يعني: يَقُولُونَ
الْكَلِمَةَ الْحَسَنَةَ بَعْدَ نَزْعِ الشَّيْطَانِ، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ مُخْبِراً عَنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ: ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ [يوسف: ١٠٠].

[أيضاً ص ٤١٦]

١٠ - وَعَلَى السَّالِكِ أَنْ يَنْصَحَ لِأَخِيهِ وَإِثَاءً أَنْ يَفْضَحَهُ، وَفَرَّقَ بَيْنَ
النَّصِيحَةِ وَالْفَضِيحَةِ فَمَا كَانَ فِي السِّرِّ فَهُوَ نَصِيحَةٌ، وَمَا كَانَ عَلَى
الْعَلَانِيَةِ فَهُوَ فَضِيحَةٌ، وَعَلَّمَا تَصَحَّ فِيهِ النِّيَّةُ لَوُجُوهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِأَنَّ
فِيهِ شَتَاعَةً، وَكَذَلِكَ الْفَرَقُ بَيْنَ الْعِتَابِ وَالتَّوْبِيخِ، فَالْعِتَابُ مَا كَانَ فِي
خَلْوَةٍ، وَالتَّوْبِيخُ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي جَمَاعَةٍ.

وَكَذَلِكَ يُذَارِي وَلَا يُدَاهِرُ، فَالْمُذَارَاةُ مَا أُرْذِتَ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى
وَطَرِيقَ الْآخِرَةِ مِنْ دَفْعٍ عَنْ بَيْنٍ وَقُضِدَتْ بِهِ سَلَامَةُ أَخِيكَ مِنَ الْإِثْمِ

وَمَصْلَاحُ قَلْبِهِ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَالْمُدَاهَنَةُ مَا اجْتَنَبْتَ بِهِ مِنْ دُنْيَا وَأَرَدْتَ بِهِ حِفْظَ نَفْسِكَ، وَكَذَلِكَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْغِيظَةِ وَالْحَسَدِ، إِنَّ الْغِيظَةَ أَنْ تُحِبَّ لِنَفْسِكَ مَا رَأَيْتَهُ مِنْ أَخِيكَ، وَلَا تُحِبَّ رِوَالَهُ عَنْهُ، بَلْ تَقْبِيئَتُهُ لَهُ وَإِثْمَانُهُ عَلَيْهِ، وَالْحَسَدُ مَا أَرَدْتَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْهُ لَكَ، وَأَحْبَبْتَ رِوَالَهُ عَنْهُ وَكَرِهْتَ تَقْبِيئَهُ عَلَيْهِ، فَهَذَا مَكْرُوهٌ فَإِنْ سَعَيْتَ فِي ذَلِكَ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ فَهُوَ الْبَغْيُ زِيَادَةُ عَلَى الْحَسَدِ، وَهُوَ مِنْ كَبَائِرِ الْمَعَاصِي.

أَخِيكَ بِدَلِيلٍ يَظْهَرُ لَكَ أَوْ شَاهِدٍ يَدْعُو مِنْهُ أَوْ عِلَامَةٍ تُشْهِدُهَا فِيهِ، فَتَقَرَّرُ مِنْ ذَلِكَ فِيهِ وَلَا تَنْطِقُ بِهِ إِنْ كَانَ سُوءًا، وَلَا تُظْهِرُهُ وَلَا تَحْكُمُ عَلَيْهِ وَلَا تَقْطَعُ بِهِ فِتْنَتَهُ، وَسُوءُ الظَّنِّ مَا ظَنَنْتَهُ مِنْ سُوءِ رَأْيِكَ فِيهِ أَوْ لِأَجْلِ جَفَدٍ فِي نَفْسِكَ عَلَيْهِ أَوْ لِسُوءِ نِيَّةٍ تَكُونُ أَوْ خَبَتْ خَالٍ فِيكَ، تَغْرِفُهَا مِنْ نَفْسِكَ فَتَحْمِلُ خَالَ أَخِيكَ عَلَيْهَا وَتَقْبِيئُهُ بِكَ، فَهَذَا هُوَ سُوءُ الظَّنِّ وَالْإِثْمُ، وَهُوَ غِيَّةُ الْقَلْبِ وَهُوَ مُحْرَمٌ.

[أَيْضاً ص ٤٢٧، ٤٢٨]

قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَذَابَرُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَقَاطَعُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا».

[أَيْضاً ص ٤٢٩]

وَمِنْ عِلَامَةِ الثَّقَى حُسْنُ الْمَقَالِ عِنْدَ الثَّقَرِيِّ، وَجَمِيلُ الْبَشْرِ عِنْدَ الثَّقَاتِ، أُنَشِدْنَا بَعْضَ الْعُلَمَاءِ الْحُكَمَاءِ فِي مَعْنَاهُ:

إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا تَفَضَّى وَدَّهَ يُخْفِي الْقَبِيحَ وَيُظْهِرُ الْإِحْسَانَا
وَتَرَى الشَّيْخَ إِذَا تَصَرَّمَ حَبَلَهُ يُخْفِي الْجَمِيلَ وَيُظْهِرُ الْبُهْتَانَا

فَوُصِفَ الْكَرِيمُ فِي هَذَا الْمَعْنَى التَّخَلُّقِ بِخُلُقِ الرُّبُوبِيَّةِ، أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى الدُّعَاءِ الْمَأْثُورِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَوَّلِهِ: يَا مَنْ أَظْهَرَ

الجميل ومنشئ القبيح، ولم يؤخذ بالخيرية ولم يهلك السنن.

[أيضاً من ٤١٧]

وإنشاء هذه الأوصاف في نفسه يقال له التعلق بأخلاق الله. وعلى السالك أن يحذر من هذا الذغاة. ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ لَنَا لِأَحْرَقْنَا أَلَيْتَ سَبْقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ فقال: «يَطْلُعُ الْآنَ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، فَطْلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ تَلَطَّفَ لِحَيْتِهِ مِنْ وَهُوبِهِ قَدْ عَلِقَ تَغْلِيهِ بِيَدِهِ الشَّمَالَ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مثل ذلك، فَطْلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرْءِ الْأَوَّلَى، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّالثُ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مثل مقالته أيضاً، فَطْلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأَوَّلَى، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ تَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، فَقَالَ: إِنِّي لِأَحْيَيْتُ أَبِي فَأَفْسَسْتُ أَنِّي لَا أَدْخُلُ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتُ؛ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ أَنَسُ: فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَحْدِثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَ تِلْكَ الثَّلَاثِ اللَّيَالِي، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئاً غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَغَارَّ ثَقُلَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَثِيرٌ، حَتَّى لَصَلَاةِ الْفَجْرِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا، فَلَمَّا مَضَتْ الثَّلَاثُ اللَّيَالِي، وَكَدَتْ أَنْ أُخْفِضَ عَمَلَهُ قُلْتُ: يَا عَبْدُ اللَّهِ لِمَ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرَةٌ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ:

«يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، فَطْلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ الْمَرَّاتِ، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ فَأَنْظَرُ مَا عَمَلْتُكَ فَأَقْتَدِي بِكَ، فَلَمْ أَرَكَ عَمِلْتُ كَبِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، فَلَمَّا وَلَيْتُ ذَعَانِي فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ غَيْرَ أَنِّي لَا

أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عُشًّا وَلَا أَحْسَدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَغْفَلُهُ
اللَّهُ إِلَيَّ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: هَذِهِ النَّبِيُّ بَلَّغَتْ بِكَ.

[رواه أحمد؛ الترمذي؛ والترمذي ج ٣ ص ٥٤٩]

لِدَامَةِ الْمُوَاحِشِ خُلُقَانِ أَمَاسِيَّانِ: تَوَاضِعٌ وَإِثَارٌ. قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ: «مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ». قَالَ شَاعِرٌ مَا مَعْنَاهُ:

مَنْ تَوَاضَعَ وَتَخَضَّعَ كَمَا لِلْأَرْضِ غَطَّاهُ رَحْمَةُ اللَّهِ كَالسَّمَاءِ

قَالَ شَيْخٌ لِمُرِيدِيهِ: كَلِّبْ ضُجْبَ أَصْحَابِ الْكَهْفِ فَوَعِدَ بِالْجَنَّةِ
وَذَكَّرَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. اخْسِئُوا أَصْحَابَكُمْ كَأَصْحَابِ الْكَهْفِ وَاخْسِئُوا
أَنْفُسَكُمْ كَنَفْسِهِمْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِرِزْقَةِ أَصْحَابِكُمْ. كَانَ الْخَوَاجِةُ فَضَّلَ عَلَيَّ
الْقُرَيْشِي يَقُولُ لِمُرِيدِيهِ:

يَا مَعْشَرَ الْمُفْقِرَاءِ انْظُرُوا إِنْ الرَّأْسَ مَرْتَفِعٌ كُلَّمَا يَخْطِيهِ الْإِنْسَانُ
يَضْرِبُ رَأْسَهُ بِالسَّمَاءِ وَالْقَدَمُ مُتَحَفِضٌ، وَكُلَّمَا انْحَرَمَ الْإِنْسَانُ يَأْخُذُ النَّاسُ
الْأَقْدَامَ وَيَحَاوِلُونَ لِإِرْضَائِهِ فَرِيئَاتُكُمْ وَالتَّكْبِيرُ. وَيَنْبَغِي لِلسَّالِكِ أَنْ يَتَوَاضَعَ
لِأَخِيهِ فِي الدِّينِ حَتَّى لَوْ وَضَعَ قَدَمَهُ عَلَى صَدْرِهِ وَمَشَى لَا تَغَضَبُ.

كَانَ شَيْخٌ يَذْكُرُ فَضْلَ التَّوَاضُعِ هَكَذَا: الْإِنْسَانُ يَضَعُ جَبِينَهُ عَلَى
الْأَرْضِ فِي السَّجْدَةِ فَاحْبَبَ اللَّهُ هَذَا الْعَجْزَ حَتَّى قَالَ: أَقْرَبُ مَا يَكُونُ
الْإِنْسَانُ فِي السَّجْدَةِ. عَلَامَةُ التَّوَاضُعِ أَنْ يَحْسَبَ الْآخَرِينَ خَيْرًا وَأَحْسَنَ
مِنْهُ فَالسَّالِكُ يَحْتَرِمُ الْكِبَارَ لِكثَرَةِ حَسَنَاتِهِمْ مِنْهُ وَيَتَشَفَّقُ عَلَى الصَّغَارِ لِقِلَّةِ
سَيِّئَاتِهِمْ مِنْهُ.

حكاية: كَانَتْ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّالِكِينَ يَمْشُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ لِلْحَضُورِ
إِلَى زَاوِيَةِ شَيْخِهِمْ، فَرَأَاهُمْ شَخْصٌ فَقَالَ: لَأَذْهَبُ وَأَطْلُبُ الدُّعَاءَ مِنْ
أَكْبَرِهِمْ وَلَايَةٍ، فَصَافَحَ الْأَوَّلَ وَقَالَ: أَنْتَ وَلِيِّي فَادْعُ لِي فَقَالَ: أَنَا حَادِمٌ.
وَالْأُولَى مَنْ يَأْتُونَ خَلْفِي قَطْلَبِ الدُّعَاءِ مِنَ الثَّانِي، فَأَجَابَ هَكَذَا: إِنِّي

خَادِمٌ وَالْأَوْلِيَاءُ مَنْ يَأْتُونَ بِنُغْدِي، وَهَكَذَا حَتَّى جَاءَ الْأَمِيرُ فُطِّلَتْ الدُّعَاءُ
مِنْهُ وَقَالَ: أَنْتَ وَلِيٌّ فَأَدْعُ لِي فَقَالَ: أَنَا خَادِمٌ وَالْأَوْلِيَاءُ هُمُ الَّذِينَ مَضَوْا
قُدَّامِي.

اللَّهُ أَكْبَرُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِحَسَبِ أَصْحَابِهِ أَفْضَلُ وَأَعْلَى مِنْهُ. الْإِشَارَةُ
أَنْ يُفْضَلَ أَخَاهُ مَعَ حَاجَتِهِ وَهُوَ وَضَعُ امْتِازٍ بِهِ الصُّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَقْرَأُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ١٤].

وَقِصَّةُ الصُّحَابَةِ مَعْرُوفَةٌ أَنْ ضَيْفًا دَخَلَ بَيْتَهُ، فَوَضَعَ الْمَائِدَةَ وَأَطْفَأَ
السَّرَاجَ وَلَمْ يَأْكُلْ حَتَّى يَشْبَعَ الضَّيْفُ.

اجْتَمَعَ فِي الرَّقِيقِ عِنْدَ الشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ الْإِنْعِلَاقِي ثَلَاثُونَ سَالِكًا
وَكَانَ الطَّعَامُ يَكْفِي لِحَاجَتِهِ. وَضَعَ الْخَادِمُ الطَّعَامَ عَلَى السُّفْرَةِ وَأَطْفَأَ
السَّرَاجَ، فَرَأَى الْخَادِمُ بَعْضَ الطَّعَامِ بَاقِيًا، كُلُّ وَاحِدٍ أَكَلَ قَلِيلًا حَتَّى يَأْكُلَ
أَخُوهُ، وَهَذِهِ الْأَخْلَاقُ مَنْقُولَةٌ مِنَ الصُّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، قَدْ
دَارَ رَأْسُ شَاةٍ فِي سَبْعَةِ يَبُوتٍ حَتَّى رَجَعَ إِلَى الْأَوَّلِ.

تَسَخَّرَ وَأَفْطَرَ عَلَيَّ وَغَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ بِالْمَاءِ، وَقَدَّمَ
طَعَامَهُمَا لِلْسَّائِلِ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَيُطِيمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَيْوَةٍ وَنَكِيحَةٍ وَبَيْتًا
وَأَمِيرًا﴾ [الإنسان: ١٨].

طَلَبَ غَارِ جَرِيحٍ مِنْ حَذِيقَةِ الْمَاءِ فِي غَرَوَةِ الْيَزْمُوكِ فَتَوَجَّعَ هِشَامُ
ابْنُ الْعَامِرِ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ، فَأَخْلَقَ قَمَةً وَأَشَارَ إِلَى الثَّانِي أَنْ اسْتَفِهِ أَوَّلًا
وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الثَّانِي سَمِعَ صَوْتًا مِنْ جَانِبٍ ثَالِثٍ، فَأَرْسَلَهُ الثَّانِي إِلَى
الثَّالِثِ، فَلَمَّا وَصَلَ السَّاقِي إِلَى الثَّالِثِ وَجَدَهُ قَدْ تَوَفَّى، فَرَجَعَ إِلَى الْأَوَّلِ
فَوَجَدَهُ شَهِيدًا أَيْضًا. أَسَى هَؤُلَاءِ الْمُتَجَاهِدُونَ بَابًا جَدِيدًا لِلْإِشَارَةِ فِي
التَّارِيخِ الْإِنْسَانِيِّ حَيْثُ لَمْ يَسْرُبُوا الْمَاءَ عِنْدَ الشَّرْعِ، وَأَرْسَلُوا إِلَى الْآخِرِ
وَمَاتُوا عَطَشًا.

تَجَسَّسَ بِالْمُخْمَرَةِ حَرَّةً وَفَعِلَتْهُنَّ الْأَخْيَارُ إِلَى الْحَسَنِ الثَّوْرِيِّ . رَدِّعَ أَمَّا
وَرَقَامَاءَ ، فَلَمَّا جَاءَ وَقْتُ الْقَتْلِ تَقَدَّمَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ الثَّوْرِيُّ إِلَى الْجَلَادِ
لِيُقْتَلَ ، فَسُئِلَ لِمَ تَقَدَّمْتَ ؟ فَقَالَ : حَتَّى يَجِدَ أَخِي ثَوَانِي مِنَ الْحَيَاةِ ، سُبْحَانَ
اللَّهِ ! إِنَّ هَؤُلَاءِ سَقَوْا نَبَاتَ الْمَوَاحِشِ بِالْإِثَارِ حَتَّى أَصْبَحَتْ شَجَرَةً أَضَلُّهَا
ثَابِتٌ وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ . عَدِمَ الْإِسْلَامُ الْإِثَارَ لِلصَّاحِبِ بِالْعَجَبِ قَضَاءً
عَنِ الْأَخْوَةِ فِي الطَّرِيقَةِ وَالْأَعْزَةِ وَالْأَقَارِبِ .

إِنَّ الْأَخْوَةَ فِي اللَّهِ وَالْمَحَبَّةَ فِي اللَّهِ وَحُسْنَ الْمُصَاحَبَةِ مِنْ ذَاتِ
السَّلَفِ الصَّالِحِينَ ، وَفَقْدَتِ الْيَوْمَ وَدَغِبَتْ آثَارُهَا . مَنْ يَعْمَلُ بِهَا يُحْيِيهَا
وَمَنْ يُحْيِيهَا يَنَالُ أَجْرَ مَنْ يَعْمَلُ بِهَا بَعْدَهُ . السَّائِلُ الَّذِي وَجَدَ أَخًا مُخْلِصًا
عَلَيْهِ أَنْ يَشْكُرَ اللَّهَ تَعَالَى وَيَقُولَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

ملحوظة : مُعْظَمُ الْقِصَصِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْأَخْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مَأْخُودٌ
مِنْ كِتَابِ قُرْبِ الْقُلُوبِ لِأَبِي طَالِبٍ الْمَكِّيِّ .

الباب الثالث عشر

أسئلة وأجوبة

س ١ : كيف يقال الشيخ من المریدین المتحیة بعد الثبوت والعتاب؟

ج : الطیب یشرط المجتهد بالمشروط، ولكن بعد حصول الشفاء يدعو له الناس.

س ٢ : يعتبر اليوم ابن غير مؤهل للشيخ الكامل شيخاً كاملاً، هل هذا صحيح؟

ج : كما لا يرضى شخص بجعل ابن الدكتور دكتوراً ما لم يتعلم الطب بنظام، كذلك لا يكون ابن الشيخ شيخاً ما لم يجد النسبة بنظام. نعم لو وجد النسبة، فولد الشيخ يكون نوراً على نور، يستحسن تجديده البيعة على يديه.

س ٣ : بعض الناس يقولون: إن كان الشيخ غير كامل فلا يخرج عندما كان اليقين مُحكماً. هل هذا صحيح؟

ج : كما أن مسجوناً لا يُخلص مسجوناً آخر، وشخصاً نائماً لا يستطيع أن يوقظ نائماً آخر، أو شخص أعشى لا يهدي أعشى آخر، كذلك شخص غافل لا يستطيع أن يجعل الغافل ذاكراً، فكيف يصير المرید كاملاً عندما لم يكن الشيخ كاملاً.

س ٤ : إذا كان القرآن والتحديث موجودين عندنا فلا شيء نحتاج إلى الشيخ؟ ألا يستطيع الإنسان أن يصلح نفسه؟

ج : الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ شَاهَدُوا نُزُولَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَشَاهَدُوا صَاحِبَ الْقُرْآنِ ﷺ، وَسَمِعُوا كَلَامَهُ ﷺ بِأَذَانِهِمْ، وَلَكِنْ مَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يُرَكِّبُوا أَنْفُسَهُمْ، بَلْ رَكَّبَهُمُ الشَّيْءُ ﷻ، وَبَعْلَمُ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَبِّكَ يَوْمَئِذٍ آتِيهِ أَنْهَ لَا يُدَّ مِنْ مَوْكِ، فَكَيْفَ تُضْلِحُ الْيَوْمَ نَفْسُنَا فِي هَذَا الْعَصْرِ الذَّاهِبِ؟ كَمَا أَنَّ الشَّجَرَ لَا يَشْعُرُ بِثَقْلِ ثَمَرِهِ، كَذَلِكَ الْإِنْسَانُ لَا يَرَى عُيُوبَهُ دَائِمَةً. فَلَا بُدَّ لِلْإِصْلَاحِ أَنْ يَرْجِعَ الْإِنْسَانُ إِلَى شَيْخٍ يَعَالِجُهُ مِنَ الْأَمْرَاضِ الْبَاطِنِيَّةِ - مِثَالُ التَّرَكُّبِ بِدَوْنِ شَيْخٍ كَمِثَالِ شَخْصٍ يَقُولُ: أَنَا مَرِيضٌ وَكُتِبَ الطَّبِّ مُوجُودَةٌ أَقْرَأَهَا وَأَذَاوِي نَفْسِي، هَلْ يَقَالُ لَهُ: إِنَّهُ عَاقِلٌ؟

س ٥ : بَعْضُ السَّالِكِينَ يُضَيِّقُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ دَائِرَةَ الْمُبَاحَاتِ وَيَخْرِمُونَ أَنْفُسَهُمْ مِنْ بَعْضِ الْمُبَاحَاتِ مَاذَا تَقُولُ فِيهِ؟

ج : لَيْسَتْ الْحِكْمَةُ فِي تَكْثِيرِ الْمُبَاحَاتِ أَنْ يَسْتَعْدِمَ كُلُّ شَخْصٍ كُلَّ مُبَاحٍ، بَلْ لِأَنَّهُ لَا يُدْرِي مَنْ يَحْتَاجُ إِلَى أَيِّ مُبَاحٍ وَفِي أَيِّ وَقْتٍ؟ فَيَبْغِضُ الْأَشْيَاءَ مُبَاحٍ لِلضَّرُورَةِ، وَلِذَا يَجْتَنِبُ بَعْضُ الْمَشَايِخِ مِنَ التَّيْبُولِ وَمُزْجِ الشَّيْءِ فَضلاً عَنْ التَّدْخِينِ.

س ٦ : قَدْ يُعْرَضُ لِلْسَّالِكِينَ كَيْفِيَّاتٌ عَجِيبَةٌ، وَقَدْ لَا يَكُونُ مِنْهَا شَيْءٌ، مَا سَبَبُ ذَلِكَ؟

ج : مِثْلُ السَّالِكِ مِثْلُ شَجَرَةٍ تَخْرُجُ تَرَاعِيصُهَا وَتُظْهِرُ أَوْزَاقَ جَدِيدَتِهَا، ثُمَّ يَنْتَهِي خُرُوجُ الْأَوْزَاقِ الْجَدِيدَةِ، وَلَا يَعْنِي أَنَّ هَذِهِ الشَّجَرَةَ قَدْ انْتَهَى كُمُومُهَا، بَلِ الشَّجَرَةُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ تَفُوزُ سَائِهَا وَفِرْعَاطُهَا، هَكَذَا أَحْوَالُ السَّالِكِ.

س ٧ : كَيْفَ يَعْرِفُ السَّالِكُ، مَاذَا مَشْرَبُهُ؟

ج : يَظْهَرُ عَلَى السَّالِكِ ظَهْوراً بَيَناً عَكْسُ صِفَاتِ تَبِيٍّ هُوَ تَحْتَ قَدَمِ

ذلِكَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَمَنْ كَانَ مُوسَوِيَّ الْمَشْرَبِ يَكُونُ كَثِيرَ
الشَّعْفِ بِكَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَمَّا إِبْرَاهِيمِيُّ الْمَشْرَبِ فَيُمَيِّزُهُ التَّوَكُّلُ
عَلَى اللَّهِ وَإِكْرَامُ الضَّيْفِ، وَيَغْلِبُ الزَّهْدُ فِي حَيَاةِ عَيْسَوِيَّ الْمَشْرَبِ
وَيَكُونُ لَدَيْهِ قُوَّةٌ سَلِيمَةٌ شَدِيدَةٌ وَيَكُونُ لِمُحَمَّدِيَّ الْمَشْرَبِ حُبٌّ شَدِيدٌ
لِلتَّبَاعِ السُّنَّةِ وَالْأَخْلَاقِ الْمُحَمَّدِيَّةِ.

س ٨: لَوْ يَتَّقَى الْقِيَصُ الْأَوْلِيَاءَ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَمَا الْحَاجَةُ إِلَى مُتَابِعَةِ شَيْخٍ
آخَرَ؟

ج: يَتَّقَى الْقِيَصُ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَلَكِنْ لَا يَمْتَدَارُ بِجَعْلِ النَّافِضِ كَامِلًا.

س ٩: لَوْ غَضِبَ الشَّيْخُ عَلَى مُرِيدٍ وَيَتَّقَى حَسَنَ اعْتِقَادِ الْمُرِيدِ فِي حَقِّ
شَيْخِهِ هَلْ تَقْبَلُ الْبَيْعَةُ أَمْ لَا؟

ج: لَوْ غَضِبَ الشَّيْخُ وَلَا يَزَالُ اعْتِقَادُ الْمُرِيدِ حَسَنًا تَقْبَلُ بَيْعَتُهُ، فَقَدْ
غَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى كُفِّ بْنِ مَالِكٍ وَلَكِنْ بَقِيَ اعْتِقَادُهُ
سَالِمًا فَالْبَيْعُ.

س ١٠: لَوْ فَسَدَ اعْتِقَادُ الْمُرِيدِ فِي حَقِّ شَيْخِهِ وَالشَّيْخُ لَا يَقْبَلُ الْبَيْعَةَ
أَتَقْبَلُ بَيْعَتَهُ أَمْ لَا؟

ج: تَنْتَهِي الْبَيْعَةُ، فَعَرَفَ جَابِرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ أَغْرَابِيُّ إِلَى
الشَّيْخِ ﷺ فَبَايَعَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَجَاءَهُ مِنَ الْعَدُوِّ مَحْمُومًا - وَفِي
رَوَايَةٍ: فَأَضَابَ الْأَغْرَابِيُّ وَعَكَثَ بِالْمَدِينَةِ - فَقَالَ: أَقْبَلْنِي يَبْنَغِي،
فَأَبَى، ثُمَّ جَاءَهُ فَقَالَ: أَقْبَلْنِي يَبْنَغِي، فَأَبَى، فَخَرَجَ الْأَغْرَابِيُّ، فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا الْمَدِينَةُ كَالْكَبِيرِ، تُثْبِتِي خَبْلَهَا، وَتُلْصِقِي
وَلِيَّهَا».

[أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالْمَوْطَأُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ، وَلَمْ يَذْكُرِ
النَّسَائِيُّ وَهَكَذَا: جَامِعُ الْأَصُولِ ج ٩ ص ٣١٩]

س ١١: كَيْفَ يَتَّبِعِي أَنْ تَكُونَ عَلاَقَةً الْمُرِيدِ بِالشَّيْخِ؟

ج: يَتَّبِعِي أَنْ تَكُونَ كَمَا كَانَتْ لَسَانِي الصَّدِيقِ بِالشَّيْخِ ﷺ، ففِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ مَرَّةً: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثٌ...» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (اصَّدَقْتُ بِأَرْسُولِ اللَّهِ، وَحُبَّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا ثَلَاثٌ: النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِيفَاءُ مَا لِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَنْ تَكُونَ ابْتَدَى تَحْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ).

[المنهاج لابن حجر ص ٢٧، ٢٨]

فَقَدْ بَرَّوْا. كَانَتْ ذَاتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هِيَ الْمَرْكَزُ فِي هَذِهِ الثَّلَاثِ. فَيَتَّبِعِي أَنْ تَكُونَ لِلسَّالِكِ مَعَ شَيْخِهِ عَلاَقَةً الْحُبِّ مِثْلَهَا.

س ١٢: هَلْ تَحْصُلُ الْفَائِدَةُ فِي السُّلُوكِ بِالدُّكْرِ أَوْ بِشَيْءٍ آخَرَ أَيْضاً؟

ج: تَحْصُلُ الْفَائِدَةُ فِي الْبِدَايَةِ بِالدُّكْرِ، ثُمَّ يَأْتِي زَمَنٌ لَا يَبْقَى فِيهِ الدُّكْرُ مَفِيداً، وَلَوْ كَانَ دُكْرٌ نَفِي وَإِتْبَاتٌ، بَلْ يَفِيدُ الْفِكْرَ، وَفِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ تَنْفَعُ تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ وَكَثْرَةُ التَّوَافُلِ وَالتَّبْلِيغُ وَالتَّدْرِيسُ وَالتَّصْنِيفُ، ثُمَّ تَأْتِي مَرْحَلَةُ الْقُرْبِ بِالْفَرَائِضِ، سَوَاءٌ أَكَانَتْ مَعِينَةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى أَمْ مِنَ الْعِبَادَةِ، كَأَنْ يَأْمُرَ الشَّيْخُ بِالْخِدْمَةِ فِي الزَّوَابِ، فَهَذِهِ الْخِدْمَةُ أَكْثَرُ فَائِدَةً مِنَ الدُّكْرِ وَالْفِكْرِ وَيُسَمَّى بِالْقُرْبِ بِالْفَرَائِضِ.

س ١٣: مَا الْمُرَادُ بِخَوَاصِّ الدُّرُوسِ؟

ج: يَتَعَلَّقُ بِكُلِّ دَرْسٍ إِزَالَةُ زَوِيلِهِ، يُلَاحِظُ الشَّيْخُ هَلْ رَأَتْ الرُّذَائِلُ أَمْ لَا؟ عِنْدَمَا رَأَتْ زَوَائِلُ لَعَلْفَةً يَعْطِي الشَّيْخُ دَرْساً جَدِيداً.

س ١٤: مَا الْمُرَادُ بِالْقُرْبِ بِالتَّوَافُلِ؟

ج: يَتَقَدَّمُ السَّالِكُ بَعْدَ حُصُولِ الْفَتَاءِ الْكَامِلِ بِالْقُرْبِ بِالتَّوَافُلِ، فَيَعْبُدُ اللَّهَ بِأَيِّ عِبَادَةٍ يَرِيدُ، ثُمَّ يُشْغِلُهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَيِّ أَمْرٍ دِينِي يَشَاءُ،

وهذا يُسمَّى بالقرَّب بالقرائض، فالبعض يَقْرَضُ إليه أمرُ التبليغ،
وإلى البعض أمرُ التدريس أو التضييق والتأليف، ويُعَابَبُ صاحبُ
القرَّب بالقرائض لو اشْتَغَلَ بالتواقل، كَمَا عَرَفَتْ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
بِعَبِّ رَجُلَيْنِ إليه في الخلوة.

س ١٥: هل يُمكنُ ذِكْرُ النَّفْسِ والإِنْبَاتِ بِحَسْبِ النَّفْسِ مرةً واحدةً أَكْثَرَ مِنْ
وَاحِدٍ وَعِشْرِينَ أَمْ لَا؟

ج: على السَّالِكِ أَنْ يَبْلُغَ حَدَّ هذا الذِّكْرِ بعد مُرَاعَاةِ شُرَائِطِهِ إِلَى وَاحِدٍ
وَعِشْرِينَ، ثُمَّ لَوْ رَآهُ عَلَى هذا لاسْتَفَادَ. ففِي الْمَكْتُوباتِ الْمُعْصُومَةِ
أَنْ شَخْصاً كَتَبَ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَذْكُرُ بِالنَّفْسِ والإِنْبَاتِ فِي نَفْسِ وَاحِدٍ مِائَةَ
مَرَّةً فَشَجَّعَهُ الشَّيْخُ مُحَمَّدَ مُعْصُومَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

س ١٦: هل يَحْصُلُ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ الْفَوَائِدُ وَالْثَمَرَاتُ الَّتِي تَحْصُلُ بِإِذْكَارِ
الصُّوْفِيَّةِ؟

ج: مُعْظَمُ فَائِدَةِ السَّالِكِ فِي الْبِدَايَةِ يَحْصُلُ بِالذِّكْرِ حَتَّى يَجِدَ قِتَاءَ الْقَلْبِ
وَقِتَاءَ النَّفْسِ، ثُمَّ يَكُونُ ارْتِفَاعُ بِالتَّوَالُفِ وَالتَّوَالِغِ وَبِاشْغَالِ دِينِيَّةٍ
أُخْرَى.

س ١٧: الَّذِينَ يَكْثُرُ ذُرُوسُهُمْ وَلَمْ يَتَوَقَّزْ لَهُمُ الْوَقْتُ مَاذَا يَفْعَلُونَ؟

ج: لَوْ يُجَاوِزُ هَؤُلَاءِ لَطَائِفُهُمْ مُتَوَجِّهِينَ قَاصِدِينَ لَا يَخْلُو عَنْ الْفَائِدَةِ.

س ١٨: مَا مَعْنَى سَلْبِ النَّسَبِ؟

ج: النَّسَبُ اسْمٌ عَلاَقَةٌ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ الْعَبْدِ لَا يَسْتَطِيعُ اخْتِدَافُ أَنْ يَسْلُبَهُ.
نَعَمْ يُمْكِنُ سَلْبُ الْكَرِّيَمِيَّاتِ وَالْوَارِدَاتِ.

س ١٩: بَعْضُ النَّاسِ يَتَهَلَّلُونَ بِالسِّيَرَةِ كُلِّ وَقْتٍ يَقُولُونَ: لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ، هَلْ هَذَا جَائِزٌ؟

ج: جَائِزٌ مِائَةً فِي الْمَائَةِ، بَلْ هُوَ مُسْتَحْسَنٌ. سَمِعْتُ الشَّيْخَ عَزِيزَانَ عَلِيَّ

الرايتين رحمته الله تعالى عن هذا السؤال، فأجاب: إِنَّ الشَّرْعَ أَمَرَ بِتَلْقِينِ الْمُخْتَضِرِ بِكَلِمَةِ الشَّهَادَةِ وَأَنَا أَحْسِبُ نَفْسِي مُخْتَضِرًا كُلَّ وَقْتٍ فَالْقُنْ نَفْسِي بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ.

س ٢٠: الَّذِينَ يَضَعُونَ الْمَضْحَفَ الشَّرِيفَ فِي جُيُوبِهِمْ وَيَضْطَرُّونَ لِلدُّخُولِ إِلَى الْبُزْخَانِ، فَمَا حُكْمُهُمْ؟

ج: يَتَّبِعِي أَنْ يَكُونَ حُكْمُ الْجَيْبِ حُكْمَ الْغِلَافِ وَالْأَحْسَنُ مَعَ ذَلِكَ أَنْ يَطْوِيَ الْمَضْحَفَ فِي غِلَافِ الْبِلَاسْتِيكِ ثُمَّ يُوَضَّعَ فِي الْجَيْبِ.

س ٢١: الْمُؤْمِنُ لَا يَزَالُ مُتَنَفِّرًا لِلصَّلَاةِ، لِمَذَا؟

ج: إِذَا أَصْبَحَتْ الصَّلَاةُ غَدَاءً لِلرُّوحِ فَيَحِنُّ الْقَلْبُ لِلصَّلَاةِ كَمَا تَحِنُّ الْمَعِدَةُ لِلطَّعَامِ.

س ٢٢: الْمُسَجَّدُونَ مَنْ هُمْ؟

ج: بَعْضُ عِبَادِ اللَّهِ تَعَالَى يَعِينُونَ لِلْأُمُورِ الرُّوحَانِيَّةِ، وَبَعْضُهُمْ مُخْتَصَّصُونَ لِلْأُمُورِ التَّكْوِينِيَّةِ وَالْمَادِّيَّةِ. وَمَوْلَاءُ كَالْمَجَانِّينَ ظَاهِرًا وَلَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ لِرِجَالِ الشَّرِيعِ مَعْرِفَةُ رِجَالِ التَّكْوِينِ، فَمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَكُنْ لَهُ عِلْمٌ بِالْخَضِرِ، وَقَدْ تَجَنَّبَ وَظَلَمْنَا التَّكْوِينِ وَالشَّرِيعِ فِي شَخْصٍ وَاحِدٍ. وَمِنْ رِجَالِ التَّكْوِينِ قُطْبُ الْمَدَارِ، وَمِنْ رِجَالِ الشَّرِيعِ قُطْبُ الْإِرْشَادِ. وَيَكُونُ قُطْبُ الْمَدَارِ تَحْتَ قُطْبِ الْإِرْشَادِ غَالِبًا.

رَوَى الْبُخَارِيُّ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَاتَلَ الْخَضِرَ وَقَالَ: (أَتَيْتُكَ لَتَعْلَمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ وَشَدًّا). قَالَ: (إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ مَسِيرًا، يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَمْتِيهِ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمِ عِلْمِكَ اللَّهُ لَا أَعْلَمُهُ).

وهؤلاء الرجال رجال الأمور التكوينية يقال لهم المجاذيب.

س ٢٢: ما المقراء بالواردات الكونية والواردات العلمية؟

ج: قد تلقى في قلب السالك نكات جليلة، وقد تلقى نكات تتعلق بالأمور المادية، مثل أنه سيكون كذا وسوف لا يكون كذا، ويقال لها الواردات الكونية، ويقال للمعارف العلمية الواردات العلمية، وكلاهما محمود ولكن المعارف العلمية أفضل من الكونية، فالعلمية لا تنأى لكل واحد. ع: يلقون الرحيق في كأس الطلب.

س ٢٣: ما هو المشرب؟

ج: كل سالك لا بد أن يكون تحت قدم نبي، ولكن ليس كل سالك يعرف أنه تحت قدم أي نبي؟

حكاية: أرسل شيخ مريد إلى حضرة شيخ آخر ليخبره مشرته، فلما وصل إليه المريد، قال ذلك الشيخ: كيف حال يهوديكم؟ فعصبت المريد. فلما رجع وسأله شيخه عما جرى، أجاب المريد متلعغماً. فقال الشيخ: الحمد لله، أنا مؤسوي المشرب.

س ٢٤: من يقال له القيوم؟

ج: العالم مظهر تجليات صفات الله تعالى، فينبغي أن يكون هناك مظهر لتجليات الذات سبحانه وتعالى، ويقال له القيوم، فقيام العالم ليس بالوسائل المادية بل بذكر الله، ولذلك قال النبي ﷺ: «لا تقوم الساعة على أحد يقول: الله الله» وفي رواية: «حتى لا يقال في الأرض: الله الله».

[أخرجه مسلم وأخرج الترمذي الثانية: جامع الأصول ج ١ ص ٣٩٤]

المشايخ يذكرون ذكر الله تعالى ويؤمنون بهذا العمل فيجعل شخص منهم قيوماً.

س ٢٦ : ما المراد بيد الغيب؟

ج : يجدُّ بعض المشايخ رزقهم تحت السجادة أو من طريق آخر خفي يُقال له يد الغيب، ومن يد الغيب أن يقدم أحد هدية وهو لا يَرُجُو.

س ٢٧ : ما هو أصل ختمات المشايخ؟

ج : قراءة آية أو عمل عبادة لها مناسبة كاملة بحياة الشيخ وبسيرته لإيضال توابعها إلى ذلك الشيخ يُقال لها الختم، وبعض المشايخ هم يُعَيِّنُون ختمهم ويُعين للقبض بعد وقاية مُريدوه.

س ٢٨ : ما الفرق بين الرؤيا والواقعة والمُشاهدة؟

ج : كل ما يرى في النوم يُقال له الرؤيا وإن شاهد بعد ما نام خائلاً للمُراقبة يُسمى واقعة، وإن رأى شيئاً في المُراقبة مُستقيظاً يُسمى مُشاهدة.

س ٢٩ : ما المراد من القبض والبسط؟

ج : يشعر السالك بعض الأحيان بأشراج عجيبة وكيفيات غريبة، يُسمى هذا بالبسط، وقد تختفي هذه الكيفيات كأن لم يكن شيء، ويُقال له القبض. ويكلاهما نعمة من الله تعالى، ولكن نحن نسأل الله البسط فقط لضعفنا، كما أن الزارع يسقي الشجر ثم يتركه مدة ليحذب الماء ويجف، يضر السقي كل يوم والشجر يصبح خضراً ناخضراً بالسقي مرة بعد مرة. هذه حقيقة القبض والبسط لا بد منهما لتربية السالك.

س ٣٠ : ما معنى الفناء في الرسول؟

ج : الكيفية التي يحصل فيها اتباع السنة طلباً تُسمى الفناء في الرسول.

س ٣١ : ما هو یاد داشت؟

ج : الولد الصغير يتخفظ حروف الهجاء ويردّها سريعاً، والكبير لا يردّها سريعاً مثله، ولكن يكتب عند الضرورة العبارة الصحيحة، أو يقول: نريد الذهاب إلى المسجد وننظر في الطريق إلى هنا وهناك ونسلم على الأصدقاء، ولكن لا ننسى الذهاب إلى المسجد يقال له: «يا دأشت» ومعناه التذكّر. كذلك السالك يستعمل بأعمال الدنيا، ولكن لا يذهل عن ذكر الله تعالى.

س ٣٢ : ما هو الفرق الأساسي بين السلسلة النفسينية والسلسلة الجشنية؟

ج : في كل سلسلة أولياء كاملون والفرق في طريق الوصول فقط. استشار شخص الشيخ الحاج أمداد الله المهاجر المكي، هل يتابع في السلسلة النفسينية أو في السلسلة الجشنية؟ فقال، مثاله: أرض فيها شجيرات فلزرعها طريقتان: الأولى أن تنقي سنة أو نصف سنة ثم تزرع، والثاني أن ما ينظف منها يزرع، وهكذا تتم التنقية والزرع معاً. فقال الرجل: الطريق الثاني أحب إليّ. الموت لا يدرى وفاته، فقال الشيخ: فعلبك بالبيع في السلسلة النفسينية.

س ٣٣ : ما هو السبب لكثرة انتشار السلاسل الصوفية في البلاد الحنفية كالباكستان والهند وبنغلاديش وولايات وسط آسيا وتركيا وسوريا والأردن؟

ج : خلاصة الدين في فقه الأئمة الأربعة، ونقلخص هذه الأربعة في فقهين: الحنفي والشافعي، وقال المتجدد رحمه الله: إنه يغلب في الفقه الحنفي كمالات النبوة، ويغلب في الفقه الشافعي كمالات الولاية، فاتباع السنة النبوية في البلاد الحنفية كثير.

س ٣٤ : يكثر في الصلاة الوسواس والخفلات؟

جـ : كَلَّ وَشَوَّسَتْ حَظَرَةً، وَلَيْسَ كُلُّ حَظَرَةٍ وَشَوَّسَةً، بَلِ الْوَشَوَّسَةُ حَظَرَةٌ تَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَبَيْنَ غَايَتِهِ، تَأْتِي فِي صَلَاتِنَا حَظَرَاتٌ دُنْيَوِيَّةٌ وَالْدُنْيَا أَسْفَلُ وَيَأْتِي لِلْأَكْبَابِ حَظَرَاتٌ دِينِيَّةٌ عَالِيَةٌ، فَكَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُجَاهِزُ جُيُوشَهُ فِي الصَّلَاةِ، فَمِثْلُ هَذِهِ الْحَظَرَاتِ مَحْمُودَةٌ لَا تُنْمَعُ حُضُورَ الْقَلْبِ.

س ٣٥ : يَكُونُ لِبَعْضِ الْمَشَابِيخِ اسْتِغْرَاقٌ فِي الصَّلَاةِ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِمَا خَوْلَهُمْ مَاذَا يَكُونُ؟ لِمَاذَا تَكُونُ صَلَاتُنَا بِهَذِهِ الْمَقَايِدِ؟

جـ : حُضُورٌ وَمِثْلُ هَذَا الْاسْتِغْرَاقِ فِي الصَّلَاةِ لَيْسَ بِوَاجِبٍ، وَالْمُرَادُ بِحُضُورِ الْقَلْبِ التَّوَجُّهُ إِلَى اللَّهِ. اخْتَصَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاتَهُ وَسَلَّمَ لِأَجْلِ بَكَاءِ صَبِيٍّ.

س ٣٦ : فِيل : يُعَاتَبُ الْمُتَنَهِّي بِالْوَشَوَّسَةِ؟

جـ : يُعَاتَبُ عَلَى وَشَوَّسَةٍ تَغْضُلُ الْمُتَنَهِّيَ، وَأَمَّا الْوَشَوَّسَةُ الَّتِي تَأْتِي وَتَذْهَبُ فَلَا مُوَاخَذَةَ عَلَيْهَا.

س ٣٧ : مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الظَّنِّ وَالِإِلَهَامِ؟

جـ : الْإِنْسَانُ عِنْدَمَا تُكْبِتُ عَلَى رَأْيٍ بَنِيٍّ وَإِرَادَةٍ يُسَمَّى ظَنًّا وَعِنْدَمَا وَرَدَ فِي قَلْبِهِ حَظَرَةٌ يَفْهَمُهَا يُسَمَّى إِلَهَامًا.

س ٣٨ : مَا مَعْنَى عَالَمِ الْأَمْرِ وَعَالَمِ الْخَلْقِ؟

جـ : أَوْجَدَ اللَّهُ تَعَالَى الْعَالَمَ لِإِبْجَادِيَيْنِ : بَعْضُ الْعَالَمِ أَوْجَدَهُ بِكَلِمَةٍ «كُنْ» وَهُوَ عَالَمُ الْأَمْرِ، وَمَا أَوْجَدَهُ تَدْرِيجًا هُوَ عَالَمُ الْخَلْقِ.

س ٣٩ : هَلْ يَجُوزُ السَّمَاعُ (سَمَاعُ الْغِنَاءِ)؟

جـ : لَا يَجُوزُ مَعَ الْمَزَامِيرِ وَالْمُوسِيقَى. جَمِيعُ أَنْوَاعِ الْغِنَاءِ حَتَّى الْحَمْدُ وَعَدَحُ الرَّسُولِ ﷺ. وَيَجُوزُ الْغِنَاءُ بِدُونِ الْمَزَامِيرِ بَعْدَ تَحَقُّقِ عِدَّةٍ شُرُوطٍ، مِنْهَا :

١ - أن لا يكون مُشتملاً على موضوعات فاسقة.

٢ - أن لا يكون في المجلس اختلاط بين الرجال والنساء غير المحارم.

٣ - أن يكون للسامعين رغبة إليه كَرغبة الجائع إلى الطعام.

س ٤٠: ما هي علامة السنة والبدعة؟

ج: السنة عملٌ غائبٌ والبدعة عملٌ محلي أي السنة عملٌ يوجد سويًا في كل مكان وفي كل بلد كصوم عاشوراء، فإنه سنةٌ يوجد في كل مكان، وفي كل بلد، بينما الحرفاء عاشرٌ محرمٌ بدعةٌ. ولذا فإن لانعقاده في إيران طريقة، وفي الباكستان طريقة أخرى، وفي العراق طريقة أخرى، وفي الهند أخرى.

س ٤١: لا يستحسن التصوف طائفة كبيرة من الأمة لماذا؟

ج: بعض الناس يتفقرون منه ويكرهونه بسماع قصص الشيوخ المشغورين. ولا يفكرون أنه قد اختلط في هذا العصر الرديء من كل شيء بالجيد، والتفويض وظيفتنا، بدخل في صفوف العلماء بغض أسرار النفوس عباء الدنيا ولا يعني ذلك أن لا يتعلم العلم الديني. حالة هؤلاء الناقدين مثل حالة هند التي يقال لها آكلة الأكلاب. كانت شديدة الغداوة قبل الإسلام وقالت بعد أن أسلمت: يا رسول الله لا أحب أحداً الآن فوق ما أحبك.

وهكذا يكون حال الناقدين على التصوف إن اكشف لهم حاله.

س ٤٢: كيف يحصل التقدم في التصوف؟

ج: بأربعة أمور: ١ - بكثرة الذكر، ٢ - باتباع السنة، ٣ - بالتقوى، ٤ - بإبطاء الشيخ.

س ٤٣: خرج من لسان بعض المشايخ مثل تعليمات (أنا الحق)

(وسبحاني ما أعظم شأني) لماذا؟

ج : صَدَرَتْ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ فِي حَالَةِ السُّكْرِ، وَبِكَوْنِ الْإِنْسَانِ فِيهِ مُغْلُوباً مَرْقُوعاً عَنْهُ الْقَلَمُ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الشَّجَرِ بِحَضْرَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ صَوْتُ : (إِنِّي أَنَا اللَّهُ) فَمَا الْعَجَبُ لَوْ صَدَرَ مِنْ لِسَانِ إِنْسَانٍ (أَنَا الْحَقُّ) نَعَمْ لَوْ خَرَجَ مِثْلُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ مِنْ ذِي صَخَوٍ يَسْتَجِيقُ الْعِقَابَ وَضُرِبَ التَّعَالِي.

س ٤٤ : مَا هُوَ سَبَبُ مُعْظَمِ الذَّنُوبِ؟

ج : سَبَبُ مُعْظَمِ الذَّنُوبِ حُبُّ الْجَاهِ وَزِيَادَةُ الشُّهُوَةِ.

س ٤٥ : قَالَ الْإِمَامُ الرَّبَّانِيُّ مَجْدُذُ الْأَلْفِ الثَّانِي : سَتَتَّحِدُ حَقِيقَةُ الْكَفَّةِ وَالْحَقِيقَةُ الْيَمْحَمِدِيَّةُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ. مَا مَعْنَاهُ؟

ج : الْكَفَّةُ الْمُسْتَرْفَعَةُ مَرْكَزُ التَّجَلِّيَّاتِ الذَّاتِيَّةِ، وَلِهَذَا أَصْبَحَتْ مُسْتَجُوداً إِلَيْهَا، وَبَتَّكُونُ آخِرِ قَلْبِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ مَرْكَزاً لِلتَّجَلِّيَّاتِ الذَّاتِيَّةِ عَلَى الدَّوَامِ. سَتَجِدُ لِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَبِيٍّ وَاحِداً، وَهُوَ يَغُفُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَسَتَجِدُ لَأَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَالْكَفَّةُ وَقَلْبُ الْمُؤْمِنِ كِلَاهُمَا مَرْكَزُ التَّجَلِّيَّاتِ الذَّاتِيَّةِ، وَالْفَرْقُ أَنَّ الْكَفَّةَ مَرْكَزُ التَّجَلِّيَّاتِ عَلَى الدَّوَامِ، وَقَلْبُ الْمُؤْمِنِ قَدْ يَكُونُ لَهَا مَرْكَزاً وَقَدْ لَا يَكُونُ.

س ٤٦ : رُوِيَ عَنْ بَعْضِ الْمَشَايِخِ أَنَّ سَيِّدَنَا عَلِيّاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَضَعُ الْقَدَمَ فِي الرِّكَابِ فَيَقْرَأُ : «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» وَكَانَ يَضَعُ الْقَدَمَ فِي الرِّكَابِ الثَّانِي فَيَقْرَأُ : «وَالنَّاسِ» كَيْفَ يُنْفِكُنْ ذَلِكَ؟ وَرُوِيَ أَنَّ بَعْضَ الْمَشَايِخِ خَرَجَ مِنْ بَلَدِهِ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ وَتَوَرَّجَ هُنَاكَ وَوَلَدَ لَهُ أَوْلَادٌ، ثُمَّ رَجَعَ وَلَمْ يَمُضِ إِلَّا سَاعَاتٌ، هَلْ هَذَا مُمَكِّنٌ؟

ج : الزَّمَنُ لَهُ طَوْلٌ وَلَهُ عَرْضٌ وَإِنْ كَانَ الْمَعْرُوفُ أَنَّ لِلزَّمَانِ طَوْلًا فَقَطْ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَتَعَلَّقَ اللَّهُ تَعَالَى بِالسَّخَوَاتِ مِثْلَ هَذِهِ الْأَفْعَالِ فِي عَرْضِ الزَّمَانِ خَفِصَةُ الْمَغْرَاجِ.

س ١٧ : ما هو مبدأ التعيين؟

ج : يكون لكل سالك مبدأ تعيين من أسماء الله تعالى وصفاته ويكون للسالك وصول إلى مبدأ تعيينه. ولو قارَ شخص السير فوقه فهو نظري وليس بقدمي. (لا يكون له مقام) كما يكون لشخص بيت في لاهور هذا مقام أصلي. فأينما دار أو سار فالمقام الأصلي في لاهور.

س ٤٨ : ما هو التعيين الأول؟

ج : قال بعض المشايخ : علم الله تعالى بخلق العالم هو التعيين الأول، وقال البعض : إرادة الخلق هو التعيين الأول. وقال الإمام الرباني مجدد الألف الثاني : لما كان حب أن أعرف هو التعيين الأول، فهذا الحب هو مبدأ التعيين للنبي ﷺ وفوقه مقام الالاتين.

س ٤٩ : الصوفية يكتفون بتدوير السبلحات جلوساً على السجادة ولا يشبهون في الجهاد لماذا؟

ج : جاءت كلمة الجهاد في القرآن الكريم لعدة معاني :

١ - الجهاد بالمال، أي بذل المال في سبيل الله تعالى، والدليل عليه قوله تعالى : ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ﴾ [التوبة: ٤١].

٢ - الجهاد بالنفس أي تطبيق أحكام الشريعة على الأنفس قال تعالى : ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ [الصف: ١١] قال عليه الصلاة والسلام في هذه المناسبة : «المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله».

٣ - الجهاد بالقرآن، أي عرض الإسلام على الكفار لإغلاء كلمة الله تعالى ودليله قوله تعالى : ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢].

٤ - الجهاد بالسيف. أي قتال الكفار حيث قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ جَاهِدُوا الْكَافِرَ وَالْمُشْرِكِينَ وَأَعْلَفْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣].

الصَّوْفِيَّةُ يَسْتَعْمِلُونَ غَالِبًا فِي الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ الْأَوَّلِ لِلجِهَادِ وَلَا تُحْصَى
أَعْمَلَتُهُمْ عَلَى أَحَدٍ.

وأما الجِهَادُ بالسَّيْفِ ؛ فعندما يَكُونُ فَرْضٌ عَيْنٌ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ
تَعَالَى ، فَالْصَّوْفِيَّةُ يَخْرُجُونَ فِي الْمَغْرِبَةِ وَاضِعِينَ أَكْفَانَهُمْ عَلَى أَكْتَافِهِمْ ،
وَيَكُونُونَ بَنِيَانًا مَرَصُورًا ضِدَّ الْكُفَّارِ . وفيما يلي بعض الأمثلة :

١ - فِي الْقُرْنِ السَّابِعِ الْهَجْرِيِّ لَمَّا قُضِيَ الثَّأْرُ عَلَى الْغِلَافَةِ الْعِبَّاسِيَّةِ
وَالدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْوَحِيدَةِ لِجَلَالِ الدِّينِ خَوَارِزْمِ الشَّاهِ ، وَضُرِبَ
الْمَثَلُ الْمَعْرُوفُ : إِذَا قِيلَ لَكَ أَنَّ الثَّأْرَ انْهَزَمُوا فَلَا تُصَدِّقْ . وَفِي مِثْلِ
هَذِهِ الْأَوَاضَاعِ السَّيِّئَةِ حَوْلَ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ الدَّرِينْدِيِّ وَأَمثَالِهِ رَجِمَهُمُ اللَّهُ
تَعَالَى قُلُوبَ أَبْنَاءِ مُلُوكِ الثَّأْرِ ، فَأَسْلَمَ أَبْنَاءُ هَؤُلَاءِ الْمُلُوكِ بَعْدَ ثَلَاثِينَ
سَنَةً وَجَعَلَ لِيَوَاءِ الْإِسْلَامِ يَنْخَفِقُ مِنْ جَدِيدٍ . قَالَ الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ إِقْبَالُ
مَا مَعْنَاهُ :

قَدْ نَبَّيْنُ مِنْ قِصَّةِ ثَأْرِ إِلَى الْيَوْمِ

أَنْ قَدْ وَجَدَ الْحُرَّاسَ لِلْكَفَّةِ مِنْ بَيْتِ الْأَضْنَامِ

٢ - لَمَّا تَارَتْ عَاصِفَةُ الدِّينِ الْإِلَهِيِّ فِي الْهِنْدِ فِي عَهْدِ الْمَلِكِ الْأَكْبَرِ ، رَفَعَ
الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْأَلْفِ الثَّانِي لِيَوَاءِ إِحْيَاءِ الدِّينِ ، وَأَلْفَى التَّوَجِّهَاتِ عَلَى
قُلُوبِ رُؤَسَاءِ الْجُنُودِ الْكِبَارِ أَمْثَالِ شَيْخِ قَرِيدِ وَخَانِ خَانَانَ . جَاءَ زَمَنٌ
انْقَلَبَتِ الْبُدْعَاتُ السَّيِّئَةُ وَانْتَهَتْ ، وَكَأَنَّ الْأَرْضَ أُخْبِثَتْ بَعْدَ مَوْتِهَا ،
وَكَانَ الْمَلِكُ الْعَادِلُ الْمُنْدِينِ أَوْرَنْكُزِبِ مِنْ ثَمَرَاتِ جَهَنَّمِ .

٣ - حَاجَتِ الزُّوسُ دَاغِسْتَانَ فَتَقَدَّمَ مَشَايِخُ الطَّرِيقَةِ أَمْثَالُ الْغَازِي مُحَمَّدِ
الشَّهِيدِ وَالشَّيْخِ حَمْزَةِ وَالشَّيْخِ شَامِلِ ، وَقَاتَلُوا الشُّبُوعِيِّينَ ٤٦ سَنَةً
بِدَايَةِ مِنْ ١٨١٣ م إِلَى ١٨٥٩ م .

٤ - أَقَامَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ الشَّرِيفُ الْمَنُوسِي مَرِيدِيهِ فِي حَرْبِ طَرَابُلُسِ ضِدَّ

الإيطاليين وحاربهم خمس عشرة سنة محاربة شديدة، والزواوية السنوسية بالصحراء العظمى من أفريقيا مشهورة إلى الآن.

٥ - قاتل الأمير عبد القادر في الجزائر ضد الفرنسيين في القرن التاسع عشر الميلادي خمس عشرة سنة من ١٨٣٢ م إلى ١٨٤٧ م وكان من شيوخ الطريقة.

٦ - قد احتلت مقاماً عظيماً في التاريخ أسماء الحافظ ضامن الشهيد رحمه الله تعالى في معركة شامل، والسيد أحمد الشهيد، والشاه إسماعيل الشهيدان ببالاكوت وجمعهم الله تعالى ليحصل التحرير من الإنكليز. وهؤلاء من مشايخ الصوفية.

٧ - كان السيد جمال الدين الأفغاني من أفغانستان، وشيخ الهند مولانا محمود حسن من الهند المعروف بأسير مالتا، والشيخ حسن البناء من سلسلة الشاذلية، كل هؤلاء مشايخ الطريقة قد جاهدوا بالسيف. وتاريخ الإسلام ناقص بدون ذكر هذه الضحايا العظيمة.

٨ - قد أثار شيخ السلسلة النقشبندية حفصة مرزاجان جانان الشهيد رحمه الله تعالى شوق الجهاد في مريديه حتى قالت امرأة تخاطب ابنه:

قالت أم محمد علي له ضح بنفسك يا بني للخلافة

أثبوني من آثار شوق الجهاد في الشيخ محمد علي جوهر، وفي الشيخ شوكت علي، وكتب علي قبر شيخ قتل بيد ظالم أبيات معناها: وجئوا في لوح قبري مكتوباً في الغيب، أن ليس لهذا المقتول ذنب ميؤى لا ذنب.

عاجر الشيخ محمد علي جوهر لتحرير المسلمين من يده إلى لندن حتى يبلغ صوت المسلمين إلى برلمان الإنكليز، وتحمل مشاق الحبس، ولما هدد بالإعدام وقف أمام العدو وجاهد أفضل الجهاد وفقاً لحديث:

أَفْضَلُ الْجَهَادِ مَنْ قَالَ كَلِمَةً حَقَّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ .

وَمُخَاطَبَ الْكُفَرِ وَقَالَ : لَا تَحْسِبُوا إِلَّا أَنْ لِي فُتَاءً ، وَلَكِنَّ الْحَقِيقَةَ أَنَّ لِي أَشْيَابَ الْبَقَاءِ مِنَ الْغَيْبِ ، الرِّسَالَةُ الَّتِي وَصَلْتُ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَا مُسْرُورٌ أَنَّ لِي بِتِلْكَ الرِّسَالَةِ رِسَالَةَ الْقَضَاءِ فَمُوتٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، يَا طَيِّبُ هُوَ الدَّوَاءُ الْإِكْسِيرُ لِي لَا سِوَاهُ .

التَّوْحِيدُ : هُوَ أَنْ يَقُولَ اللَّهُ فِي الْمَخْشَرِ : هَذَا الْعَبْدُ غَضَبَانُ عَلَى الْكَوْنَيْنِ لَا بَتَغَاوِ مَرْضَاتِي .

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ .

فهرس المحتويات

٥ مقدمة
٥ الباب الأول: عِلْمُ التَّصَوُّفِ
٥ الدَّلِيلُ الْأَوَّلُ
٥ الْقِسْمُ الْأَوَّلُ
٦ الْقِسْمُ الثَّانِي
٦ الْقِسْمُ الثَّالِثُ
٩ الدَّلِيلُ الثَّانِي
١١ الدَّلِيلُ الثَّالِثُ
١١ قُصَاوِى الْقَوْلِ
١٢ مَكَانَةُ التَّصَوُّفِ عِنْدَ أَحْيَارِ الْأُمَّةِ
١٥ الباب الثاني: التَّصَوُّفُ مَا هُوَ؟
١٧ مَا حَصَلَ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ
١٩ الباب الثالث: تَحْفِيقُ كَلِمَةِ الصُّوفِي
٢١ ذِكْرُ أَسْئَلَةٍ مَشْهُورَةٍ خَوَّلَ لَفْظُ الصُّوفِي مَعَ أَجْوِبَتِهَا
٢٤ الصُّوفِي مَنْ هُوَ؟
٢٥ خُلَاصَةُ الْكَلَامِ
٢٦ الباب الرابع:
٣٥ مَلَخَصُ الْكَلَامِ
٣٧ الباب الخامس: ضَرُورَةُ الْمُرْشِدِ
٣٧ أدلة من القرآن الكريم

٤١	أدلة من أحاديث النبي ﷺ
٤٣	الدلائل العقلية
٤٥	أدلة من أحوال الصالحين
٥٠	علاعات الشيخ الكامل
٥٣	الباب السادس: في آداب الشيخ
٥٥	وما أحسن ما قيل
٧٦	ذكر أمور هامة لتعريب الرؤيا
٨٥	الباب السابع: إنشاء الرؤيا
٨٦	أدلة من القرآن المجيد
٩٢	الباب الثامن: في المعتقدات معتقدات المريدين
٩٤	إيضاح شناعة العلو في تعظيم أولياء الله تعالى بمثال
١٠٩	الباب التاسع: دروس التصوف
١٠٩	زينة وجمال الشريعة المحمدية
١٠٩	ذكر بعض الأمثلة
١١١	جئت إلى المقصود
١١٣	نصوص من كلام السلف الصالحين
١١٥	دلائل الأخزاب والوظائف
١١٨	أدلة من القرآن المجيد
١١٩	أدلة من الأحاديث
١٢٠	٢ - الفكر (المراقبة)
١٢٢	دلائل من القرآن المجيد
١٢٤	دلائل من الأحاديث
١٢٩	٣ - الصلاة على النبي ﷺ
١٣٠	أدلة من القرآن الكريم

- ١٣٠ دلائل من الأحاديث النبوية
عدة أسئلة تُسأل عموماً عن الصلاة
- ١٣٢ على النبي ﷺ وأجوبتها
- ١٣٣ ٤ - الاستغفار
- ١٣٤ أدلة من القرآن الكريم
- ١٣٤ دلائل من الحديث النبوي الشريف
- ١٣٨ ٥ - تلاوة القرآن الكريم
- ١٣٨ أدلة من القرآن الكريم
- ١٣٨ أدلة من الحديث الشريف
- ١٣٩ ٦ - زبادة بالسنيخ
- ١٣٩ أدلة من الأحاديث
- ١٤١ شواهد شعرية
- ١٤٣ الباب العاشر: أعمال اليوم والليلة
- ١٥٠ الباب الحادي عشر: في المعارف والحقائق
- ١٥٠ الدنيا
- ١٥١ عبادات
- ١٥٢ النبوة
- ١٥٣ الشيع والخريد
- ١٥٥ النوى
- ١٥٥ الذكر والمرآة
- ١٥٦ الدعاء
- ١٥٦ العلم والعمل
- ١٥٧ للعلماء الكرام
- ١٥٩ حسن الصوت

١٦٣	المنتورات
١٨٠	الباب الثاني عشر: الأخلاق الحميدة
١٨١	مكارم الأخلاق
١٨١	أخلاق الصالحين
١٨٢	فضائل حسن الخلق
١٨٨	أمثلة نادرة للنصح
١٩٠	فضائل الأخوة الإسلامية
١٩٣	شروط أساسية للأخوة
١٩٥	الحبيب كيف يكون؟
١٩٨	آداب الأخوة
٢١٢	الباب الثالث عشر: أسئلة وأجوبة